جواهر الصياغة
في جمع شروح نهج البلاغة

ISBN 978-9922-8695-0-6

٤١٤.

ح ٥٩٩ الحسنيّ، نبيل قدوري.

جواهر الصاغة في جمع شروح نهج البلاغة/ نبيل قدوري الحسنيّ الكربلائيّ. - ط١ - كربلاء: مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٥.

ج١٠ (٢٨٦ ص.)؛ ٢٤ سم.

١. البلاغة العربية.

٢. عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) - الإمام الأول.

رقم الإيداع: ٣٩٢٥ / ٢٠٢٥. أ. العنوان.

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٩٢٥ لسنة ٢٠٢٥

BP193.1 A85 2025

العتبة الحسينية المقدسة. مؤسسة علوم نهج البلاغة - مؤلف.

جواهر الصاغة في جمع شروح نهج البلاغة : خطبة التوحيد/ الإعداد والإخراج شعبة الشؤون العلمية والفكرية؛ المراجعة والتعليق السيد نبيل الحسني الكربلائي. - الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٥ / ١٤٤٧ للهجرة.

مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٦٧٥)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢٤٢)، (سلسلة دراسات شروح نهج البلاغة ؛ ٤).

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

تبصرة محتويات:

المجلد ١. المدخل إلى نهج البلاغة - المجلد ٢. دراسة مقدمات شراح نهج البلاغة - المجلد ٣. شرح مقدمة الشريف الرضي - المجلد ٤. حمد الله والثناء عليه ؛ المجلد ٥. التوحيد والصفات الإلهية - المجلد ٦. نشأة الخلق - المجلد ٧. ملائكة السماوات العلا - المجلد ٨. صفة خلق ادم (عليه السلام) - المجلد ٩. سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) - المجلد ١٠. اصطفاء الأنبياء (عليهم السلام) والغاية من بعثهم - المجلد ١١. بعثة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) - المجلد ١٢. القرآن خليفة النبي (صلى الله عليه وآله) الأكبر في امته - المجلد ١٣. فريضة الحج وآثارها في الإسلام - المجلد ١٤. الفهارس.

١. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة. ٢. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - حديث. ٣. البلاغة العربية. أ. شرح لـ(عمل): الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة. ب. نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

جواهر الصياغة في جمع شروح نهج البلاغة

البيهقي (٥٦٥هـ) الراوندي (٥٧٣هـ) الكيذري (٦٠٠هـ) المعتزلي (٦٥٦هـ)
البحراني (٦٧٩هـ) الخوئي (١٣٢٤هـ) مغنية (١٤٠٠هـ) التستري (١٤١٦هـ)
النقوي (١٤٤٠هـ) ناصر الشيرازي

الخطبة الأولى

الجزء العاشر

اصطفاء الأنبياء عليهم السلام والغاية من بعثتهم

الإعداد والإخراج
شعبة الشؤون العلمية والفكرية

المراجعة العلمية والتعليق
السيد نبيل الحسني الكربلائي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ – ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

الإهداء:

إلى مَنْ صلَّى عليه اللهُ وملائكتُهُ في مُحْكَمِ كتابِهِ، فقال: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

إلى مَنْ صلَّى عليه الوصيُّ (عليه السلام)، قائلاً:

«اللهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ، وجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، والدَّامِغِ صَوْلَاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِيًا لِوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ، مَاضِيًا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ، وأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ ونَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، واجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللهُمَّ وأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، واجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وخُطْبَةٍ فَصْلٍ، اللهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وقَرَارِ النِّعْمَةِ، ومُنَى الشَّهَوَاتِ وأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، ورَخَاءِ الدَّعَةِ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وتُحَفِ الْكَرَامَةِ»[1].

إلى: سيدي ومولاي وجدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أُهدي هذا الجهد.

خادمك وولدك نبيل

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١، ج١ / ص٢٩٢ بتحقيق أ. د صلاح الفرطوسي.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«**الْحَمْدُ لله الذي لَا تُدْرِكُه الشَّوَاهِدُ، ولَا تَحْوِيه المَشَاهِدُ، ولَا تَرَاه النَّوَاظِرُ، ولَا تَحْجُبُه السَّوَاتِرُ**»[1]، «**وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه ورَسُولُه الصَّفِيُّ، وأَمِينُه الرَّضِيُّ، أَرْسَلَه بِوُجُوبِ الحُجَجِ وظُهُورِ الفَلَجِ وإِيضَاحِ المَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا، وحَمَلَ عَلَى المَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً**»[2] وأَشْهَدُ أنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ «**هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ اليَقِينِ، إليهِمْ يَفِيءُ الغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ**»[3]، فَصَلَوَاتُه التّامَّاتُ الزَّاكِيَاتُ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أمّا بعدُ:

يختصُّ هذا الجزء من موسوعة جواهر الصاغة بالمبحث السابع من خطبة التوحيد والذي خُصِّص لدراسة النصّ الشريف المتعلِّق بـ «**اصطفاء الأنبياء (عليهم السلام) وبَعْثهم**»، وذلك وفقًا للمنهج المعتمد والذي مرَّ بيانه مفصَّلًا في الجزء الأوّل من المقدّمة العلميّة للموسوعة.

ومن ثَمَّ فقد تناول البحث ما اشتمل عليه النصّ الشريف -مورد الدراسة- من معارفَ عقديّة وفكريّة ودلاليّة وغيرها، استلزمتْ تقسيمه إلى

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥، بتحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي: ج٢ ص١٦٣.
(٢) المصدر نفسه: ج٢ ص ١٦٥.
(٣) نهج البلاغة الخطبة الثانية، بتحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي: ج١ ص١٩٠.

ثلاثة أقسام، فأمّا **الأول**: فخصِّص للمدخل إلى النصّ الشريف، وقد أشتمل على ثلاث مسائل؛ **الأولى**: مصادر النَصّ الشريف، **والثانية**: مقدّمة الشُرّاح للمبحث، **والثالثة**: رؤوس الموضوعات التي اشتمل عليها كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في اصطفاء الأنبياء (عليهم السلام) وبعثهم.

أمّا **القسم الثاني**: فخُصّص لما أورده الشرّاح من بيانٍ وتوضيح لمعارف المبحث - موضع الدراسة - والذي يبدأ من قوله (عليه السلام): «**واصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**»، وينتهي بقوله: «**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**»، وقد اشتمل على أحد عشر مطلبًا، تفرّعت إلى ثلاثة حقول معرفية؛ وهي: اللُّغة، والإعراب، والشَّرْح.

أمّا **القسم الثالث**: من دراسة النصّ الشريف، فقد خُصِّص للخاتمة والنتائج، وقد اشتمل على مسألتين؛ **الأولى**: لبيان ما تضمّنه المبحث من خاتمةٍ لدى الشُرّاح، **والثانية**: بالنتائج التي تمخَّضتْ عنها التعليقات على مطالب النصّ الشريف، وبيان أبرز ما جاء فيها، وبذلك نكون قد تتبَّعنا ما تعلَّق بالنصّ الشريف -موضع الدراسة- وفق المنهج المعتمد.

فإنْ أصبتُ فذلك مبلَغُ علمي ومقدار رزقي من التوفيق، ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[1]، والله وليُّ التوفيق، ومنه ومن رسوله (صلّى الله عليه وآله) نسأل المزيد، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا الله سَيُؤْتِينَا الله مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إلى الله**

(١) يوسف: ٧٦.

﴿رَاغِبُونَ﴾[1].

اللهم إنَّا إليك وإلى رسولك راغبون ولِفَضلكما مُلتمسون؛ ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾[2]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا أَنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[3]؛ فالحمدُ لله على فَضْلِه وفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المتشرِّف بالخدمتين

العتبة الحسينيّة المقدّسة وكتاب نهج البلاغة

السيّد نبيل الحسنيّ الكربلائيّ

(١) التوبة: ٥٩.

(٢) هود: ٨٨.

(٣) البقرة: ١٢٧.

المبحث السابع: اصطفاءُ الأنبياءِ (عليهم السلام) وبَعْثُهم.

قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام):

«واصْطَفَى سُبْحَانَهُ[1] مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ[2]، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ[3] عَنْ مَعْرِفَتِهِ، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ مِنْهُم[4] رُسُلَهُ، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ،

---

(١) (سُبْحَانَهُ) لم تُذكَر في: منهاج البراعة، حبيب الله الخوئيّ: ج١/ ص١٢٩.

(٢) (مِن وُلْدِ آدم أَنبِيَاء) هكذا ورد في: منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص٧٠.

(٣) (واحتَالتهُم بالشَّياطين) هكذا وردت في: منهاج البراعة، قطب الدين الراونديّ: ج١/ ص٧٠.

(٤) (إِليهِمْ) هكذا ورد في: نهج البلاغة (تحقيق: العطار): ص٧٥. (فِيهِمْ) هكذا ورد في: منهاج البراعة، قطب الدين الراونديّ: ج١/ ص٧٠، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ: ج١/ ص١١٣، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ: ج١/ ص١٩٨، منهاج البراعة، حبيب الله الخوئيّ: ج٢/ ص١٢٩، في ظلال نهج البلاغة، محمّد جواد مغنية: ج١/ ص٥٥، بهج الصباغة، محمّد تقيّ التستريّ: ج٢/ ص٢٥، مفتاح السعادة، محمّد تقي النقوي: ج١/ ص٢٩٧، نفحات الولاية، الشيرازيّ: ج١/ ص١٣٩، نهج البلاغة (تحقيق: صبحي الصالح): ص٤٣، نهج البلاغة (تحقيق: فارس الحسون): ص٣٤.

ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ[1] المَقْدُرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ[2] عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةِ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ؛ رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ[3] بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولاَ كَثْرَةُ المُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ[4] مَنْ قَبْلَهُ، عَلَىَ ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ[5]..»[6].

---

(١) (الآيات) هكذا وردت في: في ظلال نهج البلاغة، محمّد جواد مغنية: ج١/ ص٥٥.

(٢) (تتَابَعُ) هكذا وردت في: منهاج البراعة، قطب الدين الراونديّ: ج١/ ص٧٠، منهاج البراعة، حبيب الله الخوئيّ: ج٢/ ص١٢٩، بهج الصباغة، محمّد تقيّ التستريّ: ج٢/ ص٢٥، نهج البلاغة (تحقيق: العطّار): ص٧٦.

(٣) (تُقَصِّرُ) هكذا وردت في: منهاج البراعة، قطب الدين الراونديّ: ج١/ ص٧١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ: ج١/ ص١١٤، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ: ج١/ ص١٩٩، في ظلال نهج البلاغة، محمّد جواد مغنية: ج١/ ص٥٥، بهج الصباغة، محمّد تقيّ التستريّ: ج٢/ ص٢٨، مفتاح السعادة، محمّد تقي النقوي: ج١/ ص٢٩٧، نفحات الولاية، الشيرازيّ: ج١/ ص١٣٩، نهج البلاغة (تحقيق: العطّار): ص٧٦، نهج البلاغة (تحقيق: صبحي الصالح): ص٤٣، نهج البلاغة (تحقيق: فارس الحسُّون): ص٣٤.

(٤) (عَرَفَهُ) هكذا وردت في: نهج البلاغة (تحقيق: العطار): ص٧٨.

(٥) [مبعث النَّبيّ صلّى الله عليه وآله] هكذا ورد عنوان للفقرة في: نهج البلاغة (تحقيق: العطّار): ٧٦، ونهج البلاغة (تحقيق: صبحي الصالح): ص٤٤، ونهج البلاغة (تحقيق: فارس الحسون): ص٣٤.

(٦) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح مهدي الفرطوسّي: ج١/ ص١٨٢-١٨٣.

القسم الأوّل:
« المدخل إلى المبحث »

المسألة الأولى: موارد النَصّ ومصادِره:

لم أعثر على مصادر تناولت النَصّ الشريف المتعلِّق باصطفاء الله للأنبياء (عليهم السلام) والغاية من بَعْثهم قبل عصر الشريف الرضيّ (رحمه الله) أو في حياته - بحسب ما توافر لدي من مصادر- إلّا أنّني وجدتُ عددًا من المصادر التي صُنِّفت بعد وفاته وقد أوردَته بلفظه، وهي على النَّحْوِ الآتي:

١. **عيون الحكم والمواعظ**: تصنيف عليّ بن محمّد الليثيّ الواسطيّ (ت: ق٦)، وقد أورد من النَصِّ الشريف قوله (عليه السلام): «**ولَمْ يُخْلِ الله سُبْحَانَه عِبَادَهُ مِنْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ**»[1].

٢. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**: تصنيف يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم، الحسينيّ العلويّ الطالبيّ الملقّب بـ(المؤيَّد بالله) (ت ٧٤٥هـ)، وذكَر منها قوله (عليه السلام): «**ثُمَّ إنَّهُ تَعَالى اصْطَفَى مِنْ ذُرِّيَّتِه -يعني آدم- أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ؛ فَجَهِلُوا حَقَّه، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه؛ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ،**

(١) عيون الحكم والمواعظ، الليثيّ الواسطيّ: ص٤١٣.

ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلِقَتِ الأَنْبَاءُ»[1].

٣. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخِضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم:
تصنيف السيّد حيدر الآمليّ (ت: ٧٨٢هـ)، وقد أورد النَصَّ الشريف تحت عنوان (اختيار الأنبياء؛ فذكَر الآتي: «**واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ؛ فَجَهِلُوا حَقَّه، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه؛ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ»**[2].

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤيّد بالله: ج٢/ ص١٣٧-١٣٨.
(٢) تفسير المحيط الأعظم، الآملّي: ج٢/ ص١٥٢.

٤. **الصراط المستقيم**: تصنيف عليّ بن يونس العامليّ النباطيّ البياضيّ (ت ٨٧٧هـ) وقد أورد مِن النصّ الشريف قوله (عليه السلام): «**لَمْ يُخْلِ الله خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ**»(١).

٥. **مجمع البحرين**: تصنيف الطريحيّ (ت ١٠٨٥هـ)، وقد أورد من النصّ الشريف قوله (عليه السلام): «**لَمْ يُخْلِ الله خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ**»(٢).

٦. **بحار الأنوار**: تصنيف العلامة المجلسيّ (ت: ١١١١هـ)، وقد أورد النصّ الشريف بالكامل؛ إذ قال: «قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة طويلة يذكر فيها آدم (عليه السلام): (**فَأَهْبَطَه إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ، واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه؛ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ الله سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ،**

(١) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملّي: ج١/ ص١١٣.
(٢) مجمع البحرين، الطريحيّ: ج٢/ ص٢٨٧-٢٨٨، مادّة (حجج).

وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَه مُحَمَّداً لإِنْجَازِ عِدَّتِه، وَتَمَامِ نُبُوَّتِه ..)، إلى آخر الخطبة»[1].

٧. **تفسير نور الثقلين**: تصنيف الشيخ الحويزيّ (ت: ١١١٢هـ)، وقد أورد النصّ الشريف نقلًا عن النهج: «**فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ؛ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صلّى الله عليه وآله**»[2].

المسألة الثانية: مقدّمة الشُرّاح للنصِّ:

أولًا- الراونديّ:

قال: «إلى أنْ ذكر بعثة الله الرُّسل والأنبياء من أولاده في كلِّ زمانٍ إلى أُممهم، ويُذكر بعد هذا الفصل نبوَّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وشريعته، ونُفصِّلُها ونُبيِّنُها»[3].

(١) بحار الأنوار: ج١١/ ص٦٠-٦١.
(٢) تفسير نور الثقلين، الحويزيّ: ج١/ ص٥٧٦.
(٣) منهاج البراعة: ج١/ ص٧٢.

ثانيًا- النقويّ:

قال: «ثمّ بعد فراغه (عليه السلام) عن كيفيّة خَلق السَموات والأرضين، وكيفيّة خَلق الملائكة وأبينا آدم، إلى أن هبط إلى الأرض، شرع في بيان معنى تناسُل الذُرّية، واصطفائه الأنبياء منهم، فقال (عليه السلام): ثمّ اختار الله سبحانه من وُلْدِ آدم (عليه السلام) أنبياء، أخذ الله تبارك وتعالى على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة بما يوحي إليهم أمانتهم؛ وذلك لأنّ أكثر الناس بدّلوا عهد الله وميثاقه إليهم، فجَهِلوا حقَّ الله تعالى، واتَّخذوا الأمثال معه، وصاروا مشركين؛ لأنّ الشياطين أخذوهم بالحيلة، وسَدّوهم عن طريق المعرفة، وقطعوا طُرق الوصول إلى الله تعالى، فبعث في الناس أنبياءه ورُسلَه واحدًا بعد واحد؛ ليطلبوا منهم الميثاق الفطريّ، ويُذكِّروهم النِّعَم المنسيّة، ويُتِمّوا عليهم الحُجَّة بسبب التبليغ، ويُقلِّبوا أمراض قلوبهم، ويُظهروا عقولهم، ويُريهم الآيات المقدّرة السماويّة والأرضيّة والنِّعَم التي سَبَبٌ لمعاشهم، والموت الذي لا بُدّ لهم منه، وأمراضًا تُضعفهم، والحوادث المتتابعة عليهم، ولم يُخلِ الله سبحانه في زمانٍ من الأزمنة خَلقه من الأنبياء والكتب المُنْزَلة؛ كلُّ ذلك لطفًا منه تعالى ورحمةً له علينا، ولا تضرّ بذلك كثرة المنكِرين لأنبيائه؛ فإنّهم (عليه السلام) كلُّ سابقٍ منهم قد أَخبر عن لاحِقه، وكلُّ لاحقٍ عرَّف مَن قَبله، على هذا المنوال مضى الأيّام واللّيالي والدُّهور، وعليه مضت الآباء وخَلَفَت الأنبياء؛ والمقصود أنّه سبحانه بمقتضى لُطفه وكرمه قد مَنَّ على العباد بإرسال الأنبياء، وإنزال الكتب السماويّة لإرشادهم وهدايتهم على الطَّريق، كما سيظهر لك إن شاء الله»[1].

(١) مفتاح السعادة: ج١/ ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

ثالثًا- الشيرازيّ:

قال: «لقد تحدَّث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من خطبته عن قضية بَعْثِ الأنبياء؛ وهي المرحلة التي أعقبت مرحلة خَلق آدم وممارسة الحياة على الأرض، وقد تطرَّق الإمام (عليه السلام) بادئ ذي بَدْءٍ إلى عِلَّة بَعْثِ الأنبياء وإرسال الرُّسل، ثمّ أشار إلى ماهيّة مضمون دعوات الأنبياء ورسالاتهم، إلى جانب استعراض الخطوط الرئيسيّة لتعاليمهم وإرشاداتهم، وأخيرًا خصائص الأنبياء وصُمودهم أمام الصعاب والمشاكل، والإطار العامّ الذي كان يحكم علاقاتهم فيما بينهم، وكيفيّة ارتباط بعضهم مع البعض الآخر»[1].

المسألة الثالثة: رؤوس الموضوعات في النصّ الشريف:

اشتمل النصّ المتضمن ذِكر اصطفاء الله لأنبيائه (صلوات الله وسلامه عليهم) على مجموعة من رؤوس الموضوعات، وهي على النَّحْوِ الآتي:

١- الاصطفاء.

٢- ميثاق الأنبياء.

٣- عِلّة البعث.

٤- الفطرة.

٥- التبليغ.

٦- العقل.

٧- حُجَّة الله.

٨- تاريخ الأمم.

(١) نفحات الولاية: ج١/ ص ١٣٩-١٤٠.

القسم الثاني:
« مطالب النَصِّ وحقوله المعرفيّة »

المطلب الأول: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ».

اشتمل اللَّفظُ الشريف على جُملة من الحقول المعرفية؛ كاللُّغة، والإعراب، والشَرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «قوله: (**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ**)، قال أبو عبيدة: أصل (النبيّ) مهموز من نبات أو نبّات، ولكن العرب تركت همزته، وكذلك في البريّة والرزيّة.

ويقال: إنّ أصل (النبيّ) الطريق، وسُمّي الطريق نبيًّا، لأنّه ظاهر مستنير[1].

وقيل: النبيُّ من النَّبْوَة وهو المكان المرتفع، فالنبيُّ فوق الناس في الرُتبة كما أنّ النَّبْوَة فوق الأرض[2].

وقال عَدِي: ولا يحل نبيّ البشر فيه. البشر موضع.

وقيل: النبيّ اسم عامّ يعمُّ من أنبأ عن الله تعالى: والرسول اسم خاصّ

(١) ينظر: العين: ج٨/ ص٣٨٢، مادّة: (نبأ).
(٢) ينظر: الصحاح، الجوهريّ: ج٦/ ص٢٥٠٠، مادّة (نبا).

يخصّ صاحب الشرع؛ إشارة إلى حكمة الله في بعث الأنبياء (عليهم السلام).

وفي العقل مُجوِّزات لا طريق إليها إلّا السَمع»[1].

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «(**اصْطَفَى أَنْبِيَاءَ**): أي اختارهم، افتعل من الصفوة[2]، والولد: المولود يُقال للواحد والجَمْع[3]؛ لأنَّه مصدر في الأصل»[4].

ثالثًا- المعتزليّ:

قال: «أمَّا القطب الراونديّ، فقال في قوله (عليه السلام): (**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ**): الولد: يُقال على الواحد والجَمع؛ لأنَّه مصدر في الأصل[5]، وليس بصحيح؛ لأنَّ الماضي (فعل) بالفتح، والمفتوح لا يأتي مصدره بالفتح؛ ولكن (فعلًا) مصدر (فعل) بالكسر، كقولك: وَلِهَتْ عليه وَلَهًا، ووَحِمَتِ المرأةُ وَحَمًا[6]»[7].

رابعًا- البحرانيّ:

(١) معارج نهج البلاغة: ص٦٩-٧٠.
(٢) ينظر: العين: ج٧/ ص ١٦٣، مادّة (صفو)، تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج١٢/ ص ١٧٤، مادّة (صفا)، وقد ورد هذا المعنى في: بهج الصباغة، التستريّ: ج٢/ ص ٢٩، مفتاح السعادة، النقويّ: ج١/ ص٢٩٧.
(٣) ينظر: معجم ديوان الأدب، الفارابّي: ج٣/ ص ٢١٢، باب (فُعْل)، الصحاح، الجوهريّ: ج٢/ ص٥٥٣، مادّة (ولد).
(٤) منهاج البراعة: ج١/ ص ٧٦.
(٥) منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص٧٦.
(٦) ينظر: المصباح المنير، الفيوميّ: ج٢/ ص٦٥١، (و ح م).
(٧) شرح نهج البلاغة: ج ١/ ص١١٥.

قال: «الاصطفاء: الاستخلاص[1]»[2].

خامسًا- مغنية:

قال: «الميثاق: (العهد)[3]»[4].

سادسًا- التستري:

قال: «(**سُبْحَانَهُ**)؛ أي: المنزَّه من كلِّ نَقْصٍ[5]»[6].

سابعًا- الشيرازيّ:

قال: «الميثاق: كما ورد في صحاح اللُّغة من مادّة (الوثوق) بمعنى الاعتماد على أمانة الشخص، ومن هنا أُطلق على الميثاق اسم العهد؛ لأنّه يدعو إلى الاطمئنان والوثوق[7]، طبعًا كان الأصل (موثاق) ثُمّ بُدِّلَت الواو بالياء»[8].

المسألة الثانية: الإعراب:

أولًا- الخوئيّ:

قال: «جملة (**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ**) في محلّ النَصب على الحاليّة من فاعل (أخذ) أو مفعوله»[9].

(١) ينظر: تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج١٢/ ص١٧٤، مادّة (صفى).
(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٠.
(٣) الصحاح، الجوهريّ: ج٤/ ص١٥٦٣، مادّة (وثق).
(٤) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.
(٥) ينظر: العين: ج٣/ ص١٥١، مادّة (سبح).
(٦) بهج الصباغة: ج٢/ ص٢٩.
(٧) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج٤/ ص١٥٦٣، مادّة (وثق).
(٨) نفحات الولاية: ج١/ هامش ص١٤٠.
(٩) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٣٠.

ثانيًا- مؤسّسة علوم نهج البلاغة:

«**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ**»: الواو حرف عطف، (**اصْطَفَى**): فعل ماضٍ مبنيٌّ على فتحٍ مُقدَّر، والفاعل ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة (الله)، (**سُبْحَانَهُ**): مفعول مطلق منصوب، وقيل نائب عن المفعول المطلق منصوب، وهو مضاف، والهاء ضمير في محلِّ جرٍّ مضاف إليه، (**مِنْ وَلَدِهِ**): جارٌّ ومجرور متعلِّق بالفعل (**اصْطَفَى**) و(ولد) مضاف، والهاء ضمير في محل جر مضاف إليه، (**أَنْبِيَاءَ**): مفعول به للفعل منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

«**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**»: (**أَخَذَ**): فعل ماضٍ والفاعل ضمير مستتر، (**عَلَى الوَحْيِ**): جارّ ومجرور متعلق بـ (**مِيثَاقَهُمْ**)، (**مِيثَاقَهُمْ**): مفعول به منصوب للفعل (**أَخَذ**) وهو مضاف و(هم) ضمير مضاف إليه.

«**وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**»: معطوفه على (**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ**...).

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح.

أولًا- البيهقيّ:

قال: «ولا بُدّ من نبيّ ينبّه الخَلق على ما غفلوه عنه من طريق السمع، ولا طريق للعقل إليه، وقد ثبت في العقول أنّ في الأفعال ما يدعو إلى الخيرات، فيكون مصالح، وفيها ما يدعو الى السيّئات، فيكون مفاسد. وإذا كان كذلك، وكان الله تعالى عالمًا بالخفيّات، لم يستحل أن يعلم الله من مصالح العباد ما يخفى على العباد، من أعداد ركعات الصلاة والصوم في الوقت المفروض، والحجّ الى مكان مُعيّن.

لذلك قال الله، تعالى: ﴿**اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتابِ**﴾[1]، وقال عقيب كفّارة الظّهار: ﴿**ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ**﴾[2].

ونظير ذلك ما يتناوله من الأدوية؛ فإنّه يختصّ بقدر دون قدر وبوزن دون وزن، حتّى لو زِيْدَ عليه، أو نقص منه صار مفسدةً. وإذا كان في مصالح الأبدان مثله، لم يمتنع أن يكون في مصالح الأديان مثله، ولا يجب على الطبيب إذا عالج مريضًا بأدويةٍ مخصوصة موزونة أن يُبيّن لهم وجه الحكمة في القدر المعلوم والوزن المعلوم، كذلك لا يجب على صاحب الشريعة ذلك وكيف، وقد ثبت لنا بالدلائل والمعجزات صِدق النبيّ [صلّى الله عليه وآله]، وما ثبت لنا صِدقُ الطَّبيب.

ومثال ما يتكلَّم فيه، مثال مريض يعلم أنّ الله، تعالى، خَلَقَ لدائه دواء، ولا يُعلم كُنه ذلك الدواء وكيفيّته وتفصيله ومقداره، فيحتاج إلى الطَّبيب يُعيِّن ذلك، كذلك يعلم العاقل أنّ في الأفعال ما يكون في نجاة المكلَّفين، فيحتاج إلى نبيّ مبعوث يهديه ويُرشده إلى هذه الأفعال»[3].

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «وكان آدم يَدعو وُلدَه ووُلد وُلده إلى الله ويُعلّمهم الشرائع، ويُنبّههم على الدلالات، إلى أنْ توفّي فكان شيث وصيَّهُ فقام مقامه، ثُمّ قام وصيٌّ وصيِّه محافظًا لشريعة آدم، وكُلَّما مضى وصيٌّ قام آخرُ مقامه من قبل الله»[4].

(١) العنكبوت: ٤٥.
(٢) المجادلة: ٤.
(٣) معارج نهج البلاغة: ص٧٠-٧١.
(٤) منهاج البراعة: ج١/ ص ٨٣.

ثالثًا- الكيذريّ:

قال: «(**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**)؛ أَخْذُ العهد إشارة إلى ما هو مُقرر في العقول من دلائل التوحيد؛ و**العدل**: وهو فطرةُ الله التي فطر الناسَ عليها»[1].

رابعًا- المعتزليّ:

قال: «يُسأل في هذا الفصل عن أشياءَ: منها، عن قوله (عليه السلام): (**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**).

والجواب، أنَّ المراد أخَذَ على أداء الوحي ميثاقَهُم؛ وذلك أنّ كلَّ رسولٍ أُرسِلَ فمأخوذ عليه أداء الرسالة؛ كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[2]»[3].

خامسًا- البحرانيّ:

قال: «البحث الأوّل:

الضمير في (وَلَدِه) راجع إلى آدم (عليه السلام)، ثمّ إنْ كانت الإشارة بآدم إلى النوع الإنسانيّ فنسبةُ الولادة إليه في العُرف ظاهرةٌ صادقة، فإنَّ كُلّ أشخاص نوعٍ هم أبناء ذلك النوع في اصطلاح أهل التأويل، وكذلك إنْ كان المراد به أوّل شخصٍ وُجِد، واعلم أنّ اصطفاء الله للأنبياء يعود إلى إفاضة الكمال النبويّ عليهم بحسب ما وهبتْ لهم العنايةُ الإلهيّة من القبول والاستعداد.

(١) حدائق الحقائق: ج١ ص١٣٩

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ١١٤.

و(**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**) هو حكم الحكمة الإلهيّة عليهم بالقوّة على ما كُلِّفوا به من ضَبْط الوحي في ألواح قِواهم، وجذب سائر النفوس الناقصة إلى جناب عِزّته بحسب ما أفاضهم من القُوّة على ذلك الاستعداد له، وما منحهم من الكمال الذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم، ولمّا كانت صورة العهد وأَخْذُ الأمانة في العُرف أن يُوعَز إلى الإنسان بأمر، ويؤكَّد عليه القيام به بالأيمان، وإشهاد الحقّ سبحانه، وكان الحكم الإلهيّ جاريًا بإرسال النفوس الإنسانيّة إلى هذا العالم، وكان مراد العناية الإلهيّة من ذلك البعث أن يظهر ما في قوّة كلّ نفس من كمالٍ أو تكميلٍ إلى الفعل، وكان ذلك لا يتمُّ إلّا بواسطة بعضها للبعض، كان الوجهُ الذي بُعِثَت عليه مُشْبِهًا للعهد والميثاق المأخوذ والأمانة المودَعة كلّ لما في قُوّته وما أُعِدّ له، فحَسُن إطلاق هذه الألفاظ واستعارتها هاهنا»[1].

سادسًا- الخوئيّ:

قال: «(**اصْطَفَى مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**)، أي أخذ منهم العهدَ والميثاقَ على أداء الوحي إليهم من الأصول والفروع، وأخذَ الأمانةَ منهم على تبليغ الرسالة، ونشر الشرائع والأحكام، وإبلاغها إلى أُمّتهم كما قال سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾[2].

(١) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٠-٢٠١.
(٢) الأحزاب: ٧.

وتوضيح هذا الأخذ ما رواه في الكافي كالبحار من تفسير العياشيّ بإسنادهما: عن أبي حمزة الثماليّ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (لَمَّا أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ أُهْبِطَ إِلَى الأَرْضِ فَوُلِدَ لَهُ هَابِيلُ وَأُخْتُهُ تَوْأَمٌ، ثُمَّ إِنَّ آدَمَ أَمَرَ هَابِيلَ وَقَابِيلَ أَنْ يُقَرِّبَا قُرْبَانًا، وَكَانَ هَابِيلُ صَاحِبَ غَنَمٍ، وَكَانَ قَابِيلُ صَاحِبَ زَرْعٍ، فَقَرَّبَ هَابِيلُ كَبْشًا مِنْ أَفَاضِلِ غَنَمِهِ، وَقَرَّبَ قَابِيلُ مِنْ زَرْعِهِ مَا لَمْ يُنَقَّ، فَتُقُبِّلَ قُرْبَانُ هَابِيلَ، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُ قَابِيلَ، وَهُوَ قَوْلُ الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾[1]، وَكَانَ القُرْبَانُ تَأْكُلُهُ النَّارُ، فَبَنَى لَهَا بَيْتًا وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى بُيُوتَ النَّارِ، فَقَالَ: لأَعْبُدَنَّ هذِهِ النَّارَ حَتَّى تَتَقَبَّلَ مِنِّي قُرْبَانِي، ثُمَّ إِنَّ إِبْلِيسَ (لَعَنَهُ اللهُ) أَتَاهُ وَهُوَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فِي العُرُوقِ، فَقَالَ لَهُ:

يَا قَابِيلُ، قَدْ تُقُبِّلَ قُرْبَانُ هَابِيلَ، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُكَ، وَإِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَهُ يَكُونُ لَهُ عَقِبٌ يَفْتَخِرُونَ عَلى عَقِبِكَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ الَّذِي تُقُبِّلَ قُرْبَانُهُ، وأنتم أبناء الذي ترك قربانه، فَاقْتُلْهُ كَيْلَا يَكُونَ لَهُ عَقِبٌ يَفْتَخِرُونَ عَلى عَقِبِكَ، فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ قَابِيلُ إِلى آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ لَهُ: يَا قَابِيلُ، أَيْنَ هَابِيلُ؟ قَالَ: اطْلُبْ[هُ] (اطلبوه خل) حَيْثُ قَرَّبْنَا القُرْبَانَ، فَانْطَلَقَ آدَمُ، فَوَجَدَ هَابِيلَ مَقْتُولًا، فَقَالَ آدَمُ: لُعِنْتِ مِنْ أَرْضٍ كَمَا قَبِلْتِ دَمَ هَابِيلَ، وَبَكَى آدَمُ (صلّى الله عليه) عَلى هَابِيلَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ إِنَّ آدَمَ سَأَلَ رَبَّهُ وَلَدًا، فَوُلِدَ لَهُ غُلَامٌ، فَسَمَّاهُ هِبَةَ الله؛ لِأَنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) وَهَبَهُ لَهُ وَأُخْتُهُ تَوْأَمٌ، فَلَمَّا انْقَضَتْ نُبُوَّةُ آدَمَ وَاسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، أوحى الله (عَزَّ وَجَلَّ):

(١) المائدة: ٢٧.

أَنْ يَا آدَمُ، قَدِ قُضِيَتْ نُبُوَّتُكَ، وَاسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، فَاجْعَلِ العِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ، وَالْإِيمَانَ وَالِاسْمَ الأَكْبَرَ وَمِيرَاثَ العِلْمِ وَآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ فِي العَقِبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ عِنْدَ هِبَةِ الله ابنك، فَإِنِّي لَمْ أَقْطَعِ العِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالِاسْمَ الأَكْبَرَ وَآثَارَ عِلْمَ النُّبُوَّةِ مِنَ العَقِبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَنْ أَدَعَ الأَرْضَ إِلَّا وَفِيهَا عَالِمٌ يُعْرَفُ بِهِ دِينِي، وَيُعْرَفُ بِهِ طَاعَتِي، وَيَكُونُ نَجَاةً لِمَنْ يُولَدُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ نُوحٍ.

وَبَشَّرَ آدَمَ بِنُوحٍ، وقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى بَاعِثٌ نَبِيًّا اسْمُهُ نُوحٌ، وَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الله (عَزَّ ذِكْرُهُ) وَيُكَذِّبُهُ قَوْمُهُ، فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ بِالطُّوفَانِ، وَكَانَ بَيْنَ آدَمَ وَبَيْنَ نُوحٍ عَشَرَةُ آبَاءٍ أَنْبِيَاءُ وَأَوْصِيَاءُ كُلُّهُمْ، وَأَوْصى آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلى هِبَةِ الله أَنَّ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيُؤْمِنْ بِهِ وَلْيَتَّبِعْهُ وَلْيُصَدِّقْ بِهِ، فَإِنَّهُ يَنْجُو مِنَ الغَرَقِ، ثُمَّ إِنَّ آدَمَ مَرِضَ المَرْضَةَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَأَرْسَلَ هِبَةَ الله، وَقَالَ لَهُ: إِنْ لَقِيتَ جَبْرَئِيلَ أَوْ مَنْ لَقِيتَ مِنَ المَلَائِكَةِ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَا جَبْرَئِيلُ، إِنَّ أَبِي يَسْتَهْدِيكَ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ:

يَا هِبَةَ الله، إِنَّ أَبَاكَ قَدْ قُبِضَ، وَإِنَّا نَزَلْنَا لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ (وَمَا نَزَلْنَا إِلَّا لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ)، فَارْجِعْ، فَرَجَعَ، فَوَجَدَ آدَمَ قَدْ قُبِضَ، فَأَرَاهُ جَبْرَئِيلُ كَيْفَ يُغَسِّلُهُ، فَغَسَّلَهُ حَتّى إِذَا بَلَغَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، قَالَ هِبَةُ الله: يَا جَبْرَئِيلُ، تَقَدَّمْ فَصَلِّ عَلى آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ: إِنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَمَرَنَا أَنْ نَسْجُدَ لِأَبِيكَ آدَمَ وَهُوَ فِي الجَنَّةِ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَؤُمَّ شَيْئًا مِنْ وُلْدِهِ، فَتَقَدَّمَ هِبَةُ الله وَصَلّى عَلى أَبِيهِ وَجَبْرَئِيلُ خَلْفَهُ وَجُنُودُ المَلَائِكَةِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، فَأَمَرَهُ جَبْرَئِيلُ فَرَفَعَ مِنْ ذَلِكَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ تَكْبِيرَةً، وَالسُّنَّةُ اليَوْمَ فِينَا خَمْسُ تَكْبِيرَاتٍ، وَقَدْ كَانَ يُكَبَّرُ عَلى أَهْلِ

بَدْرٍ تِسْعًا وَسَبْعًا، ثُمَّ إِنَّ هِبَةَ الله لَمَّا دَفَنَ أَبَاهُ، أَتَاهُ قَابِيلُ، فَقَالَ: يَا هِبَةَ الله إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَبِي آدَمَ قَدْ خَصَّكَ مِنَ العِلْمِ بِمَا لَمْ أُخَصَّ بِهِ أَنَا، وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي دَعَا بِهِ أَخُوكَ هَابِيلُ فَتُقُبِّلَ قُرْبَانُهُ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِكَيْلَا يَكُونَ لَهُ عَقِبٌ فَيَفْتَخِرُونَ عَلى عَقِبِي فَيَقُولُونَ:

نَحْنُ أَبْنَاءُ الَّذِي تُقُبِّلَ قُرْبَانُهُ، وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ الَّذِي تُرِكَ قُرْبَانُهُ، وَإِنَّكَ إِنْ أَظْهَرْتَ مِنَ العِلْمِ الَّذِي اخْتَصَّكَ بِهِ أَبُوكَ شَيْئًا قَتَلْتُكَ كَمَا قَتَلْتُ أَخَاكَ هَابِيلَ، فَلَبِثَ هِبَةُ الله وَالْعَقِبُ مِنْهُ مُسْتَخْفِينَ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالِاسْمِ الأَكْبَرِ، وَمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ وَآثَارِ عِلْمِ النُّبُوَّةِ، حَتّى بَعَثَ اللهُ نُوحًا، وَظَهَرَتْ وَصِيَّةُ هِبَةِ الله حِينَ نَظَرُوا فِي وَصِيَّةِ آدَمَ، فَوَجَدُوا نُوحًا نَبِيًّا قَدْ بَشَّرَ بِهِ أَبُوهُمْ آدَمُ، فَآمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ وَصَدَّقُوهُ، وَقَدْ كَانَ آدَمُ أَوْصَى إِلى هِبَةَ الله أَنْ يَتَعَاهَدَ هذِهِ الوَصِيَّةَ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ فَيَكُونَ يَوْمَ عِيدِهِمْ فَيَتَعَاهَدُونَ بَعْثَ نُوحٍ وَزَمَانَهُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ، وَكَذلِكَ جَاءَ فِي وَصِيَّةِ كُلِّ نبيّ حَتّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا (صلّى الله عليه وآله)[1]، وإِنَّمَا عَرَفُوا نُوحًا بِالْعِلْمِ الَّذِي عِنْدَهُمْ، وهُوَ قَوْلُ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِه﴾[2]، وكَانَ مَنْ بَيْنَ آدَمَ ونُوحٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مُسْتَخْفِينَ؛ ولِذَلِكَ خَفِيَ ذِكْرُهُمْ فِي القُرْآنِ فَلَمْ يُسَمَّوْا كَمَا سُمِّيَ مَنِ اسْتَعْلَنَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ (صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ) وهُوَ قَوْلُ الله (عَزَّ وَجَلَّ):

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[3]؛

(١) تفسير العياشّي: ج١/ ص٣٠٩-٣١١، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٢٣/ ص٦٣-٦٥، مع تفاوت في نقل الحديث من حيث وروده بتمامه أو جزء منه.

(٢) هود: ٢٥، المؤمنون: ٢٣، العنكبوت: ١٤.

(٣) النساء: ١٦٤.

يَعْنِي لَمْ أُسَمِّ الْمُسْتَخْفِينَ كَمَا سَمَّيْتُ الْمُسْتَعْلِنِينَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) فَمَكَثَ نُوحٌ (صلى الله عليه) فِي قَوْمِه الْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا لَمْ يُشَارِكْه فِي نُبُوَّتِه أَحَدٌ؛ ولَكِنَّه قَدِمَ عَلَى قَوْمٍ مُكَذِّبِينَ لِلأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَه وبَيْنَ آدَمَ (صلى الله عليه) وذَلِكَ قَوْلُ الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]؛ يَعْنِي مَنْ كَانَ بَيْنَه وبَيْنَ آدَمَ إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَى قَوْلِه (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[2]، ثُمَّ إِنَّ نُوحًا لَمَّا انْقَضَتْ نُبُوَّتُه واسْتُكْمِلَ أَيَّامُه أَوْحَى الله عَزَّ وجَلَّ إِلَيْه:

أَنْ يَا نُوحُ قَدْ قَضَيْتَ نُبُوَّتَكَ، واسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، فَاجْعَلِ العِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ، والإِيمَانَ، والِاسْمَ الأَكْبَرَ، ومِيرَاثَ العِلْمِ، وآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ فِي العَقِبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَإِنِّي لَنْ أَقْطَعَهَا كَمَا لَمْ أَقْطَعْهَا مِنْ بُيُوتَاتِ الأَنْبِيَاءِ (صلوات الله عليهم) الَّتِي بَيْنَكَ وبَيْنَ آدَمَ (عليه السلام)، ولَنْ أَدَعَ الأَرْضَ إِلَّا وفِيهَا عَالِمٌ يُعْرَفُ بِه دِينِي، ويُعْرَفُ بِه طَاعَتِي، ويَكُونُ نَجَاةً لِمَنْ يُولَدُ فِيهَا بَيْنَ قَبْضِ النَّبِيِّ إِلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ الآخَرِ، وبَشَّرَ نُوحٌ سَامًا بِهُودٍ، فَكَانَ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ وهُودٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام)، وقَالَ نُوحٌ:

إِنَّ الله بَاعِثٌ نَبِيًّا يُقَالُ لَه هُودٌ، وإِنَّه يَدْعُو قَوْمَه إِلَى الله (عَزَّ وجَلَّ) فَيُكَذِّبُونَه، والله (عَزَّ وَجَلَّ) مُهْلِكُهُمْ بِالرِّيحِ، فَمَنْ أَدْرَكَه مِنْكُمْ فَلْيُؤْمِنْ بِه ولْيَتَّبِعْه، فَإِنَّ الله (عَزَّ وجَلَّ) يُنْجِيه مِنْ عَذَابِ الرِّيحِ، وأَمَرَ نُوحٌ (عليه السلام) ابْنَه سَامًا أَنْ يَتَعَاهَدَ هَذِه الوَصِيَّةَ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ، فَيَكُونَ يَوْمُئِذٍ عِيدًا لَهُمْ فَيَتَعَاهَدُونَ فِيه مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ، والإِيمَانِ، والِاسْمِ الأَكْبَرِ، ومَوَارِيثِ العِلْمِ، وآثَارِ

(١) الشعراء: ١٠٥.

(٢) الشعراء: ٩.

عِلْمِ النُّبُوَّةِ، فَوَجَدُوا هُودًا نَبِيًّا وقَدْ بَشَّرَ بِه أَبُوهُمْ نُوحٌ (عليه السلام) فَآمَنُوا بِه، واتَّبَعُوه، وصَدَّقُوه، فَنَجَوْا مِنْ عَذَابِ الرِّيحِ، وهُوَ قَوْلُ الله (عَزَّ وجَلَّ):

﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُودًا﴾[1]، وقوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ إِلّا تَتَّقُونَ﴾[2]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿وَوَصّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيه وَيَعْقُوبُ﴾[3]، وَقَوله: ﴿وَوَهَبْنا لَه إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنا﴾[4] لِنَجْعَلَهَا فِي أَهْلِ بَيْتِه: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ﴾[5]، نَجْعَلَهَا فِي أَهْلِ بَيْتِه، وأَمَرَ العَقِبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ الأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) مَنْ كَانَ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ لإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، وكَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وهُودٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ (صلوات الله عليهم) وهُوَ قَوْلُ الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾[6]، وقوله عزَّ ذكره: ﴿فَآمَنَ لَه لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي﴾[7]، وقوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِه اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوه ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[8].

فَجَرَى بَيْنَ كُلِّ نَبِيَّيْنِ عَشَرَةُ أَنْبِيَاءَ وتِسْعَةُ وثَمانِيَةُ أَنْبِيَاءَ كُلُّهُمْ أَنْبِيَاءُ، وجَرَى لِكُلِّ نبيّ كَمَا جَرَى لِنُوحٍ (عليه السلام)، وكَمَا جَرَى لآدَمَ، وهُودٍ، وصَالِحٍ، وشُعَيْبٍ، وإِبْرَاهِيمَ (صلوات الله عليهم) حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ

(١) الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠.
(٢) الشعراء: ١٢٣-١٢٤.
(٣) البقرة: ١٣٢.
(٤) الأنعام: ٨٤.
(٥) الأنعام: ٨٤.
(٦) هود:٨٩.
(٧) العنكبوت: ٢٦.
(٨) العنكبوت: ١٦.

(عليه السلام)، ثُمَّ صَارَتْ مِنْ بَعْدِ يُوسُفَ فِي أَسْبَاطِ إِخْوَتِه، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مُوسَى (عليه السلام) فَكَانَ بَيْنَ يُوسُفَ وبَيْنَ مُوسَى مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَرْسَلَ الله مُوسَى وهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وقَارُونَ، ثُمَّ أَرْسَلَ الرُّسُلَ: ﴿تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾[1]، وكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَقْتُلُ نَبِيًّا... [2] اثْنَانِ قَائِمَانِ ويَقْتُلُونَ اثْنَيْنِ وأَرْبَعَةٌ قِيَامٌ، حَتَّى أَنَّه كَانَ رُبَّمَا قَتَلُوا فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ سَبْعِينَ نَبِيًّا، ويَقُومُ سُوقُ قَتْلِهِمْ آخِرَ النَّهَارِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى (عليه السلام)، بَشَّرَ بِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله).

وكَانَ بَيْنَ يُوسُفَ ومُوسَى مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وكَانَ وَصِيُّ مُوسَى يُوشَعَ بْنَ نُونٍ (عليه السلام)، وهُوَ فَتَاه الَّذِي ذَكَرَه الله فِي كِتَابِه، فَلَمْ تَزَلِ الأَنْبِيَاءُ تُبَشِّرُ بِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، حَتَّى بَعَثَ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَبَشَّرَ بِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، وذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يَعْنِي اليَهُودَ والنَّصَارَى ﴿مَكْتُوبًا﴾ يَعْنِي صِفَةَ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله) ﴿عِنْدَهُمْ﴾ يَعْنِي فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ[3] عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[4] وهُوَ قَولُ الله (عَزَّ وَجَلَّ) يُخْبِرُ عَنْ عِيْسَى (عليه السلام): ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[5]، وبَشَّرَ مُوسَى وعِيسَى بِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) كَمَا بَشَّرَ الأَنْبِيَاءُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى بَلَغَتْ مُحَمَّدًا، فَلَمَّا قَضَى مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله)

(١) المؤمنون: ٤٤.
(٢) النقاط من عمل الشارح وقد أورد الكلينيّ الحديث كاملا .
(٣) ﴿وينهيهم﴾ هكذا في منهاج البراعة.
(٤) الأعراف: ١٥٧.
(٥) الصف: ٦.

نُبُوَّتَه، واسْتُكْمِلَتْ أَيَّامُه، أَوْحَى الله تَبَارَكَ وتَعَالَى إِلَيْه:

أَنْ يَا مُحَمَّدُ قَدْ قَضَيْتَ نُبُوَّتَكَ واسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، فَاجْعَلِ العِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ والإِيمَانَ والاسْمَ الأَكْبَرَ ومِيرَاثَ العِلْمِ وآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ فِي أَهْلِ بَيْتِكَ، عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) فَإِنِّي لَمْ أَقْطَعِ العِلْمَ والإِيمَانَ والاسْمَ الأَكْبَرَ ومِيرَاثَ العِلْمِ وآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ مِنَ العَقِبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، كَمَا لَمْ أَقْطَعْهَا مِنْ بُيُوتَاتِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَكَ وبَيْنَ أَبِيكَ آدَمَ، وذَلِكَ قَوْلُ الله وتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى العالَمِينَ * ذُرِّيَّة بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وإِنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ العِلْمَ جَهْلًا، ولَمْ يَكِلْ أَمْرَه إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِه، لَا إِلَى مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولَا إِلى نبيّ مُرْسَلٍ؛ ولَكِنَّه أَرْسَلَ رَسُولًا مِنْ مَلَائِكَتِه، فَقَالَ لَه:

قُلْ كَذَا وكَذَا، فَأَمَرَهُمْ بِمَا يُحِبُّ ونَهَاهُمْ عَمَّا يَكْرَه، فَقَصَّ عَلَيْهِمْ أَمْرَ خَلْقِه بِعِلْمٍ، فَعَلِمَ ذَلِكَ العِلْمَ وعَلَّمَ أَنْبِيَاءَه وأَصْفِيَاءَه مِنَ الأَنْبِيَاءِ والإِخْوَانِ والذُّرِّيَّةِ الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَذَلِكَ قَوْلُه (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[2]، فَأَمَّا الكِتَابُ فَهُوَ النُّبُوَّةُ.

وأَمَّا الحِكْمَةُ فَهُمُ الحُكَمَاءُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّفْوَةِ، وأَمَّا المُلْكُ العَظِيمُ فَهُمُ الأَئِمَّةُ مِنَ الصَّفْوَةِ، وكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الذُّرِّيَّةِ الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، والْعُلَمَاءُ الَّذِينَ جَعَلَ فِيهِمُ البَقِيَّةَ وفِيهِمُ البَاقِيَة وحِفْظَ المِيثَاقِ حَتَّى تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا، والْعُلَمَاءَ ولِوُلَاةِ الأَمْرِ اسْتِنْبَاطُ العِلْمِ ولِلْهُدَاةِ، فَهَذَا شَأْنُ الفُضَّلِ مِنَ الصَّفْوَةِ

(١) آل عمران: ٣٣-٣٤.

(٢) النساء: ٥٤.

والرُّسُلِ والأَنْبِيَاءِ والحُكَمَاءِ وأَئِمَّةِ الهُدَى والخُلَفَاءِ الَّذِينَ هُمْ وُلَاةُ أَمْرِ الله (عَزَّ وجَلَّ)، واسْتِنْبَاطِ عِلْمِ الله وأَهْلُ آثَارِ عِلْمِ الله مِنَ الذُّرِّيَّةِ الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ مِنَ الصَّفْوَةِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) مِنَ الآبَاءِ والإِخْوَانِ والذُّرِّيَّةِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَمَنِ اعْتَصَمَ بِالْفُضُلِ انْتَهَى بِعِلْمِهِمْ ونَجَا بِنُصْرَتِهِمْ، ومَنْ وَضَعَ وُلَاةَ أَمْرِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي غَيْرِ الصَّفْوَةِ مِنْ بُيُوتَاتِ الأَنْبِيَاءِ (صلوات الله عليهم) فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَ الله (جلّ وعزّ)، وجَعَلَ الجُهَّالَ وُلَاةَ أَمْرِ الله، والمُتَكَلِّفِينَ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ الله (عَزَّ وجَلَّ).

وزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَهْلُ اسْتِنْبَاطِ عِلْمِ الله، فَقَدْ كَذَبُوا عَلَى الله تبارك وتعالى ورَسُولِه، ورَغِبُوا عَنْ وَصِيِّه وطَاعَتِه، ولَمْ يَضَعُوا فَضْلَ الله حَيْثُ وَضَعَه الله تَبَارَكَ وتَعَالَى، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا أَتْبَاعَهُمْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ إِنَّمَا الحُجَّةُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، لِقَوْلِ الله عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[1]، فَالحُجَّةُ الأَنْبِيَاءُ (صلوات الله عليهم) وأَهْلُ بُيُوتَاتِ الأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ؛ لأَنَّ كِتَابَ الله يَنْطِقُ بِذَلِكَ وَصِيَّةُ الله بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ الَّتِي وَضَعَهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ (جلّ وعزّ):

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾[2]، وهِيَ بُيُوتُ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ والحُكَمَاءِ وأَئِمَّةِ الهُدَى، فَهَذَا بَيَانُ عُرْوَةِ الإِيمَانِ الَّتِي نَجَا بِهَا مَنْ نَجَا قَبْلَكُمْ، وبِهَا يَنْجُو مَنْ يَتَّبِعُ الأَئِمَّةَ، وقَالَ الله (عَزَّ وجَلَّ) فِي كِتَابِه: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِه دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ *

(١) النساء: ٥٤.
(٢) النور: ٣٦.

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كلّ مِنَ الصَّالِحِينَ*وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكلًا فَضَّلْنا عَلَى العالَمِينَ* وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ*...* [1] **أُولئِكَ الذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنبوَّة فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْمًا لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾** [2].

فَإِنَّه وَكَّلَ بِالْفُضَّلِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِه والإِخْوَانِ والذُّرِّيَّةِ، وهُوَ قَوْلُ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى: إِنْ يَكْفُرْ بِه أُمَّتُكَ فَقَدْ وَكَّلْنا أَهْلَ بَيْتِكَ بِالإِيمَانِ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ بِه، فَلَا يَكْفُرُونَ بِه أَبَدًا ولَا أُضِيعُ الإِيمَانَ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ بِه مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ عُلَمَاءِ أُمَّتِكَ ووُلَاةِ أَمْرِي بَعْدَكَ، وأَهْلِ اسْتِنْبَاطِ العِلْمِ الَّذِي لَيْسَ فِيه كَذِبٌ ولَا إِثْمٌ ولَا زُورٌ ولَا بَطَرٌ ولَا رِيَاءٌ، فَهَذَا بَيَانُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْه أَمْرُ هَذِه لأُمَّةِ إِنَّ الله (عَزَّ وجَلَّ) طَهَّرَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّه (صلى الله عليه وآله)، وسَأَلَهُمْ أَجْرَ المَوَدَّةِ، وأَجْرَى لَهُمُ الوَلَايَةَ، وجَعَلَهُمْ أَوْصِيَاءَه وأَحِبَّاءَه ثَابِتَةً بَعْدَه فِي أُمَّتِه، فَاعْتَبِرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا قُلْتُ: حَيْثُ وَضَعَ الله (عَزَّ وجَلَّ) وَلَايَتَه وطَاعَتَه ومَوَدَّتَه واسْتِنْبَاطَ عِلْمِه وحُجَجَه فَإِيَّاه فَتَقَبَّلُوا، وبِه فَاسْتَمْسِكُوا تَنْجُوا بِه، ويَكُونُ لَهُمُ الحُجَّةُ يَوْمَ القِيَامَةِ وطَرِيقُ رَبِّكُمْ (جَلَّ وعَزَّ) لَا تَصِلُ وَلَايَةٌ إِلَى الله (عَزَّ وجَلَّ) إِلَّا بِهِمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُكْرِمَه ولَا يُعَذِّبَه، ومَنْ يَأْتِ الله عَزَّ وجَلَّ بِغَيْرِ مَا أَمَرَه كَانَ حَقًّا عَلَى الله (عَزَّ وجَلَّ) أَنْ يُذِلَّه وأَنْ يُعَذِّبَه) [3].

أقول: لا يخفى على الفَطِن العارف ما في هذه الرواية الشريفة من النكات الرايقة، والأسرار الفائقة، والمطالب المهمّة، والمسائل المعظَّمة، وبالغَور فيها

(١) النقاط أعلاه من عمل الشارح وهي حذف الآية ٨٨ من سورة الأنعام.
(٢) الأنعام: ٨٤-٨٩.
(٣) ينظر: الكافي، الكلينيّ: ج ٨/ ص١١٣-١٢٠.

يمكن استخراج بعض ما تضمَّنته من كنوز الأسرار، وبالتوسّل بها يُمكن الوصول إلى رموز المعارف وحقائق الأنوار، وإنّما ذلك في حقِّ مَنِ امتحن قلبه بنور العرفان والإيمان، وصفا ذهنُه من كُدورات الشُبُهات وظُلمات الأوهام، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1].

سابعًا- مغنية:

قال: «**(وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ)**. بِعثة الأنبياء في جوهرها وساطةٌ بين الخالق والمخلوق، وهدفها هداية الخلق إلى الحقِّ، وتعاونهم على ما يكفل الأمن والعيش للجميع، وهذا هو أمل الطيبين الأحرار منذ وُجِد الإنسان على سطح الأرض، ومن هذا الأمل انطلقت النظريات، ووُضعت المؤلَّفات لتَحَقُّقِه وبُلوغه، ومنها جمهوريّة أفلاطون[2] والمدينة الفاضلة للفارابّي[3].

ولكنّ أفلاطون مزَج الواقع بالخيال عملًا بنظريته في المُثل، وقال (دي بور) في كتاب تاريخ الفلسفة في الإسلام: إنّ آراء الفارابيّ في المدينة الفاضلة تقترب في فسادها من فلسفة نيتشه القائمة على بقاء الأقوى[4]..، وإذا كانت هذه هي فلسفة أفلاطون أستاذ المعلّم الأول، وآراء الفارابيّ المعلّم الثاني، فما هي حال غيرها من النظريات الهادفة إلى خير الإنسان؟ إن كلَّ نظريّةٍ، أو نظام وُضِعَ لخير الإنسان يستحيل أنْ يتمّ ويكمُلَ من كلِّ وجهٍ إلّا إذا قام

(١) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٣٦-١٤٤.
(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: جمهورية أفلاطون.
(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: آراء أهل المدينة الفاضلة ومضادّاتها، أبو نصر الفارابي.
(٤) ينظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور: ص١٩١.

على أساس المبادئ التي أقرّها الوحي من الله سبحانه، ومِن هنا كَثُر النسخ والتقليم والتطعيم في الأنظمة الوضعيّة، وإذا اتّفق العلماء على كثير من النظريات الطبيعيّة المحسوسة فإنّهم حتى الآن لم يتّفقوا على نظريّة سياسيّة أو اجتماعيّة على الرغم من مواصلة الدراسات، وعقد المؤتمرات، أبدًا لا أحد أعلم بخير الإنسان وهدايته إلى سعادته الخالدة إلّا خالق الإنسان، وأيُّ عاقلٍ يَشُكُّ في أن مُخترع الآلة هو أعلم بها من غيره»[1].

ثامنًا- التستريّ:

قال: «**(واصْطَفَى)**...

(سُبْحَانَهُ) أي... **(مِنْ وَلَدِهِ)** أي: من ولد آدم، **(أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ)**، في إثبات المسعودي: أوحى الله تعالى إلى آدم بعد قَتْلِ قابيل لهابيل: (إنّي أَهَبُ لك مكانه غلامًا أجعله خليفتك، ووارث علمك، فوُلِدَ له شيث وهو هبةُ الله، فأوحى الله إليه أنْ سَمِّه في اليوم السابع، فجَرَتْ سُنة، فلمّا شَبَّ وكَبُر، أوحى الله تعالى إليه أنّي مُتوفِّيك ورافِعُك إليَّ يوم كذا وكذا، فأوصِ إلى خيرِ وُلدِك (هبة الله) وسَلِّم إليه الاسمَ الأعظم، واجعل العلم في تابوت، وسلِّمه إليه، فإنّي آليت ألّا أُخلي أرضي من عالمٍ أجعله حُجَّةً لي على خَلقي، فجمع آدمُ وُلده الرجال والنساء، ثمّ قال:

يا وُلدي إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّه رافعي إليه، وأمرني أن أُوصي إلى خير وُلدي هبة الله، فإنّ الله قد اختاره لي ولكم من بعدي، فاسمَعوا له وأَطيعوا أَمره، فإنّه وصيي وخليفتي، فقالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا، فأمر بتابوتٍ فعُمل،

(١) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦ ـ ٥٧.

وجعل فيه العِلم والأسماء والوصيّة، ثمّ دفعه إلى هبة الله، وقال له: أُنظر يا هبةَ الله، فإذا أنا مِتُّ فغَسِّلني وكَفِّني وصَلِّ عليَّ، وأدخلني حُفرتي في تابوت تتّخذه لي، فإذا حضرتْ وفاتُك وأَحسستَ بذلك من نفسك فَأَوْصِ إلى خير وُلدك، فإنّ الله لا يدعُ الخَلْقَ بغير حُجَّة عالمٍ منّا أهل البيت، وقد جعلتك حُجَّةَ الله على خَلْقِه، فلا تخرج من الدُنيا حتى تَدَعْ لله حُجَّةً ووَصيًّا من بعدك على خلقه، وتُسَلِّم إليه التابوت وما فيه كما سَلَّمتُه إليك، وأَعْلِمْهُ أنّه سيكون نبيّ واسمهُ نوح، ومضى هبة الله واستخلَفَ ريسان وَعَدَّ بعده قينان، ثمّ الحيلث، ثمّ غنيمشا، ثمّ إدريس، وقال:

هو هرمس وهو أخنوخ، بأمر الله تعالى، وجمع الله له علم المضامين، وزاده ثلاثين صحيفةً ثمّ عَدَّ بعده: بردا، ثمّ أخنوخ، ثمّ متوشلخ، ثمّ لمك، ثمّ نوح، ثمّ سام، ثمّ أرفخشد، ثمّ شالح، ثمّ هود، ثمّ فالغ، ثمّ يروغ، ثمّ نوشا، ثمّ صاروغ، ثمّ تاجور، ثمّ تارخ، ثمّ إبراهيم، ثمّ إسماعيل، ثمّ إسحاق، ثمّ يعقوب، ثمّ يوسف، ثمّ ببرز بن لاوي، ثمّ أحرب، ثمّ ميتاح، ثمّ عاق، ثمّ خيام، ثمّ مادوم، ثمّ شعيب، ثمّ موسى، ثمّ يوشع بن نون، ثمّ فينحاس، ثمّ بشير، ثمّ جبرئيل، ثمّ أبلث، ثمّ أحمر، ثمّ محتان، ثمّ عوق، ثمّ طالوت، ثمّ داود، ثمّ سليمان، ثمّ آصف بن برخيا، ثمّ صفورا، ثمّ منبه، ثمّ هندوا، ثمّ أسفر، ثمّ رامن، ثمّ إسحاق، ثمّ ايم، ثمّ زكريا، ثمّ اليسابغ، ثمّ روبيل، ثمّ عيسى، ثمّ شمعون، ثمّ يحيى، ثمّ منذر بن شمعون، ثمّ دانيال، ثمّ مكيخال بن دانيال، ثمّ انشوا، ثمّ رشيخا، ثمّ نسطورس، ثمّ مرعيد، ثمّ بحيرا، ثمّ منذر، ثمّ سلمة، ثمّ برزة، ثمّ ابي، ثمّ دوس، ثمّ أسيد، ثمّ هوف،

ثمّ يحيى، ثمّ نبيّنا، ثمّ خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وعليهم أجمعين[1].

(**وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**) قال تعالى: ﴿**لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ...**﴾[2]»[3].

تاسعًا- النقويّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**).

في هذه الفقرات من الخطبة الشريفة أشار (عليه السلام) إلى عِدّة أُصول:

الأصل الأوّل: اصطفاؤه جَلّ وعَلا من وُلد آدم أنبياء؛ وفيه إشارة إلى أنّه لا بُدّ من أن يكون النبيّ إنسانًا ولا يمكن كونه مَلَكًا؛ وذلك لأنّ النبيّ واسطةٌ بين الخالق والمخلوق، فلا بُدّ من كونه مأنوسًا مع الناس محشورًا معهم، وهذا لا يمكن بدون السِّنخيَّة التي هي المدار في كلّ شيئين ارتبط أحدهما مع الآخر ظاهرًا وباطنًا، ولا شبهة في إنّ الإنسان وإن كان له روحٌ ملكوتيّ، إلّا أنّه من حيث الجسم العنصريّ مادّي ملكيّ، فلو كان النبيُّ والرسول الذي أُرسل إليهم مَلَكًا لا يمكن تحصيل الغرض منه، وهذا ظاهر.

الأصل الثاني: إنّ فيه إشارة إلى شرافة آدم وعظمته؛ حيث اختار الله سبحانه أنبياءه وسفراءه إلى خلقه من نسله، ولمّا كان الأنبياء أشرف الموجودات فما يكون سببًا لهم ومقتضيًا لوجودهم لا يخلو من العَظَمة والشَرافة.

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: أثبات الوصيّة، المسعوديّ: ص٢٢-٩٠.
(٢) الجن: ٢٨.
(٣) بهج الصباغة: ج ٢/ ص ٢٩-٣٠.

الأصل الثالث: كلمة (**مِنْ**) في قوله (عليه السلام (**مِنْ وَلَدِهِ**)، تبعيضيّة أو نشائيّة والأوّل أَوْلَى وأَظهر؛ وعليه فليس كلٌّ واحدٍ من أولاد آدم مستحقًّا للرسالة والنبوّة وهو كذلك، بل النبوّة والرسالة تليقان ببعضٍ دون بعض؛ ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[1]، وقوله (عليه السلام): (**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**)؛ وهو يدلّ على أنّ الأنبياء قبل الوجود بينهم وبين الله تعالى عهدٌ وميثاقٌ على الوحي، وهو مطابق لمذهب الإماميّة وغيرها من الفرق الإسلامية وغير الإسلامية حيث، أنّ أرباب المِلل متَّفِقون على أنّ النبيّ لا بُدّ من أن يكون من قِبل الله تعالى ولا دَخْلَ لعامّة الناس في تعيينه، فعليه لا بُدّ للنبيّ أن يكون مؤيّدًا من عند الله مرتبطًا به، كما قال الله تعالى ﴿**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا**﴾[2].

وأَخْذُ الميثاق منهم على الوحي ومن الناس كلٌّ على التوحيد يدلُّ على ثبوت عالم الذرّ؛ ضرورة أنّ أَخْذ الميثاق كان قبل وجود كلّ موجود فإنّ كلّ إنسانٍ يعلم عِلمًا وجدانيًّا أنّه لم يُؤخَذ عنه الميثاق في الدُنيا، وإذا لم يكن في الدُنيا فلا بُدّ من كونه قبل وجوده في هذا العالم وهو المطلوب، وقد دلّ على ثبوت عالم الذرّ العَقل والنَقل؛ أمّا العَقل فإنّه لا يجدُ مانعًا من ثبوته وتحقُّقه بعد ما ثَبت خَلْق الأرواح قبل الأجساد بألفَي عامٍ كما مرّ، وإذا لم يجد مانعًا ولم يدلّ دليلٌ عقليٌّ على استحالته فيبقى على وجه الإمكان وهو ظاهر.

ولمّا أشار (عليه السلام) إلى عالم الذرّ في هذه الخطبة في موارد كثيرة فلا بُدّ لنا البحث عنه وتحقيقه بحسب ما يقتضيه المقام، فإنّ عالم الذرّ ممّا أنكره

(١) البقرة: ١٢٤.
(٢) الأنعام: ١٢٤.

كثيرٌ من المسلمين وأثبته آخرون؛ وهو في الحقيقة من مُشكلات الأخبار والآيات ومعضِلاتها، نسأل الله تعالى أن يُجري على لساننا ما فيه له صلاحٌ ورضا، فنقول:

اختلف الأصحاب في ثبوت عالم الذرّ وعدمه، وقبل الخوض في المقصود نُقدّم أُمورًا:

الأوّل: إنّ الذرّ على ما قال في المنجد: (صِغَارُ النَّمْلِ) كالهباء المنتشرة في الهواء الواحدة ذرّة؛ فعلى هذا الذرّ جمع ذرّةٍ سُمِّيَ عالم الذرِّ به؛ لأنّ الذرّات هناك كالهباء المنتشرة في الهواء على ما سيأتي الثاني:

إنَّ كلامنا فيه يقع في مقامين:

الأوّل: بالنسبة إلى الأنبياء والأوصياء، **والثاني**: بالنسبة إلى سائر الناس، **الثالث**: في إثباته عقلًا ونقلًا والأقوال الواردة فيه، فنقول:

أمّا الدليل العقليّ عليه فقد مرّ آنفًا شطرٌ منه، وتفصيله يأتي إن شاء الله تعالى، وأمّا النقلُ فكثيرٌ من الآيات والأخبار الواردة دالّةٌ عليه كما لا يخفى على المتتبّع فيها، أمّا أَخْذُ الميثاق في عالم الذرّ بالنسبة إلى الأنبياء فيدلُّ عليه قولُه تعالى في سورة آل عمران حيث قال: ﴿**وإِذْ أَخَذَ الله مِيثاقَ النبيّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِه ولَتَنْصُرُنَّه قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾[1].

(١) آل عمران: ٨١-٨٢.

وقال في سورة الأحزاب: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[1].

تفسير: قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النبيّينَ**﴾، قال الطَّبرسيّ (قُدِّس سِرُّه): رُوي عن أمير المؤمنين وابن عباس وقتادة أنّ الله تعالى أخذ الميثاقَ على الأنبياء قبل نبيِّنا (صلّى الله عليه وآله) على الأوّل والآخر لَتُؤمنَنَّ به؛ أي بما جاء به الآخر[2]، وقال الصادق (عليه السلام): **تقديرُه وإذا أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ أُمم النبيِّين بتصديق نبيِّهم والعمل بما جاءهم به وأنّهم خالفوه بعد ما جاؤوا وما وَفوا به وتركوا كثيرًا من شريعته وحَرَّفُوا كثيرًا منها**[3].

﴿**وَلَتَنْصُرُنَّهُ**﴾ أي بالتصديق والحُجَّة وأنّ الميثاق أُخذ على الأنبياء ليأخذوه على أُممهم بتصديق محمّدٍ إذا بُعث، ويأمرهم بنَصره على أعدائه إن أدركوه؛ وهو المرويّ عن عليّ، ﴿**وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي**﴾؛ أي قبلتم على ذلك عهدي، وقيل معناه: وأخذتم العهد بذلك على أُممكم قال الله ما شَهِدَ بذلك على أُممكم وأنا معكم من الشاهدين، عليكم وعلى أُممكم عن عليٍّ، وقيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم، وقد رُوي عن عليٍّ (عليه السلام) أنّه قال: **لم يبعثِ اللهُ نبيًّا؛ آدمَ ومَنْ بعده إلّا أخذ عليه العَهْدَ على إنْ بعث الله محمّدًا وهو حيٌّ لَيؤمننّ به ولَينصرنّه، وأمره بأنْ يأخُذ العهدَ بذلك على أُممهم (على قومه)**[4].

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) هكذا في مجمع البيان: (وقال طاووس: أخذ الله الميثاق على الأنبياء (عليهم السلام) على الأول والآخِر فأخذ الله ميثاق الأول لتأمنن بما جاء به الآخر).

(٣) ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسّي: ج٢/ ص٣٣٤.

(٤) ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسّي: ج٢/ ص٣٣٥.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وإِذْ أَخَذْنا مِنَ النبيّينَ مِيثاقَهُمْ ...**﴾[1] إلخ: أي اذكر يا محمّد حين أخذ الله الميثاق من النبيّين خصوصًا بأن يُصدّق بعضهم بعضًا ويتّبع بعضُهم بعضًا، وقيل أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعو عباده إلى عبادته، وأن يُصدّق بعضهم بعضًا، وأن ينصحوا لقومهم منك ومن خصّ هؤلاء بالذّكر؛ لأنّهم أصحاب الشرائع ﴿**وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ شديدًا على الوفاء به بما حملوا من أعباء الرسالة، وقيل على أن يُعلنوا أنّ محمدًا رسول الله ويُعلن محمدًا أن لا نبيّ بعده[2]. انتهى.

وأمّا قوله (تعالى) في سورة الأعراف: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[3]، وقال فيها أيضًا: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ**﴾[4]، وفي سورة المائدة: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الذي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[5] عن رفاعة قال: سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ...**﴾[6] إلخ، قال (عليه السلام): (**نَعم أخذَ الله الحُجَّةَ على جميعِ خَلْقِه يومَ الميثاقِ**

(١) الأحزاب: ٧.
(٢) ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسّي: ج١/ ص١٢٣.
(٣) الأعراف: ١٧٢.
(٤) الأعراف: ١٦٩.
(٥) المائدة: ٧.
(٦) الأعراف: ١٧٢.

هَكَـذَا؛ وَقَبَـضَ يَـدَهُ)[1].

وعـن أبي بصـير قـال: قلـت لأبي عبـد الله: كيـف أجابـوا وهـم ذَرّ؟ قـال: **(جَعَلَ فِيهِـم مَـا إذا سَـأَلَهم أَجابُـوه)** يعنـى في الميثاق[2].

قـال المجلـسيّ (قُـدِّس سِرُّه) في بيانـه لهـذا الحديـث: (أي تعلَّقـت الأرواح بتلـك الـذرّ وجعـل فيهـم العقـلَ وآلـةَ السَـمْع وآلـةَ النُطْـق حتّـى فَهِمُـوا الخطـابَ وأجابـوا وهـم ذَرّ)[3] انتهـى.

وعـن زرارة قـال: سـألتُ أبـا عبـد الله عن قـول الله عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿**وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّكَ مِـنْ بَنِي آَدَمَ**﴾[4]؟ قـال (عليه السـلام): **(كانَ محمّـدٌ عليهِ وآلِهِ السـلامُ أوّلَ مَنْ قالَ: بَـلَى، قلـتُ: كان رؤيتـه معاينـة؟ قالـك ثبتت المعرفـةُ في قُلوبهم وأُنسُـوا ذلـكَ الميثاقَ وسـيذكُرونَهُ بَعْـدُ، ولـو لا ذلـكَ لم يَـدْرِ أَحَـدٌ مَنْ خَالِقُـه ولا مَنْ يرزقُـه)**[5] انتهى.

وعـن أبي بصـير عـن أبي عبـد الله في قـول الله: ﴿**وإِذْ أَخَـذَ رَبُّـكَ مِـنْ**﴾[6]، قُلـت: قالـوا بألسـنتهم؟ قـال: **(نَعـم وقَالُـوا بقُلُوبِهِـم)**، قلـتُ: وأيُّ شيءٍ كانـوا يومئـذٍ؟ [قـال:] **(صَنَـعَ مِنْهُـم مَـا اكتَفَـى بِـه)**[7].

(١) تفسير العياشّي: ج٢/ ص٣٧، بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٥٧.
(٢) تفسير العياشّي: ج٢/ ص٣٧، بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٥٧.
(٣) بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٥٧.
(٤) الأعراف: ١٧٢.
(٥) تفسير العياشّي: ج٢/ ص٣٩، بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٥٧.
(٦) الأعراف: ١٧٢
(٧) ينظـر: تفسـير العيـاشّي: ج٢/ ص٤٠، بحـار الأنـوار: ج٥/ ص٢٥٨. مـع اختـلاف عنـد العيـاشيّ والمجلـسيّ: (عـن أبي بصـير عـن أبي عبـد الله (عليـه السـلام) في قـول الله: ﴿أَلَسْـتُ بِرَبِّكُـمْ قَالُـوا بَـلَى﴾ قالـوا بألسـنتهم؟ قـال: نعـم، وقالـوا بقلوبهـم، فقلـت: وأيّ شيء كانـوا يومئـذٍ؟ قـال: صنـع منهـم مـا اكتفـى بـه).

وعن زرارة، قال: سألتُ أبا جعفر (عليه السلام)، عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ﴾[1] الآية، قال (عليه السلام): **(أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ، فَعَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ، وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ، وَلَوْ لَا ذلِكَ مَا عَرَفَ أَحَدٌ رَبَّهُ؛ وَذلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[2])**[3].

وعن أبي حمزة الثماليّ عن أبي جعفر (عليه السلام): **(قَالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى: هبَطَ إِلَى الأَرضِ فِي ظُلَلٍ مِنَ المَلائِكَةِ عَلى آدَمَ وهُوَ بِوادٍ يُقالُ لَهُ: الرَّوحاءُ، وهُوَ وادٍ بَينَ الطّائِفِ ومَكَّةَ**، قال: **فَمَسَحَ عَلى ظَهرِ آدَمَ ثُمَّ خَرَجَ**[4] **بِذُرِّيَّتِهِ وهُم ذَرٌّ**، قال: **فَخَرَجوا كَما يَخرُجُ النَّحلُ مِن كورِها، فَاجتَمَعوا عَلى شَفيرِ الوَادِي، فَقالَ اللهُ لِآدَمَ انظُر مَاذا تَرى**[5] **فَقالَ آدَمُ: أَرَى**[6] **ذَرًّا كَثيرًا عَلى شَفيرِ الوادي، فَقالَ اللهُ: يا آدَمُ، هؤُلاءِ ذُرِّيَّتُكَ أخرَجتُهُم مِن ظَهرِكَ لِآخُذَ عَلَيهِمُ الميثاقَ لي بِالرُّبوبِيَّةِ ولِمُحَمَّدٍ بِالنُّبُوَّةِ كَما آخُذهُ عَلَيهِم فِي السَّماءِ، قالَ آدَمُ: يا رَبِّ، وكَيفَ وَسِعَتهُم ظَهري؟ قالَ اللهُ تعالى:**

يا آدَمُ بِلُطفِ صُنعي[7] **ونافِذِ قُدرَتي، قالَ آدَمُ: يا رَبِّ، فَما تُريدُ مِنهُم فِي الميثاقِ؟**

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) الزمر: ٣٨.

(٣) تفسير العياشّي: ج٢/ ص٤٠، بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٥٨.

(٤) «صرخ» هكذا في تفسير العياشّي وبحار الأنوار.

(٥) «انظر ماذا ترى» هكذا في تفسير العياشّي وبحار الأنوار.

(٦) «أرى» لم نجدها في تفسير العياشّي وبحار الأنوار.

(٧) «صنيعي» هكذا في بحار الأنوار.

قالَ[1]: أنْ لا يُشرِكوا بي شَيئًا، قالَ[2]: فَمَن أطاعَكَ مِنهُم يا رَبِّ فَما جَزاؤُهُ؟ قالَ اللهُ: اسكِنْهُ جَنَّتي، قالَ آدَمُ: فَمَن عَصاكَ فَما جَزاؤُهُ؟ قالَ: أُسكِنْهُ نارِي، قالَ آدَمُ: يا رَبِّ لَقَد عَدَلتَ فيهِم، ولَيَعصِيَنَّكَ أكثَرُهُم إن لَم تَعصِمهُم)[3] انتهى.

أقول: والروايات في هذا الباب كثيرة قريبة المضامين من حيث المعنى وفيما ذكرناه كفاية لأُولي الألباب إلّا أنّها من مشكلات الأخبار، ومعضلاتها؛ لمنافاتها ظاهرًا الاستطاعة والاختيار، ولهذا تراهم فيها مختلفين ومن حيث الآراء متشتّتين؛ فالإخباريون قالوا: بأنّا نؤمنُ بها مجملًا ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها وعن أنّها من أيِّ جهةٍ صدرت ونردُّ علمَه إلى الأئمّة (عليهم السلام).

وذهب بعض العلماء إلى أنّها محمولةٌ على التَقيَّة؛ لموافقتها لروايات العامّة ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جُلُّهم، ولمخالفتها ظاهرًا لما مرّ من أخبار الاختيار والاستطاعة.

وذهب آخرون: إلى أنّها كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون؛ فانّه تعالى لمّا خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنّه خلقهم من طينات مختلفة.

وقال بعضهم: إنّها كنايةً عن اختلاف استعداداتهم وقابليّاتهم وهذا أمرٌ بَيِّنٌ لا يمكن إنكاره؛ فإنّه لا شبهة في أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وأبا جهل ليسا في درجةٍ واحدة من الاستعداد والقابليّة، وهذا لا يستلزم سقوط

(١) «قال الله» هكذا في تفسير العياشّي وبحار الأنوار.
(٢) «قال آدم» هكذا في تفسير العياشّي وبحار الأنوار.
(٣) تفسير العياشّي: ج٢/ ص٢١٨-٢١٩، بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٥٩.

التكليف، فإنّ الله تعالى كلَّف النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات، وكلَّف أبا جهل حسب ما أعطاه من ذلك ولم يُكلِّفه ما ليس في وِسعه ولم يُجبره على شيءٍ من الشرِّ والفساد.

والقول الآخر: إنّه كلَّف الله تعالى الأرواح أولًا- في الذرّ وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشرَّ باختيارهم في ذلك الوقت، وتفرّع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم، كما دلّ عليه بعض الأخبار السابقة فلا فساد في ذلك، ولا يخفى ما فيه وفي كثيرٍ من الوجوه السابقة[1].

قال المجلسيّ (قُدِّس سِرُّه) بعد نقله هذه الأقوال وترْك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة التي تعجز عقولنا عن الإحاطة بكُنهها أولى ولا سيّما في تلك المسألة التي نهى أئمّتنا عن الخوض فيها، ثمّ قال (قُدِّس سِرُّه): ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك عُلماءنا رضوان الله عليهم أجمعين وما ذكره مخالفوهم[2].

فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد (قُدِّس سِرُّه) في جواب المسائل السرويّة؛ حيث سُئل ما قوله (أدام الله تأييدَه) في الأخبار المرويّة عن الأئمّة الهادية (عليهم السلام) وخَلْقِ الله الأرواح قبل الأجساد بألفَي عام (قبل آدم)، وإخراج الذُرّية من صُلبه على صُوَر الذرِّ، ومعنى قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**)[3].

الجواب وبالله التوفيق:

(١) ينظر: بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٦٠-٢٦١.
(٢) بحار الأنوار: ج٥/ ص ٢٦١.
(٣) المسائل السرويّة، الشيخ المفيد: ص٣٧.

إنّ الأخبار بذكر الأشباح مختلفةٌ ألفاظها وتتباين معانيها، وقد بَنت الغُلاة عليها أباطيل كثيرة وصنّفوا فيها كُتُبًا لَغْوا فيها وهزوا[1] فيما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقِّ وتخَرَّصُوا الباطل إليهم.

من جملتها كتاب الأشباح والأظِلَّة نسبوه في تأليفه إلى مُحمّد بن سنان، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب، وأنّه كان صحيحًا فإنّ ابن سنان قد طُعِنَ عليه وهو مُتَّهم بالغُلُوّ، فإن صَدَقوا في إضافة الكتاب إليه فهو ضلالً الضالِّ عن الحقّ، وإنْ كذَّبوا فقد تحمَّلوا أوزار ذلك، والصحيح من حديث الأشباح: الرواية التي جاءت من الثُقات بأنّ آدم رأى على العرش أشباحًا يلمعُ نورُها، فسأل الله تعالى منها فأوحى الله إليه أنّها أشباحُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وأعْلَمه أنّه لولا الأشباح التي رآها ما خَلقه ولا خلق سماءً ولا أرضًا.

والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أنْ دلَّهُ على تعظيمهم وتبجيلهم وجعل ذلك إجلالًا لهم ومقدّمةً لما يفترضُه من طاعتهم دليلًا على أنّ الدين والدنيا لا يَتمّ إلّا بِهم ولم يكونوا في تلك الحال صُورًا مجيبته[2] ولا أرواحًا ناطقة لكنّها كانت على مثل صورهم في البشريّة يدلّ على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة والنور الذي جعله عليهم يدلّ على نور الذّين بهم وضياء الحقّ بحجبهم، وقد روى أنّ أسماءهم كانت مكتوبةً إذ ذاك على العرش وأنّ آدم (عليه السلام) لمّا تاب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وناجاه

(١) (وهذوا) هكذا في المسائل السرويّة. «وهزؤوا» هكذا في بحار الأنوار.
(٢) «محياة» هكذا في المسائل السرويّة. مجيبة هكذا في بحار الأنوار.

بقبول توبته سألهم بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه؛ وهذا غير مُنكَرٍ في العقول ولا مضارّ[1] للشرع المنقول[2] وقد رواه الصالحون الثُقات المأمونون، وسلَّم لروايته طائفةُ الحقّ ولا طريقَ إلى إنكاره، والله وليّ التوفيق[3] انتهى.

ثمّ فصّل (قُدِّس سِرُّه) في الجواب بما لا مزيد عليه كما نقله في البحار ومَن شاء فليُراجع إليها، إلى أن وصلت نوبة الجواب بحديث خَلق الأرواح وحديث (أنّ الأرواح جُنودٌ مُجَنَّدةٌ) فقال (قُدِّس سِرُّه) ما هذا لفظه:

(فصل: فأما الخبر بأنّ الله تعالى خَلق الأرواح قبل الأجساد بألفَي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامّة كما روته الخاصّة، وليس هو مع ذلك ممّا يُقطع على الله بصحّته وإنّما نقَله رواتُه لحسن الظنّ به، وإن ثَبُتَ القول فالمعنى فيه: إنّ الله تعالى قدّر الأرواح في عِلمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح، فالخَلق للأرواح قبل الأجساد خَلْقُ تقديرٍ في العلم كما قدّمناه وليس بخَلقٍ لذواتها كما وصفناه، والخَلق لها بالإحداث والاختراع بَعد خَلق الأجسام والصوَر التي تدبُّرها الأرواح، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولا تحتاج إلى الآلات يعتملها[4]، ولكنّا نعرف ما سَلَف لنا من الأحوال قبل خَلق الأجساد كما نعلم أحوالنا بعد خَلق الأجساد، وهذا مُحالٌ لا خفاءَ بفساده)[5].

(١) (مضاد) هكذا في المسائل السرويّة، وبحار الأنوار.

(٢) (المعقول) هكذا في المسائل السرويّة، وبحار الأنوار.

(٣) ينظر: المسائل السرويّة، الشيخ المفيد: ص٣٧-٤٠، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٥/ ص٢٦١-٢٦٢.

(٤) (تحملها) هكذا في المسائل السرويّة.

(٥) المسائل السرويّة، الشيخ المفيد: ص٥٢-٥٣. بحار الأنوار، المجلسّي: ج٥/ ص٢٦٦.

ثُمّ قال (قُدِّس سِرُّه):

وأمّا الحديث[1] بأنّ (**الَأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**) فالمعنى فيه أنّ الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتّفاق الرأي أي: والهوى ائتلف، [و]ما تناكر منها بمبانية الرأي والهوى اختلف، وهذا موجود حِسًّا ومشاهَدٌ، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذرّ ائتلف كما يذهب إليه الحشويّة، كما بيّناه من أنّه لا عِلم للإنسان بحالٍ كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم ولو ذُكِّرَ بكُلّ شيءٍ ما ذَكَرَ ذلك، فوضح بما ذكرناه أنّ المُراد بالخبر ما شرحناه، والله الموفّق للصّواب)[2] انتهى.

ثُمّ قال المجلسيّ (قُدِّس سِرُّه) بعد نَقْله ما نقلناه ما هذا لفظه:

(أقول: طَرْحُ ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جُرأةٌ على الله وعلى أئمّة الدّين، ولو تأمّلت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم وما يَرِدُ عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أنّ بأمثالها لا يمكن الاجتراء على طَرْحِ خبرٍ واحد، فكيف يمكن ترْك تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها، وسيأتي الأخبار الدّالة على تقدُّم خَلق الأرواح على الأجساد في كتاب (السماء والعالم)، وسنتكلَّم عليها)[3] هناك انتهى.

(١) الحديث للرسول (صلّى الله عليه واله) وقيل للإمام علي (عليه السلام).
(٢) المسائل السرويّة، الشيخ المفيد: ص٥٣-٥٤، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٥/ ص٢٦٦-٢٦٧.
(٣) بحار الأنوار، المجلسّي: ج٥/ ص٢٦٧.

أقول: قد علمت ممّا ذكرنا ونقلناه أنّ المفيد (قُدِّس سِرُّه) مخالفٌ لعالم الذرّ وتقدّم خلق الأرواح على الأجساد بالمعنى المتعارَف الذي فَهِمه غيره، وقد وافقه على ذلك تلميذه علم الهدى (قُدِّس سِرُّه) وأنكر الذرَّ المعهود أشدَّ إنكار، ونحن ننقل من كلامه (قُدِّس سِرُّه) ما هو موضع الحاجة لنا فنقول: قال المجلسيّ (رحمه الله) نقلًا عنه ما هذا لفظه:

ومنها: ما ذكره السيّد المرتضى (قُدِّس سِرُّه) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ**﴾ حيث قال: وقد ظَنّ بعضُ مَن لا بصيرةَ له ولا مَظنَّةَ عنده أنّ تأويل هذه الآية أنّه سبحانه استخرج من ظهر آدم جميع ذُريّته وهم في خَلق الذرّ، فقَرّرهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم، وهذا التأويل مع أنّ العقل يُبطله ويُحيله ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ**﴾ ولم يقل من آدم وقال: ﴿**مِنْ ظُهُورِهِمْ**﴾ وقال: ﴿**ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾[1] ولم يقل ذُريّته، ثُمّ أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلّا يقولوا يوم القيامة إنّهم كانوا عن ذلك غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنّهم نشؤوا على دينهم وسُنّتهم، وهذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول وُلدَ آدم لصُلبه وأنّها إنّما تناولت من كان له آباء مشركون، وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذُرّية بني آدم، فهذه شهادة الظاهر يُبطلان تأويلهم.

وأمّا شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذُرّية التي استُخرجت من ظهر آدم وخوطِبَت وقرّرت من أن يكون كاملة العقول مسبوقة بشروط التكليف أو لا تكون كذلك، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء

(١) الأعراف: ١٧٢.

بعد خَلقِهم وإفشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرّروا به واستشهدوا عليه؛ لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإنْ بَعُدَ العهد وطال الزمان، ولهذا لا يجوز أنْ يتصرّف أحدنا في بلدٍ من البلدان، وهو عاقل كامل فينسى مع بُعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم وسائر أحواله، وليس أيضًا لتخلُّل الموت بعد الحالين تأثيرٌ؛ لأنَّه لو كان تخلُّل الموت يُزيل الذِكر لكان تخلُّل النَوم والسُكْر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل ذكرهم لِما مضى من أحوالهم؛ لأنّ سائر ما عدّدناه ممّا ينفي العلوم ويجري مجرى الموت في هذا الباب، وليس لهم أن يقولوا:

إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه؛ وذلك إنّما أوجبنا ذِكر العُقلاء لمّا ادّعوه إذا كمُلَت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقل، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم تُوجَب عليهم، ما أوجبناه على أنّ تجويز النّسيان عليهم ينقض الغرض في الآية؛ وذلك أنّ الله تعالى أخبرنا بأنّه إنّما قرَّرهم وأَشهَدهم لِئلّا يدَّعُوا يومَ القيامة الغفلة عن ذلك وسقوط الحُجَّة عنهم فيه، فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحُجَّة عنهم وزواله، وإن كانوا على الصفة الثانية من فَقْد العلم وشرائط التكليف قبح خِطابهم وتقريرهم وإشهادهم وصار ذلك عَبَثًا قبيحًا تعالى اللهُ عنه[1].

ثم قال (قُدِّس سِرُّه): فإن قيل قد أبطلتم تأويل مُخالفيكم فما تأويلُها الصحيح عندكم؟ قُلنا في الآية وجهان: **أحدهما**: أن يكون تعالى إنّما عنى

(١) ينظر: الأمالي، الشريف المرتضى: ج١/ ص٢٠-٢٣، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٥/ ص٢٦٧-٢٦٨.

بها جماعةً من ذُرّية بني آدم خلقهم وبلّغهم وأكمل عقولَهم وقرّرهم على ألسن رُسله (عليهم السلام) بمعرفته وما يجب من طاعته فَأقرُّو بذلك وأَشهدهم على أنفسهم به؛ لئلّا يقولوا يوم القيامة إنّا كُنّا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشِرك آبائهم فإنّما أتى مَنِ اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظَنَّ اسم (الذُرّية) لا يقع إلّا على من لم يكن كاملًا عاقِلًا، وليس الأمر كذلك؛ لأنّا نُسمّي جميع البشر بأنّهم (ذُرّية آدم) وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون، وقد قال الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾[1]، ولفظ (الصالح) لا يُطلق إلاّ على من كان كاملًا عاقلًا، فإن استَبعدوا تأويلنا وحَمَلنا الآية على البالغين فهذا جوابهم.

الجواب الثاني: إنّه تعالى لمّا خلقهم وركَّبهم تركيبًا يدلُّ على معرفته ويشهد بقُدرته ووجوب عبادته وأراهُم العِبَر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم، كان بمنزلة المُشهِد لهم على أنفسهم، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الَّذي أراده الله تعالى وتعذُّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المُقرِّ المُعترف وإن لم يكن هناك إشهادٌ واعترافٌ على الحقيقة، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[2]، وإن لم يكن منه تعالى قولٌ على الحقيقة ولا منهما جواب، ومثله قوله تعالى: ﴿**شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**﴾[3]، ونحن نعلم أنّ

(١) غافر: ٨.
(٢) فصلت: ١١.
(٣) التوبة: ١٧.

الكفّار لم يعترفوا بالكُفر بألسنتهم وإنّما لمّا ظهر منهم ظهورًا لا يتمكَّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به، ومثل هذا قولهم: جوارحي تشهدُ بنعمتك وحالي معترفةٌ بإحسانك، وما رُويَ عن بعض الحُكماء: سَلِ الأرضَ مَنْ شَقَّ أَنهارَكِ وَغَرسَ أَشجارَكِ وجَزَّ ثِمارَكِ، فإنْ لَم تُجِبْكَ حِوارًا أجابَتكَ اعتِبارًا. وهذا بابٌ كبير وله نظائر كثيرة في النَّظم والنَثر يُغني عن ذكر جميعها القَدْرُ الَّذي ذكرناه منها[1] انتهى.

أقول: نقلنا مذهب السيّد (قُدِّس سِرُّه) وتفسيرهُ للآية الشريفة بطوله وتفصيله لتعلَم أنّه من أشدّ المخالفين في هذا المضمار، ونحن نتكلم فيما قاله السيّد وأُستاذه (قُدِّس سِرُّهما) بقدرِ وسعِنا وبضاعتنا، فإنّ المقام ممّا زلَّت فيه الأقدامُ ثُمَّ ننقُل ما قاله العامّة في تفسير الآية وعالَم الذرّ، فإنّ البحث حقيقٌ بالتّحقيق والتدقيق، ولم نَرَ من عُلمائنا الماضين والموجودين من حقَّقه حَقَّ التحقيق وأخرج الماء الصافي من بين الأحجار والرمل والطين، فنقول:

أمّا ما قاله المفيد (قُدِّس سِرُّه) فمجرَّد استبعاد، ولم يأت (قُدِّس سِرُّه) بدليل دلَّ على امتناعه، فإنّه (قُدِّس سِرُّه) قال في الآية بالمجاز في اللُّغة؛ وجوابه: إنّ المجاز على خلاف الأصل والوضع وإنّما يُصار إليه حيث لا يمكن حمل اللَّفظ على المعنى الحقيقيّ، وما نحن فيه ليس كذلك، فإنّه لا مانع من حمِله على الحقيقة عقلًا ونقلًا، فالقول بالمجاز بالتقريب الَّذي ذَكره قولٌ بلا محُصّل، ولا أقلَّ من الشَكِّ في كون المُراد منه معناه الحقيقيّ أو المجازيّ وفيه الأخذ بالأصل مُسَلَّم.

(١) ينظر: الأمالي، الشريف المرتضى: ج١/ ص٢٣-٢٤، بحار الأنوار: ج٥/ ص٢٦٨-٢٦٩.

وأمّا قوله (قُدِّس سِرُّه) في خبر خَلْق الأرواح قبل الأجساد بأنّه خبرٌ واحد، لا يُقطع بصحّته... إلى آخر ما قال، ففيه:

أمّا أوّلًا: إنّ الخبر الواحد حُجَّةٌ ولا سيّما إذا كان مؤيَّدًا بالعقل والنقل كهذا الخبر، **وثانيًا**: إنّ الخبر وإن كان من حيث اللَّفظ واحدٌ إلّا أنّه من حيث المعنى متظافرٌ بل متواتر كما ستعلم إن شاء الله، وقوله (قُدِّس سِرُّه): لولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواحُ تقوم بأنفسها... إلى آخر ما قال، لا يلزم من خَلْق الأرواح قبل الأجساد وعدم احتياجها إلى آلاتٍ يعتملُها، وبعبارةٍ أُخرى:

نحن نقول بأنّ الأرواح تقوم بأنفسها قبل تعلُّقها بالأبدان؛ لأنّها جواهر لا أعراض كما اعترف بجوهريّتها في الجواب الآتي، فلَسائلٍ أن يسأل عنه: إن كانت الأرواح جواهر بسيطة فأيُّ مانعٍ عن تقوّمها بنفسها؟ أليس معنى الجوهر على ما قيل في تعريفه هو الموجود الَّذي لا في الموضوع والعرض هو الموجود الذي في الموضوع؟ فعليه لا بأس بتقوُّمها بأنفسها.

أمّا احتياجها إلى الآلات فإنّما هو في هذه الدنيا بعد تعلُّقها بالأجساد العُنصريّة للوصول إلى الغايات التي لا يُمكن البُلوغ إليها إلّا بتوسُّط الآلات البدنيّة، وهذا أمرٌ آخر لا رَبْطَ له بما نحن فيه؛ فإنّ الشيء لا مانع من كونه جوهرًا قائمًا بالذات في حدِّ نفسه ومحتاجًا إلى شيءٍ آخر في تحصيل الكمال، نعم لو قُلنا بعُروضها على الأجسام فلا يمكن القول بجوهريّتها، ولم يَقُل به أحد فإنّها ليست بعارضة على الأبدان بل لها علاقة تدبيريّة بأبدانها ما دامت فيها كما حُقِّق في محلِّه، وبالجملة كلامه (قُدِّس سِرُّه) متناقضٌ كما لا يخفى.

وأمّا قوله (قُدِّس سِرُّه): في الخبر الثاني؛ أعني: الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ... إلخ.

فأيضًا مخدوشٌ من وجوه عديدة؛ فإنّ ما ذكره مجرّد استحسان واستخراج ليس إلّا، والتزام الحشويّة به لا يوجِب بطلانه ما لم يدلّ دليلٌ عليه، وأيُّ إشكالٍ في صحّة قول الحشويّة؟ نعم لو وصل إلَينا من الشارع دليلٌ على مخالفة الحشويّة وغيرها على الإطلاق تصحّ ما ذَكره (قُدِّس سِرُّه)، أو كان في المقام خبران متعارضان ولم يدلّ دليلٌ على ترجيح أحدهما تَمسَّكنا بقوله (عليه السلام) **خُذْ بِمَا خَالَفَ العَامَّةَ**[1]، والمقام ليس من هذا القبيل، مضافًا إلى أنّ الخبر معتضِّدٌ بأخبارٍ كثيرة وسنُشير إلى بعضٍ منها.

وأمّا استبعاده (قُدِّس سِرُّه) لأجل أنّ الأمر لو كان كذلك لوجب أن يكون الإنسان في هذا العالم متذكِّرًا متوجِّهًا إليه فجوابُه ظاهرٌ، فإنّ الإنسان ما دام في هذه الدُنيا محجوبٌ بغواشي المادّة وأسير في سلاسل الشَهَويَّة لا يمكن له الفِرار من حكومة المادّة وقواها ولواحقها، فعلَّة عدم تذكُّره هذه الغفلة الناشئة من قبلها؛ ولهذا قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (**النَّاسُ نِيَامٌ، إذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا**)[2]، وهذا أيضًا ظاهر.

وأمّا ما قاله السيّد المرتضى (قُدِّس سِرُّه) أيضًا لا محصل له وإنّما هو مجرّد استبعاد تبعًا لأستاذه (قُدّس سِرّهما)، ولست أدري أيّ مانعٍ مَنع عن حَمل الآية على ظاهرها، والوجهان اللَّذان ذكرهما في تأويل الآية من قبيل توجيه الكلام بما لا يرضى صاحبه؛ وذلك لأنّ قوله في الوجه الأوّل أن يكون تعالى إنّما عنى بها جماعةً مِن ذُرّية بني آدم خَلَقهم وبلَّغهم وأكمل عُقولهم... إلى آخره، فلقائلٍ

(١) ينظر: تحرير الأحكام، العلاّمة الحلّي: ج٥/ ص٢٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠/ ص١٣٤، ينظر: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسيّ: ج٥/ ١٦٣.

أن يقول مُخاطبًا له (قُدِّس سِرُّه): من أين علمتم وظهر لكم أنّ الله تعالى إنّما عنى بها جماعةً من ذُرّية بني آدم مع تلك الشرائط؟ فإن دَلّ على هذا التبعيض كلمة (من)، فهو أوّل الكلام؛ إذ يمكن أن تكون كلمة (من) نشائيّة، وإن لم يكن التبعيض مستفادًا منها، فأيُّ دليلٍ دَلّ عليه؟ مضافًا إلى أنّه لو تمّ ما ذكره (قُدِّس سِرُّه) من أنّه تعالى خَلق جماعة ثُمّ بلّغهم وأكمل عقولهم، فأيُّ مانعٍ من إجراء هذا الأصل بالنسبة إلى الكُلّ؟ واختصاصه ببعضٍ دون بعض لا دليل عليه، وبعبارةٍ أُخرى حُكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد؛ فإنّ حَمْلَ الآية على البالغين المكلَّفين -كما ذهب إليه- دون غيرهم نقول له فليَكُن كلُّهم بالِغينَ مُكَلَّفين أو ما شِئْتَ فَسَمِّه، وإنْ حُمِلَت على غيرها فكذلك أيضًا.

وأمّا جوابه الثاني: فخروجٌ عن طَور البحث؛ إذ لم يَقُل أحدٌ بأنّ الآية دلَّت على أنّ الذُرّية في الآية هي الصُور العينيّة الخارجيّة حتّى يُقال له ليس الأمر كذلك، فاستدلاله بالآية الشريفة ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**﴾[1]... إلخ، ثمّ قوله (قُدِّس سِرُّه) وإن لم يكن منه تعالى قولٌ في الحقيقة ولا منهما جوابٌ في حيّز المنع بالنسبة إلى مورد البحث، فإنّ ما ذكره (قُدِّس سِرُّه) معلومٌ لا كلامَ لأحدٍ فيه، وإنّما البحث في دلالة الآية على ثبوت عالم الذرّ وعدمها لا في كيفية جواب الذرَّات؛ إذ معلومٌ أنّ القول بكلمة (بلى) منهم بحسب شأنهم في عالم المجرَّدات لا بحسب شانهم بعد تعلُّقهم بالأجساد، وهذا ظاهر.

وأمّا أقوال العامّة: قال الفخر الرازيّ: في تفسير تلك الآية وجهان مشهوران:

الأوّل: وهو مذهب المفسّرين وأهل الأثر ما روى مسلم ابن يسار الجهنيّ

(١) فصلت: ١١.

أنّ عمر سُئِل عن هذه الآية فقال: سمعتُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) سُئل عنها فقال: **إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرّيةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرّيةً فَقَالَ: خَلَقْتُ [هؤُلَاءِ] لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ،** فقال رجل: يا رسول الله فَفِيم العمل؟ فقال رسول الله: **(إنَّ اللهَ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُدْخِلُ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُ النَّارَ)**[1].

وعن أبي هريرة قال: (قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله]: **(لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ، مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)**، وقال مقاتل: إنّ الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذُرّية بيضاء كهيئة الذي تتحرّك، ثمّ مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذُرّية سوداء كهيئة الذرّ، فقال: يا آدم هؤلاء ذرّيتك، ثم قال لهم ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾[2]، فقال للبيض: هؤلاء في الجنّة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أُبالي وهم أصحاب الشّمال وهم أصحاب المشأمة، ثمّ أعادهم جميعًا في صلب آدم؛ فأهل القبور محبوسون حتّى يخرج أهل الميثاق كلُّهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، وقال تعالى فيمن نقض العهد الأوّل ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**﴾[3]، وهذا القول قد ذهب إليه كثيرٌ

(١) تفسير الرازيّ: ج١٥/ ص٤٦.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) الأعراف: ١٠٢.

من قدماء المفسّرين؛ كسعيد ابن المسيَّب وسعيد ابن جُبير والضّحاك وعكرمة والكلبي)[1]، ثمّ قال: (وأمّا المعتزلة فقد اطبقوا على أنّه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه، واحتجّوا على فساد هذا القول بوجوه:

الأوّل: إنّه قال: ﴿**مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ**﴾[2]، فقوله ﴿**مِنْ ظُهُورِهِمْ**﴾ يدلّ من بني آدم، فلم يذكر الله أنّه أخذ من ظهر آدم شيئًا.

الوجه الثاني: إنّه لو كان كذلك لما قال: ﴿**مِنْ ظُهُورِهِمْ**﴾ ولا من ذرّياتهم بل قال: من ظهره وذرّيته.

الوجه الثالث: إنّه تعالى حكى عن أولئك الذُرّية أنّهم قالوا: ﴿**إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ**﴾[3] وهذا الكلام لا يليق بأولاده؛ لأنّه (عليه السلام) ما كان مشركًا.

الوجه الرابع: إنّ أخْذ الميثاق لا يمكن إلّا من العاقل، فلو أخَذ الله الميثاق مِن أولئك لكانوا عقلاء، ولو كانوا عقلاء وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم يُوجِبُ أن يتذكَّر وفى هذا الوقت فإنّهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم هذا العالم؛ لأنّ الإنسان إذا وقعت له واقعةٌ عظيمةٌ مهيبة فإنّه لا يجوز مع كونه عاقلًا أنّ ينساها نسيانًا كُليًّا لا يتذكَّر منها شيئًا لا بالقليل ولا بالكثير؛ وبهذا الدليل يَبطل القول بالتناسخ؛ فإنّا نقول لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه الأجساد في أجساد أخرى وجب أن نتذكَّر الآن أنّا كُنّا قبل هذا الجسد في

(١) تفسير الرازيّ: ج١٥/ ص٤٦-٤٧.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) الأعراف: ١٧٣.

أجسادٍ أُخرى، وحيث لم نتذكَّر ذلك كان القول بالتناسخ باطلًا، فإذا كان اعتمادنا في إبطال التناسخ ليس إلّا على هذا الدليل وهذا الدليلُ بعينه قائمٌ في هذه المسألة وَجَبَ القول به.

الوجه الخامس: إنّ جميع الخَلق الذين خلقهم الله من أولاد آدم (عليه السلام) عددٌ عظيم وكثرةٌ كثيرة، فالمجموع الحاصل من تلك الذرّات تبلغ مَبلغًا عظيمًا في الحجميّة والمقدار، وصُلب آدم (عليه السلام) على صِغَره يبعدُ أن يتّسع لهذا المجموع.

الوجه السادس: إنّ البُنية شرطٌ لحصول الحياة والعقل والفَهم؛ إذ لو لم يكن كذلك لم يبعد في كلّ ذرّةٍ من ذرّات الهباء أن تكون عاقلًا فاهمًا مصنِّفًا للتصانيف الكثيرة في العلوم الدقيقة، وفَتْحُ هذا الباب يُفضي إلى التزام الجهالات، وإذا ثبت أنّ البُنية شرطٌ لحصول الحياة فكلُّ واحدٍ من الذرّات لا يمكن أن يكون فاهمًا عاقلًا إلّا إذا حصلت له قدرةٌ من البنية والجثّة، وإذا كان كذلك فجُموع تلك الأشخاص الذين خرجوا من الوجود من أوّل تخليق آدم إلى آخر فناء الدُّنيا لا تحويهم الدُّنيا، فكيفَ يُمكن أنْ يُقال إنّهم بأسرهم حصَلوا دفعةً واحدةَ في صُلب آدم (عليه السلام)[1]؟!

أقول: دلائل المعتزلة لا تنحصر بما ذكرناه بل نقل الرازيّ في تفسيره ستّة دلائل أُخرى أعرضنا عن ذكرها حذرًا عن الأطناب، ومَن شاء فليَرجِع إلى تفسيره أو المجلَّد الثالث من بحار الأنوار باب الطِّينة والميثاق[2].

(١) ينظر: تفسير الرازيّ: ج١٥/ ص٤٧ـ٤٨.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: تفسير الرازيّ: ج١٥/ ص٤٨-٤٩، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٥/ ص٢٧١-٢٧٣.

ثمّ قال الرازيّ: (الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النَظَر وأرباب المعقولات أنّه أخرج الذرّة وهم الأولاد من أصلاب آبائهم، وذلك الإخراج أنّهم كانوا نطفةً فأخرجها الله تعالى في أرحام الأُمّهات وجعلها عَلَقَةً ثُمّ مُضغةً، ثُمّ بشرًا سويًّا وخَلقًا كاملًا، ثُمّ أَشهَدَهم على أنفسهم بما ركّبَ فيهم من دلائل وَحدانيَّته وعجائب خَلقه وغرائب صُنعه، فبالإشهاد صار وكأنّهم قالوا بلى وإن لم يكن هناك قولٌ باللِّسان؛ ولذلك نظائر؛ منها قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها ولِلأَرْضِ**﴾[1]، ومنها قوله تعالى: ﴿**إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناه أَنْ نَقُولَ لَه كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2])[3].

أقول: ثُمّ أطال الرازيّ المقالة بما لا مزيد عليها ونحن لا نحتاج إلى ذكرها والاعتراضات التي أوردها عليها؛ وذلك لأنّ غرضنا من ذِكر الأقوال العامّة الاطّلاع عليها لمن أرادها، وإلّا فكلّ ما ذكره الرازيّ ليس بقابل للقبول.

أمّا الوجه الأوّل: الذي ذكره فلأن الأحاديث المرويّة عن أبي هريره الكذّاب لا يمكن الاعتماد عليها وكذلك سائر روايته في الإسناد، ولذلك ترى حديثه الأوّل بل كلَّهم: (أتنادى بالجبر؟) وهو موافق لمذهب الأشاعرة القائلين بالجبر والرازيّ منهم، ولا نحتاج في إثبات الموضوع إلى هذه الأحاديث المجعولة وهذا ظاهر على المتتبِّع الخبير.

إذا عرفتَ دلائل كلّ واحدٍ من النّافين لعالم الذرّ والمثبتين له فنقول: اعلم أنّه إن قُلنا بأنّ الأرواح خُلقت قبل الأجساد فلا إشكال في ثبوت عالم الذرّ،

(١) فصلت: ١١.
(٢) النحل: ٤٠.
(٣) تفسير الرازيّ: ج١٥/ ص٥٠.

وإن لَم نَقُل به لا يمكن إثباته؛ وذلك لأنّ أَخْذَ الميثاق منّا لا يخلو حاله من وجهين:

الأوّل: أنْ نقول به بعد تعلُّق الروح بالبدن، **الثاني**: أن نقول به قبله، أمّا القول الثاني: فهو يُثْبت المطلوب، وأمّا القول الأوّل فلا سبيل إليه؛ وذلك لأنّ أَخْذَ الميثاق لو كان بعد تعلُّق روحنا ببدننا فلا بُدّ مِن أن يكون في هذا العالم أو قريبًا منه حين تعلُّق الروح بالبدن في الرَحِم، وهذا وإن كان ممكنًا إلّا أنّه لم يَقُل به أحد، فإذا انتفى القول الأوّل فلا بُدّ من الالتزام بالقول الثاني وهو الأَخْذُ قَبلَهُ وهو المطلوب، وإن شِئت قُلتَ: الشقوق المحتملة في المقام ثلاثة لا رابع لها؛ نَفْي أَخْذِ الميثاق مطلقًا، أَخْذِ الميثاق قبل تعلُّق الروح بالبدن، أخذُه بعد تعلُّق الروح بالبدن.

أمّا الشقّ الأوّل: فلا يمكن القول به؛ لأنّه مستلزِمٌ لِطرح الآية الشريفة والروايات الواردة الكثيرة في المقام كاستسمع.

وأما الشقّ الثاني: فهو المطلوب، وأمّا الشقّ الثالث: فلم يقُل به أحد مع أنّه أيضًا مخالف لظاهر الآية والروايات، فإذن لا بُدّ من القول بثبوته قبل تعلُّق الأرواح بالأبدان، وهو المطلوب.

إذا عرفتَ هذا فلا بُدّ لنا من البحث في تقدُّم الأرواح على الأجساد أوّلًا ثمّ إثبات عالم الذرّ ثانيًا، فيقع البحث في مقامين:

المقام الأوّل: في تقدُّم الأرواح وعدمه.

والمقام الثاني: في ثبوت عالم الذرِّ وعدمه.

أمّا المقام الأوّل: فتارةً نبحث عنه من طريق الفلسفة وتارةً من طريق

الروايات المأثورة، أمّا **البحث الأول**: فاعلم أنّه قد اختلفت الفلاسفة في تقدُّم الأرواح على الأجساد وعدمه فالمشّاؤون منهم وهم أتباع أرسطو ذهبوا إلى عدم تقدُّم الأرواح على الأجساد إلّا قليلًا منهم.

والإشراقيّون وهم أتباع أفلاطون ذهبوا تبعًا لأستاذهم إلى تقدُّم الأرواح على الأجساد، ثمّ كلٌّ واحدٍ منهما استدلّ على إثبات مذهبه بما لا مزيد عليه، ونحن نشير إشارة إجمالية إلى أقوالهم ودلائلهم ثمّ نقضي بينهما بالحقّ مؤيّدًا بالعقل والنقل وبالله التوفيق وعليه التَّكِلان.

مذهب المشائين في النفوس هو أنّها جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء، وقبل الخوض في أصل المقصود نُقدِّم أُمورًا لا بُدّ من ذكرها:

الأوّل: إنّ الروح والنفس لا فرقَ بينهما إلّا بالاعتبار؛ فمن حيث تجرُّده عن المادّة وعُلوّ مقامه وصدوره عن المبدأ الأعلى وأنّه الصادر الأوّل والقلم الأعلى يُسمّى بـ(الرُوح)، ومن حيث تنزّله إلى الأبدان العنصريّة وتعلُّقه بها يسمّى بـ(النفس) فتلك الجوهر المجرَّد في مقام عُلوِّه يُسمّى بـ(الروح) وفي مقام تنزُّله بـ(النفس).

الثاني: اختلفوا في أنّ النّفوس قديمة أو حادثة؛ ووجه الضبط في استيفاء الأقوال هو أنّ النفوس إمّا قديمة أو حادثة، والقائل بالحدوث إمّا أن يقول بحدوثها قبل حدوث البدن وإمّا أن يقول بحدوثها مع حدوثه وهو قول أكثر الحكماء والمتكلِّمين، وإمّا أن يقول بحدوثها مع حدوث البدن؛ بمعنى أنّ حدوثها حدوث البدن وهو قول صدر المتألِّهين الشيرازيّ[1].

(١) ينظر: المبدأ والمعاد، صدر الدين الشيرازيّ: ص١١٦.

والقائل بالقِدَم إمّا أن يقول بقِدَمها الذاتيّ وهو قول من يقول بأنّ النفس هي الإله، وإمّا أنْ يقول بالقِدم الزمانيّ والحدوث الذاتيّ فهو إمّا أن يقول بقِدمها في هذه السِّلسلة العرضيّة كما يقول به التناسخيّة، أو بالقدم في السّلسلة الطُوليّة وهو أيضًا تارةً يقول بالقِدم في السِّلسلة الطوليّة بما هي نفوس جزئيّة، أو بالقِدم فيها بما هي عقلٌ كُلِّي، وهذا الأخير هو ما ذهب إليه أفلاطون، فالأقوال في المسألة تبلغ سبعة:

الأول: إنّها حادثة قبل حدوث البدن.

الثّاني: إنّها حادثة مع حدوث البدن.

الثالث: إنّها حادثة بحدوث البدن؛ بمعنى أنّ حدوثها حدوثه.

هذا على رأي مَن قال بأنّها حادثة، امّا على القول بقِدمها فالأقوالُ تنحصر في أربعة:

الأول: القول بقِدَمها ذاتًا.

الثاني: القول بقِدَمها زمانًا وحدوثها الذاتيّ في السِّلسلة العَرَضيّة.

الثالث: القول به في السِّلسلة الطوليّة بما هي نفوس جزئيّة.

الرابع: القول به في السِّلسلة الطوليّة بما هي عقول كُليّة.

إذا عرفتَ ضَبْطَ الأقوالِ فيها فاعلم أنّه بناء على القول الأوّل –وهو حدوثها قبل حدوث البدن– يمكن القول بثبوت عالم الذرّ والعهد والميثاق كما لا يخفى.

وأمّا على القولَين الأخيرين في ظرف حُدوثها لا يمكن القول به وهو ظاهر، وأمّا على القول بقِدَم النّفوس فعلى القول الأوّل لا يمكن؛ إذ عليه

النفس هو الإله تعالى الله عنه.

وأمّا على القول الثاني والثالث والرابع فلا إشكال فيه، فالمحصّل هو أنّ القائل بثبوت الذرّ لا بُدّ له لتصحيح مَبناه من القول بتقدّم الأرواح على الأبدان إمّا حادثًا وإمّا قديمًا زمانًا لا ذاتًا فنقول: أمّا الفلاسفة المشّاؤون: وهم أتباع أرسطو، فظاهرًا لا خلاف بينهم في كون النفس حادثًا بحدوث البدن باقيًا بعد فناء البدن، كهو شأن كون الشيء جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء؛ وإليه أشار السبزواريّ (قُدِّس سِرُّه): (النفس في الحدوث جسمانيّة وفي البقاء تكون روحانيّة)[1].

قال الصدر الشيرازيّ (قُدِّس سِرُّه) في سفرِ النفس من الأسفار ما هذا لفظُه، (وأمّا أرسطاطاليس ومَن تأخّر عَنه من المشّائين فقد اتّفقوا على حُدوث هذه النفوس وهذه إحدى المسائل التي اشتهر أنّه وقع الخلاف فيها بين هذين الحَكيمين، ونحن وَجَّهنا قولَيهما في قِدَمِ النفوس وحُدوثها على وجهٍ يتوافق مغزاهما ويتّحد معناهما كما أشرنا إليه)[2] انتهى.

واستدلُّوا على مذهبهم بأمور:

الأوّل: إنّها لو كانت موجودة قبل الأبدان فإمّا إنْ كانت واحدةً، أو كثيرةً، وعلى الأوّل إمّا أن تتكثّر عند التعلُّق أو لا؛ فإن لم تتكثّر كانت النفسُ الواحدة نفسًا لكُلِّ بدن، ولو كان كذلك لكان ما عَلِمَهُ إنسانٌ عَلِمَهُ كلُّ إنسانٍ وما جَهِلَهُ جَهِلَهُ كلّ إنسان، وذلك محال، وإن تكثّرت لا مادّة له فلا يقبل

(١) شرح المنظومة، هادي السبزواريّ: ج٥/ ص١١٥.
(٢) الحكمة المتعالية، صدر الدين الشيرازيّ: ج٩/ ص٣٣٢-٣٣٣.

الانقسام والتجزية، وإن كانت قبل البدن متكثِّرةً فلا بُدّ وأن يمتاز كلُّ واحدٍ منها عن صاحبه أمّا بالماهيّة أو لوازمها أو عوارضها، والأوّل والثاني محالان؛ لأنّ النفوس الإنسانيّة متّحدة بالنّوع فيتساوى جميع أفرادها في جميع الذاتيات ولوازمها فلا يمكن وقوع الامتياز بها، وأمّا العوارض اللّاحقة فحدوثها إنّما تكون بسبب المادّة وما فيها ومادّة النفس بوجهٍ هي البدن وقبل البدن لا مادّة فلا يمكن أن يكون هناك عوارض مختلفة؛ فثبت أنّه يمتنع وجود النفس قبل البدن لا على نعت الاتّحاد ولا على نعت الكثرة، فإذن القولُ بقِدَمها باطلُ، وهو المطلوب.

الثاني: ما ذكره أبو البركات على حدوث النفس وحاصله: إنّ النفس لو كانت موجودةً قبل البدن فلا تخلو إمّا أن تكون متعلِّقة بأبدانٍ أُخرى أو غير متعلِّقة بها، والأَوّل باطل؛ لاستلزامه التّناسخ المستحيل، والثاني باطل؛ لأنّ النفس لا بُدّ من أن تكون متعلِّقةً بشيء وإلَّا تكون عقلًا لا نفسًا، فإذن لا بُدّ من أن تكون النفس غير موجودة قبل البدن فهي حادثة بحدوثه وهو المطلوب، ثمّ أنّ القائلين بحدوث النفس بحدوث البدن اختلفوا، ثانيًا: على ثلاثة أقوال:

الأوّل: إنّها جسمانيّة الحُدوث وروحانيّة البقاء؛ بمعنى إنّها في الحدوث غير مجرّدة بل جسمانيّة وفي البقاء تكون روحانيّة، كما نقلناه عن السبزواريّ[1] (قُدِّس سِرُّه)، وهذا قول كثير من الفلاسفة المتأخّرين بل أكثرهم ذهبوا إليه.

الثاني: إنّها روحانيّة الحدوث والبقاء؛ بمعنى إنّها مجرَّدة ذاتًا لا فِعلًا وإلَّا لكانت عقلًا إذ العقل مجرّد ذاتًا وفعلًا، فلو كانت النفس أيضًا كذلك لما كان

(١) ينظر: شرح المنظومة، هادي السبزواري: ج٥/ ص١١٥.

بينهما فرق وهذا القول نُسب إلى أرسطو وأتباعه من المشّائين القائلين بأنّها مجرّدة ذاتًا لا فعلًا.

الثالث: إنّها روحانيّة الحدوث وجسمانيّة البقاء عكس القول الأوّل، وهذا قول بعض التناسخة.

القول الرابع: وهو الَّذي ارتضاه الصدر الشيرازيّ وأبدعه ثمّ أعرض عنهُ وذهبَ إلى القول الأوّل وأنّها جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء[1]، وفي كلٍّ واحدٍ من الأقوال شكوكٌ واعتراضاتٌ مذكورة في محلِّه، هذا خُلاصة أقوال القائلين بحدوث النفس بحدوث البدن، وعليه: لا سبيل إلى القول بعالم الذرّ والعهد كما هو ظاهر.

وأمّا أفلاطون فقد ذهب إلى أنّ النفوس الإنسانيّة قديمةٌ لا ذاتًا، إذ لا قديم ذاتًا سوى الله تعالى بل زمانا المساوق مع الحدوث الذاتيّ الَّذي لم يسبقه زمان بل مسبوق بالعِلَّة فقط، وتبعه على هذا القول كثيرٌ من علماء الفلاسفة الإشراقيّين والمشّائيين؛ واستدلّ عليه بوجوه ثلاثة:

الأوّل: إنّ كلَّ ما يحدث فإنّ له مادّة مخصَّصة تكون باستعدادها سببًا لأنْ يصير أَولى بالوجود بعد أن لم يكن، فلو كانت النُفوس حادثةً لكانت ماديّة، والتالي باطل فالمقدّم مثله.

الثاني: إنّها لو كانت حادثةً لكان حدوثها بحدوث الأبدان، لكنّ الأبدان الماضية غير متناهية؛ فالنفوس الماضية التي بإزائها غير متناهية لكن النفوس بعد الأبدان باقية بالاتّفاق، فالنُفوس الحاصلة في هذا الوقت غير متناهية

(١) ينظر: الحكمة المتعالية، صدر الدين الشيرازيّ: ج٩/ ص٣٣٢-٣٣٣.

لكنّها أي نفوس غير متناهية موجودة بالفعل محال؛ لكونها تقبل الزيادة والنُقصان مع أنّ كلّ ما كان كذلك فهو متناهٍ، فأذن ثبت أنّ النُفوس الموجودة بالفعل متناهية فحدوث الأبدان ليس سببًا لحدوث النفوس عن عِللها لا يتوقّف على حدوث البدن واستعداد المادّة فهي قديمة.

الثالث: إنّها لو كانت حادثةً لكانت غير دائمة؛ إذ كلّ كائنٍ فاسد وكلّ ما هو أبديّ فهو أزليّ، وقد ثبت أنّها باقية أبديّة كما سيجيء بيانه، فهي إذن أزليّة، قال الصدر الشيرازيّ (قُدِّس سِرُّه) في الأسفار ما هذا لفظه: (ما مرّ من الكلام يكفي لإثبات أنّ هذه النفوس (النفوس البشريّة) حادثةٌ بحدوث الأبدان؛ إذ قد ظهر أنّها متجدّدة مستحيلة من أدنى الحالات الجوهريّة إلى أعلاها، ولو كانت في ذاتها قديمة لكانت كاملة الجوهر فطرةً وذاتًا فلا يلحقها نَقْصٌ وقُصور، ولو لم تكن في ذاتها ناقصةَ الوجود لم تكن مفتقرة إلى آلاتٍ وقوى بعضها نباتيّة وبعضها حيوانيّة)[1].

ثُمَّ قال (قُدِّس سِرُّه): (وأيضًا لو كانت قديمة لكانت منحصِرةَ النَّوع في شخصها ولم يكن يُسمَح لها في عالم الإبداع الانقسام والتكثُّر؛ لأنّ تكثُّر الأفراد مع الاتّحاد النوعيّ إنّما هو من خواصّ الأجسام والجسمانيّات الماديّة والَّذي وجوده ليس بالاستعداد والحركة والمادّة والانفعال فحَقُّ نوعه أن يكون في شخصٍ واحد، والنفوس الإنسانيّة متكثِّرةُ الاستعداد (الإعداد) مُتّحدة النّوع في هذا العالم كما سيجيء؛ فيستحيل القول بأنّ لهذه النفوس الجزئيّة وجودًا قبل البدن فضلًا عن أنْ تكون قديمة)[2] انتهى.

(١) الحكمة المتعالية، صدر الدين الشيرازيّ: ج٩/ ص٣٣٠-٣٣١.
(٢) الحكمة المتعالية، صدر الدين الشيرازيّ: ج٩/ ص٣٣١.

أقول: وقد ظهر لك ممّا ذكرناه على سبيل الإجمال أنّ البحث في النفس الناطقة الإنسانيّة التي هي مرتبةُ التنزُّل من الروح الَّذي قيل فيه: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[2]، وفي النفس قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) (**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**)[3]، وغير ذلك من الآثار، يدور على أمرين: القِدَم والحُدوث؛ ونعني بالقِدم القديم الزمانيّ وإنْ شِئتَ فعُبِّرَ عَنهُ بالحُدوث الذاتيّ، ولتفصيل الكلام في هذا المضمار مقامٌ آخر؛ فإنّ كتابنا موضوعٌ لشَرح كلامه (عليه السلام) لا لتحقيق المطالب العقليّة.

أمّا البحث في تقدّم الأرواح خَلقًا من طريق الروايات والآيات، فنقول:

البصائر، بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: (جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنّي لَأُحِبُّك، فقال (عليه السلام):

كَذِبْتَ، فقال الرجُل: سبحان الله كَأنك تعرفُ ما في قلبي؟! فقال علي (عليه السلام): **إنَّ الله خَلَقَ الأَرواحَ قَبْلَ الأَبْدَانَ بأَلفَي عَامٍ، ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَينَا فَأَيْنَ كُنْتَ وَلَمْ أَرَك؟**)[4] انتهى.

ومنه، عن عمارة، قال: (كنتُ جالسًا عند أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ أقبل رجلٌ فسلَّم عليه، ثُمَّ قال: يا أمير المؤمنين (عليه السلام) والله إنِّي

(١) الحجر: ٢٩.
(٢) الإسراء: ٨٥.
(٣) متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب: ج١/ ص٤٤.
(٤) بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفار: ص١٠٧.

لأُحِبُّك، فسألَه ثمّ قال (عليه السلام) له:

إنَّ الأَرْوَاحَ خُلِقَتْ قَبْلَ الأَبْدَانِ بِأَلْفَيْ عَامٍ ثُمّ أُسْكِنَتْ الهَوَاءَ فمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ثمّ ائْتَلَفَ هَاهُنَا، وَمَا تَنَاكَرَ مِنها اخْتَلَفَ هَاهُنَا وَأَنَّ رُوحِي أَنْكَرَ رُوحَكَ)[1] انتهى.

الكشيّ، بسنده عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال (صلّى الله عليه وآله): **(خَلَقَ الأَرْوَاحَ قَبْلَ الأَجْسَادِ بِأَلْفَيْ عَامٍ ثُمَّ أَسْكَنَهَا الهَوَاءَ فمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ثمّ ائْتَلَفَ هَاهُنَا، وَمَا تَنَاكَرَ مِنها اخْتَلَفَ هَاهُنَا)**[2].

البصائر، عن بعض أصحابنا بسنده، عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى خَلَقَ الأَرواحَ قَبْلَ الأَجسادِ بِألفَي عامٍ، فَلَمّا رَكَّبَ الأَرواحَ في أَبْدانِها كَتَبَ بَيْنَ أَعْيُنِهِم (مؤمن) أو (كافر) وما هُمْ بِهِ مُبْتَلُونَ وما هُمْ عَلَيهِ مِن سَيِّئ أعمالهم وحَسنِها في قَدر أذنِ الفأرةِ ثُمّ أَنزَلَ بِذلِكَ قُرآنًا على نَبيِّهِ فقالَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾**[3]**، وَكَانَ رَسُولُ الله هُوَ المتوسِّمُ وأَنا بَعدَهُ وَالأئمّةُ مِن ذُرِّيَّتِي هُمُ المُتَوَسِّمُونَ)**[4].

العِلل، بسنده المتّصل عن عبد الله بن الفضيل الهاشميّ، قال: قلتُ: لأبي عبد الله لأيِّ عِلَّةٍ جَعل الله عَزَّ وَجَلَّ الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته

(١) بصائر الدرجات: ص١٠٨.
(٢) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسّي: ج٢/ ص٦٩٧.
(٣) الحجر: ٧٥.
(٤) بصائر الدرجات: ص٢٧٧.

الأعلى في أرفع محلّ؟ فقال (عليه السلام):

(إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِمَ أَنَّ الأَرْوَاحَ فِي شَرَفِهَا وَعُلُوِّهَا مَتَى تُرِكَتْ عَلَى حَالِهَا نَزَعَ أَكْثَرُهَا إِلَى دَعْوَى الرُّبُوبِيَّةِ دُونَهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَجَعَلَهَا بِقُدْرَتِهِ فِي الأَبْدَانِ الَّتِي قَدَّرَهَا لَهَا فِي ابْتِلاءِ التَّقْدِيرِ نَظَرًا لَهَا وَرَحْمَةً بِهَا، وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَعَلَّقَ بَعْضَهَم عَلَى بَعْضٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهَم عَلَى بَعْضٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهَم فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، وَكَفَى بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَأَرسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، يَأْمُرُونَهُمْ بِتَعَاطِي العُبُودِيَّةِ وَالتَّوَاضُعِ لِمَعْبُودِهِمْ بِالْأَنْوَاعِ الَّتِي تَعَبَّدَهُمْ بِهَا، وَنَصَبَ لَهُمْ عُقُوبَاتٍ فِي العَاجِلِ وَعُقُوبَاتٍ فِي الآجِلِ، وَمَثُوبَاتٍ فِي العَاجِلِ وَمَثُوبَاتٍ فِي الآجِلِ؛ لِيُرَغِّبَهُمْ بِذَلِكَ فِي الخَيْرِ وَيُزَهِّدَهُمْ فِي الشَّرِّ، وَلِيَدُلَّهم بِطَلَبِ المَعَاشِ وَالْمَكَاسِبِ، فَيَعْلَمُوا بِذَلِكَ أَنَّهُمْ بِهَا مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ مَخْلُوقُونَ، وَيُقْبِلُوا عَلَى عِبَادَتِهِ، فَيَسْتَحِقُّوا بِذَلِكَ نَعِيمَ الأَبَدِ، وَجَنَّةَ الخُلْدِ، وَيَأْمَنُوا مِنَ النُّزُوعِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُمْ بِحَقٍّ، ثم قال (عليه السلام):

يَا ابْنَ الفَضْلِ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنُ نَظَرًا لِعِبَادِهِ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَرَى فِيهِمْ إِلَّا مُحِبًّا لِلْعُلُوِّ عَلَى غَيْرِهِ حَتَّى أنّه يكون مِنْهُمْ لَمَنْ نَزَعَ إِلَى دَعْوَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَمِنْهُمْ من نَزَعَ إِلَى دَعْوَى النُّبُوَّةِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَعَ إِلَى دَعْوَى الإِمَامَةِ بِغَيْرِ حَقِّهَا مَعَ مَا يَرَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ وَالضَّعْفِ وَالْمَهَانَةِ وَالْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالْآلَامِ، والمناوبة عَلَيْهِمْ وَالْمَوْتِ الغَالِبِ لَهُمْ،وَالْقَاهِرِ لِجَمِيعِهِمْ، يَا ابْنَ الفَضْلِ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَفْعَلُ لِعِبَادِهِ إِلَّا الأَصْلَحَ لَهُمْ، وَلا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[1].

(١) علل الشرائع، الصدوق: ج١/ ص١٥- ١٦.

أقول: في هذا الحديث الشريف لمعاتٌ من النور ونُكاتٌ دقيقة لا تخفَى على المتأمّل فيه:

أمّا الأوّل: فَلأنّه (عليه السلام) بَيَّنَ سِرّ هبوط الأرواح وتعلُّقها بالأبدان، بخلاف ما قال الحكماء فإنّ الحكماء قالوا بأنّ عِلّة تعلُّق الأرواح بالأجساد وصولها إلى كمالات وغايات لا يمكن لها الوصول إليها إلّا بالقوى البدنيّة والآلات الجسمانيّة؛ ولأجل هذا ذهبوا إلى امتناع خلق الأرواح قبل الأجساد كما عرفت من الصدر الشيرازيّ حيث قال: (إذ قد ظهر أنّها متجدّدة مستحيلة من أدنى الحالات الجوهريّة إلى أعلاها ..)[1] إلى آخر ما قال ونقلناه، فكلامه صريحٌ في أنّها ناقصةُ الوجود مفتقِرة الآلات والقوى، وكلامه (عليه السلام) مُشعِرٌ بانّ الأمر ليس كذلك، بل سبب تعلُّقها بالأجساد هو أنّه تعالى عَلِمَ أنّ الأرواح لشرفها وعُلوِّها متى ما تُركت على حالها نَزع أكثرها إلى دعوى الربوبيّة .. إلى آخر ما قال (عليه السلام)، في الحقيقة جوابٌ عن استدلال القائلين بأنّها حَدَثتْ مع حُدوثِ البدن لأجل الاستكمال.

وأمّا ثانيًا: فقد أشار إليه إلى أنّها ليست على حدٍّ سواء، بل التفاوت والتمايز ثابتٌ بينها من حيث المقام، وهذا أيضًا ردٌّ على مِن قال بأن الأرواح قبل التعلّق بالأبدان ليست بمتفاوتة ولا متمايزة في حدِّ أنفسها.

وثالثًا: إنّ إرسال الرُّسل وإنزال الكُتب والثواب والعقاب في العاجل والآجل كلّها ببركة الأرواح ولأجلها لا للبدن العنصريّ، ففي الحقيقة ليس الإنسان إلّا روحه الَّذي تعلّق ببدنه وهو فصله الأخير كما تقرَّر في محلِّه.

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة: ج٩/ ص٣٣٠.

ورابعًا: أشار (عليه السلام): بأنّ الإنسان يطلب العُلُوَّ لروحه والسَّفْل لجسمه، وهذا أيضًا ظاهر واصل متين وباقي النكات ظاهر.

الاختصاص، بإسناده عن أحمد بن محمد ابن عيسى بسنده المتّصل، عن أصبغ ابن نباتة، قال: (كنتُ مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، [فأتاه رجل فسلّم عليه][1]، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إنّي والله لَأُحِبُّكَ في الله، وأُحِبُّكَ في السرِّ كما أُحِبُّكَ في العَلانية، وأُدينُ الله بولايتك في السرِّ كما أُدين بها في العلانيّة، وبيد أمير المؤمنين عودٌ، فطأطأ رأسَه، ثمّ نكث بالعُود ساعةً في الأرض، ثمّ رفع رأسَهُ إليه، فقال:

إنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله حَدَّثَني بِأَلفِ حَديثٍ، لِكُلِّ حَديثٍ ألفُ بابٍ، وإنَّ أرواحَ المُؤمِنينَ تَلتَقي فِي الهَواءِ، فَتَشَمُّ وتَتَعارفُ، فَما تَعارَفَ مِنهَا ائتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنهَا اختَلَفَ، وبِحَقِّ الله لَقَد كَذِبتَ؛ فَما أعرِفُ فِي الوُجوهِ وَجهَكَ[2] **ولاَ اسمَكَ فِي الأَسماءِ**، ثُمَّ دخل عليه رجلٌ آخر، فقال:

يا أمير المؤمنين والله إِنِّي لأُحِبُّكَ في الله، وَأُحِبُّكَ فِي السِرِّ كَما أُحِبُّكَ في العَلانية، قال: فنكث بُعوده الثانية إلى الأرض، ثمّ رَفَعَ رأسَهُ إليه، فقال له:

صَدَقْتَ، إِنَّ طِينَتَنَا طينة مَخْزُونَةٌ، أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَهَا مِنْ صُلْبِ آدَمَ فَلَمْ يَشِذُّ مِنْهَا شَاذٌّ، وَلَا يَدْخُلُ منها دَاخِلٌ مِن غَيرِهَا، اِذْهَبْ فَاتَّخِذْ لِلْفَقْرِ جِلْبَابًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صلى لله عليه وآله)، يَقُول:

يَا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ، وَالله الفَقْرُ أَسْرَعُ إلى مُحِبِّيْنَا مِنْ السَّيْلِ إلى بَطْنِ

(١) هكذا في الاختصاص.

(٢) «فما أعرف وجهك في الوجوه» هكذا في الاختصاص.

الـوَادِي)[1] انتهـى.

والروايـات في هـذا البـاب كثيرة وفيـما ذكرنـاه كفايـة، وإنّي أتعجَّبُ مـن المفيـد (قُـدِّس سِرُّه) ومَـن تابعـه كيـف يَسَـعُه القـول بـأنّ روايـة خَلـق الأرواح خـبرٌ واحـدٌ لا يقطـع بصحّتـه، مـع أنّـه كـما تـرى متظافـرة بـل متواتـرة معنـى وإن لم تكـن لفظًـا، وكيـف أمكـن لـه وللسـيّد (قُـدِّس سِرُّهمـا) غـضّ النّظـر عـن هـذه الروايـات الصحيحـة الكثيرة المؤيَّـدة بالآيـة الشريفـة والقـول بإنـكار عـالم الـذرّ، وهـذا أمـرٌ عجيـب!!

قـال بعـض المتكلّمين: النفوسُ الإنسـانيّة سـواء جعلناهـا مُجـرّدة أو ماديّة حادثة عندنـا لكونهـا أثـر القـادر المختـار، وإنّـما الـكلام في أنّ حدوثهـا قبل حـدوث البدن لقولـه (عليـه السـلام): (**خَلَـقَ اللهُ الأَرْوَاحَ قبـلَ الأَجْسَـادِ بأَلْفَـي عَـام**)[2]، أو بعـده لقولـه تعـالى بعـد ذكـر أطـوار البـدن: ﴿**ثُـمَّ أَنْشَـأْنَاهُ خَلْقًـا آخَـرَ**﴾[3]، إشـارة إلى إفاضـة النفـس، ولا دلالـة في الحديـث عـلى أنّ المـراد بـالأرواح النفـوسُ البشريّـة أو الجواهـر العلويّـة ولا في الآيـة عـلى أنّ المـراد إحـداث النفـس أو إحـداث تعلُّقهـا بالبـدن، وأمّـا الفلاسـفة: فمنهـم مـن جعلهـا قديمـة ومنهـم مـن جعلهـا حادثـة، وذهـب أرسـطو وشـيعته إلى حدوثهـا[4] انتهـى.

---

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد: ص٣١١.

(٢) معـاني الأخبـار، الشـيخ الصـدوق: ص١٠٨، الأمـالي، الشـيخ المفيـد: ص١١٤. هـذا الحديـث جـزء مـن حديـثٍ أكثـر تفصيـلًا، ومنهـا مـا نُسـب لرسـول الله (صـلّى الله عليـه والـه) وللإمـام عـليّ (عليـه السـلام) وأيضًـا للأمـام الصـادق (عليـه السـلام)؛ حيـث تتفـق الأحاديـث بالنَـصِّ بـما ذُكـر أعـلاه وتختلـف لفظًـا.

(٣) المؤمنون: ١٤.

(٤) ينظر: بحار الأنوار، المجلسّي: ج٥٨/ ص١٤٣.

إذا عرفتَ ما تلوناهُ عليك وتَدبَّرت فيه حقَّ التدبُّر فاسمع ما أقولُ لك وبالله التوفيق.

المقام الثاني: في ثبوت عالم الذرّ في شرح قوله (عليه السلام): (**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**) إشارة إلى عالم الذرّ أو عالم الأرواح والمجرّدات؛ حيث أنّ هذا الميثاق لم يكن في عالم المادّة والطبيعة ولمّا كان ثبوته متوقّفًا على سَبْق الأرواح فقدَّمنا الحديث فيه، والذي أقول في المقام هو القول بسَبْقِ الأرواح على الأجساد خلافًا للمفيد والمرتضى (قُدِّس سِرُّهما) وتبعًا لأكثر علماء المذهب بل كلِّهم غيرهما ومَن تَبِعَهما للروايات الدالّة على تقدُّمِها ولا سيّما أنّ الآثار مؤيّدة بالآية.

قوله (عليه السلام): و (**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**) الشريفة وصريح العقل والوجدان لا لما ذهب إليه أفلاطون؛ فانّ دَأبنا ليس تطبيق الآيات والروايات على كلماتهم ومُستخرجاتهم بل الأمرُ بالعكس، وحيث أنّ مذهب أفلاطون وجدناه مطابقًا للنصوص فأخذنا به وطرحنا مذهب المشّاءين القائلين بحدوث الأرواح بحدوث الأبدان، وإن كان كِلا المذهبين في أصل حدوث الأرواح متّفِقَين، إلّا أنّ أفلاطون يقول بحدوثها الذاتيّ أو القديم الزماني والمشّاؤون بحدوثه الزمانيّ المسبوق بالعَدم، نعم، لو قُلنا بالتفصيل والفرق بين الأرواح والنفوس الناطقة البشريّة من جهة أنّ الأرواح جواهر مجردة علويّة والنفوس جواهر غير مجرّدة مادّية، فيخرج بَحْثُ النفوس فِعلًا عن كلامنا وتخصيص البحث بالأرواح، والقائل بهذا التفصيل قليل، والحمد لله ربِّ العالمين.

وأمّا الوحي: فهو على ما قال الراغب في الأصل عبارة عن: الإشارة السريعة، ولتضمّنه هذه السرعة قيل أمر وحي، وهو يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوتٍ مجرَّدٍ عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكناية[1]؛ كما قال الله تعالى عن زكريّا: ﴿**فَخَرَجَ عَلى قَوْمِه مِنَ المِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وعَشِيًّا**﴾[2].[3]

ثمّ قال: (ويقال للكلمة الإلهيّة التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ، وذلك أضرُبٌ حسبما دَلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلّا وَحْيًا**﴾[4]؛ وذلك إمّا برسولٍ مشاهدٍ تُرى ذاتُه ويُسمع كلامُه؛ كتبليغ جبرئيل (عليه السلام) للنبيِّ في سورة معيّنة، وإمّا بسماع كلامٍ من غير معاينة؛ كسماع موسى كلام الله، وإمّا بإلقاءٍ في الرَوْع؛ كما قال (صلّى الله عليه وآله وسلم): (**إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رَوْعِي**)، وإمّا بإلهامٍ نحو: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾[5]، وأمّا بتَسخير: نحو قوله تعالى: ﴿**وأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾[6]، أو بمنامٍ كما قال (عليه السلام): (**اِنقَطَعَ الوَحي وبقِيَتِ المُبَشِّراتُ رُؤيا المُؤمِن**)[7].

قوله (عليه السلام): (**وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**): يعني أنّ الله تعالى

(١) «وبالكتابة» هكذا في المفردات في غريب القرآن.
(٢) مريم: ١١.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ: ص٥١٥.
(٤) الشورى: ٥١.
(٥) القصص: ٧.
(٦) النحل: ٦٨.
(٧) المفردات في غريب القرآن: ص٥١٥-٥١٦.

قد أخذ عنهم في عالم الذرِّ العهد والميثاق على الوحي منه تعالى إليهم؛ حتّى يكونوا واسطة بين الخالق والمخلوق، وكذلك أخذ عليهم العهد والميثاق على تبليغ الرسالة أمانتهم؛ والأمانة عبارة عن الدِّين والأحكام الشرعيّة والنواميس الإلهيّة التي لا تتمُّ إلّا بتعيينهم الوحي والإمام بعد هم لحفظها ونشر أحكامها، ولَعلَّه (عليه السلام) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[1] ...إلخ وقوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ**﴾[2]، هذا بالنسبة إلى نبيّنا وهكذا الأمر بالنسبة إلى تمام الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين»[3].

عاشرًا- الشيرازيّ:

قال: «استهلّ كلامه (عليه السلام) بهذا الشأن[4] قائلاً: (**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**)، وعلى هذا الأساس فإنّ الأنبياء قد عاهدوا الله مُنذ بداية الوحي برعايته وإيصاله إلى الناس على أنّه أمانةٌ وعَهدٌ في أعناقهم.

نعم لقد تقبل الأنبياء (عليهم السلام) هذه المسؤولية العظيمة فجَدّوا واجتهدوا في حملها وإيصالها إلى الناس كأمانةٍ ووديعةٍ إلهية، أمّا الحديث بشأن بعض الأمور من قبيل: كيف اختار الله هذه الصفوة من الأنبياء؟ وما حقيقة

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) مفتاح السعادة: ج١/ ص٢٩٩ ـ ٣٣٧.

(٤) أي شأن بعث الأنبياء.

الوحي؟ وكيف يوحى للبعض بينما لا يوحى للبعض الآخر منهم؟ فنُوكِله إلى موضعه.

والواقع هو أنّ العبارة المذكورة إشارة للآية: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[1]»[2].

أحد عشر- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشِد قوله (عليه الصلاة والسلام): «**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**» -فضلًا عمّا أفاده الشرّاح- إلى أمرين:

الأوّل: الأصل في الاصطفاء والبَعْث هو تحقيقُ الخِلافة في الأرض.

بيانه (عليه السلام) لمرحلة جديدة من مراحل تحقيق عنوان الخلافة في الأرض والتي خُلق لأجلها آدم (عليه السلام)، ومن ثَمَّ لا بُدَّ من البيان حول آليّة تحقيق هذه الغاية الإلهيّة، فكان عبر اصطفاء الرُّسل والأنبياء (عليهم السلام) من وُلد آدم، والعلّة في الاصطفاء هي لبيان :أنّ وُلد آدم مِنهم مَن يَنحرف عن الصراط ويقع في الضَلال ويتَّبع الشيطان ورموزه من الإنس والجنِّ فكانوا له أشياعًا وأداة، ومنهم من يُحقِّق عنوان الخِلافة في الأرض؛ وهم المصطَفون من وُلده.

والثاني: ما المراد بالميثاق والأمانة التي أخذها الله على الرُّسل خاصة؟

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) نفحات الولاية: ج١/ ص ١٤٠.

ينتقل بنا النصّ الشريف إلى بيان آليّة أخذ الميثاق والأمانة من الرُّسل (عليهم السلام)، وفيه أمرين:

الأول: ما هو الميثاق، وكيف أُخِذ؟ وجوابه من عدّة أوجه:

١- ذهب بعض الشرّاح ولا سيّما الشارح النقويّ إلى الإسهاب في مناقشة عالم الذرّ وما تعلّق به من أقوال وآراء بين العامّة والخاصّة، فضلًا عن مسألة التقديم في العوالم، فهل قدَّم الله تعالى خلق الأرواح على عالم الذرّ، أم أنّ عالم الأنوار والأشباح -التي أشارت إليه العديد من الروايات- هو المقدّم؟

ولقد تناولتُ هذا الموضوع في بحثٍ مستقلٍّ في كتابنا الموسوم: «هذه فاطمة (عليها السلام)» في الجزء الأول بنَحْوٍ مفصَّل في بيان الأحاديث الشريفة التي تناولت خَلق نورها وروحها وطينتها، مما أعطى كاشفيّةً عن تعدُّد هذه العوالم، فضلًا عمّا مرَّ بيانه في مبحث صفة خلق آدم وسجود الملائكة له عبر تعظيمهم؛ وذلك بوصفه الوعاء الذي حمل أنوار أصحاب الكساء الخمسة (عليهم السلام).

أما مناقشة رأي الشيخ المفيد وتلميذه علم الهدى (عليهما رحمة الله) فضلًا عن مناقشة أقوال العامّة من المعتزلة والحشويّة وغيرهم فهو خارج تخصُّص عنوان النصّ الشريف - مورد البحث- ؛ وذلك أنّ المدار فيه هو الاختصاص في ميثاق الرُّسل وليس الميثاق المأخوذ على بني آدم في أَمر التوحيد كما صرّحت به الآية المباركة:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا

غَافِلِينَ﴾[1].

ومن ثَمّ المدارُ في البحث هو ما خصَّصه النَصّ الشريف في شأن الرُّسل الذين أخذ الله «**عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**»، وأنّه أُخِذَ في عالم الذرّ.

٢- إنّ الميثاق المأخوذ على الرُّسل كان مقيَّدا بما يوحى إليهم، أي إنّهم لا يُخالِفون الله تعالى فيما يوحِي إليهم، ومن ثَمَّ فالميثاق مقيَّد بالوحي وليس بأمر التوحيد وهو خارج عن الاختصاص؛ وذلك أنّ جميع الخَلق فُطِروا على التوحيد عبر عهد الله إليهم، وهو غير الميثاق الذي ذهب إلى القول به الشرّاح، وممّا يَدُلّ عليه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) - مورد البحث - فقد قيَّد (عليه السلام) التوحيد بالعَهد، وخصَّص الميثاق بالوحي، فقال: «**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه...**».

٣- إنّ المستفاد من الآيات المباركة في خصوص الميثاق أنّه الشريعة بصفتها ودلالتها العامّة، ولا سيّما أنّها جاءت بالتحذير والتنبيه من خطورة تجاوز حدود الشريعة.

أ- قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

ب- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا

(١) الأعراف: ١٧٢.
(٢) النساء: ٢٠-٢١.

لُهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

ج- **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾**[2].

فالآيات المباركة تكشف عن دلالات الميثاق الغليظ بوصفه شَرْعَ الله تعالى، ومِن ثَمّ فما أخذ على الرُّسل من الميثاق بما يوحِي إليهم من شريعة فهو الميثاق الغليظ.

الأمر الثاني: الأمانة، وفيها دلالات ثلاثة: عامة، وخاصة، وأخص.

فأما العامة: فهي متعلِّقة بـ**(التوحيد)** وهو سنام التبليغ الذي أُخِذَ على الرُّسل والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام).

والخاصّة: فمتعلِّقة بـ**(الرُّسل)** (عليهم السلام)؛ فقد أخذ الله عليهم الأمانةَ في تبليغ شريعته إلى الناس ولاسيّما مَن يُبعثون إليهم في الزمان والمكان المخصوص لكُلٍ منهم.

والأخصّ: فهي متعلقة بـ**(التبليغ)** كلٌ منهم للآخر، وتسليمه علومه ومواثيقه، ولاسيّما التبليغ بخاتم النبيّين أبي القاسم محمد (صلّى الله عليه وآله) والتبشير به وبالأئمّة من بعده، وهم عترته أهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا، في محكم التنزيل من سورة الإحزاب[3]، ولاسيّما الثاني عشر منهم، مهديّ الأُمّة، ومُصلِح

(١) النساء: ١٥٤.

(٢) الأحزاب: ٧.

(٣) الآية: ٣٣، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

الزمان، وبشارة الأديان، وثمرة الخلافة في الأرض(عجّل الله تعالى فرجَه، وسهَّل مخرجَه)، والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المطلب الثاني: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جملة من الحقول المعرفية؛ كاللُّغة، والإعراب، والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- الراونديّ:

قال: «(**بَدَّلَ**): غيَّر[1]، **والنِّد**: المثل[2]»[3].

ثانيًا- مغنية:

قال: «و(**الأَنْدَادَ**): جَمع نِدّ، وهو المثيل»[4].

ثالثًا- الشيرازيّ:

قال: «(**أنداد**) جمع (نِدّ) على (وزن) ضِدّ بمعنى: المثل[5]؛ وأراد هنا المعبودين من دونه سبحانه وتعالى، بينما قال صاحب المقاييس إنّها تعني

(١) ينظر: العين: ج ٨/ ص٤٥، مادّة (بدل)، الصحاح: ج٤/ ص١٦٣٢، مادّة (بدل).
(٢) ينظر: الصحاح: ج٢/ ص٥٤٣، مادّة (ندد). وورد قريب من هذا المعنى في: شرح نهج البلاغة، البحرانيّ: ج١/ ص٢٠٠، منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٢٩، بهج الصباغة، التستريّ: ج٢/ ص٣١.
(٣) منهاج البراعة: ج١/ ص ٧٦.
(٤) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.
(٥) ينظر: الصحاح: ج٢/ ص٥٤٣، مادّة (ندد)

الانفصال والهروب والمخالفة[1]؛ ولهذا قال اللُّغويّون بأنَّ النِدَّ لا يُطلق على كلِّ مثل؛ بل تُطلق على المثل الذي يَتّخِذ مسارًا يُخالف آخر في أعماله وأفعاله[2]؛ كالفرد الذي يُماثل آخر إلاّ أنّه يحُاربه»[3].

المسألة الثانية: الإعراب.

أولًا- الخوئيّ:

قال: «(**لَمَّا**) في قوله (عليه السلام): (**لَمَّا بَدَّلَ**)، ظرفيّة بمعنى: حين أو بمعنى: إذ، وتختصّ بالماضي، وبالإضافة إلى الجملة فتقتضي جملتين وُجِدَت ثانيتُهما عند وجود أُولاهُما، وتقدير الكلام: (**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ الله**) (**اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ**)، والعامل فيها الجواب المقدَّم»[4].

ثانيًا- مغنية:

قال: «(**لَمَّا بَدَّلَ**)، (**لَمَّا**) هنا بمعنى: حين أو إذ؛ لأنّها دخلت على الماضي»[5].

ثالثًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ**»: (**لَمَّا**): ظرف زمان، (**بَدَّلَ**): فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، (**أَكْثَرُ**): فاعل مرفوع وهو مضاف، (**خَلْقِهِ**): مضاف إليه مجرور وهو مضاف، والهاء ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه، (**عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ**): (**عَهْدَ**): مفعول به منصوب، وهو مضاف ولفظ الجلالة مضاف

(١) ينظر: مقاييس اللُّغة: ج٥/ ص٣٥٥، مادّة (ند).
(٢) ينظر: لسان العرب: ج٣/ ص٤٣٠، مادّة (ندد).
(٣) نفحات الولاية: ج١/ هامش ص١٤٠.
(٤) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٣٠.
(٥) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.

إليه، (**إِلَيْهِمْ**): جارّ ومجرور متعلّق بـ (**عَهْدَ الله**).

«**فَجَهِلُوا حَقَّهُ**»: الفاء عاطفة (**جَهِلُوا**): فعل ماضٍ مبني على الضمّ، والواو ضمير في محلّ رفع فاعل، (**حَقَّهُ**): مفعول به منصوب وهو مضاف والهاء ضمير في محلّ جرٍّ بالإضافة، «**وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ**»: الواو: حرف عطف (**اتَّخَذُوا**): فعل ماضٍ مبنيٌّ على الضمّ، والواو ضمير في محلّ رفع فاعل، (**الأَنْدَادَ**): مفعول به منصوب، (**مَعَهُ**): جارّ ومجرور متعلّق بـ (**اتَّخَذُوا**) والجملة معطوفة على سابقتها.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح.

أولًا- الراونديّ:

قال: «أشار إلى ما كان بعد وفاة آدم من غَلَبةِ ولد قابيل وعبادتهم الأصنام؛ [فإنَّه أخذ بكفره أختًا له واستولدها هاربينَ من آدم إلى خلف جبلٍ باليمن على ما روي]،... إلى أنْ غيَّر الخَلق دينَهم، واشتغلوا بعبادة الأصنام»[1].

ثانيًا- البحرانيّ:

قال: «قوله: (**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ**...) إلى آخره إشارة إلى وجه الحكمة الإلهيّة في وجود الأنبياء (عليهم السلام) ولوازمه، وهي شرطيّة متّصلة قدّم فيها التالي لتعلُّق ذِكر الأنبياء (عليهم السلام) بذِكر آدم، والتقدير لَمّا بَدّل أكثر خَلق الله عَهدَهُ إليهم اصطفى سبحانه من وُلدِه أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، فبعثهم في الخلق، وذلك العهد هو المشار إليه بقوله تعالى:

(١) منهاج البراعة: ج١/ ص ٨٣.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1].

قال ابن عبّاس: لمّا خلق الله آدم مسح على ظهره فأخرج منه كلّ نسمةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، فنودي يومئذٍ جَفَّ القلمُ بما هو كائن إلى يوم القيامة[2].

واعلم أنّ أخْذ الذُرّية يعود إلى إحاطة اللّوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الإنسانيّ بأشخاصه، وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء الإلهيّ، ولمّا كان بالإنسان تمام العالمين في الوجود الخارجيّ فكذلك هو في التقدير القضائي المطابِق له، وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم، وأمّا إشهادهم على نفسهم فيعود إلى إنطاق إمكانهم بلسان الحاجة إليه، وأنّه الإله المطلق الذي لا إله غيره، وأمّا بيان ملازمة الشرطيّة فلأنّه لمّا كان الغالب على الخَلق حُبّ الدنيا، والإعراض عن مقتضي الفطرة الأصليّة الَّتي فَطرهم عليها، والالتفات عن القِبلة الحقيقيّة التي أُمِروا بالتوجّه إليها؛ وذلك بحسب ما ركَّبَ فيهم من القوى البدنيّة المتنازعة إلى كمالاتها، لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص أن يُبدّل أكثرهم عَهد الله سبحانه إليهم؛ من الدوام على عبادته، والاستقامة على صراطه المستقيم، وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشيطان﴾[3] الآية، وأن

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) ينظر: سنن الترمذيّ: ج٤/ ص٣٣٢، تاريخ الطبريّ: ج١/ ص٩٢، المستدرك، الحاكم النيسابوريّ: ج٢/ ص٣٢٥، تفسير الرازيّ: ج١٥/ ص٤٦. والحديث لرسول الله (صلّى الله عليه واله) إلّا أنّ الشارح لم يبيّن ذلك؛ ممّا أوحى للقارئ بأنه لابن عباس، ولعلّه اعتمد في ذلك على رواية، إلّا أنّ بقية المصادر نَسبت الحديث لرسول الله (صلّى الله عليه واله).

(٣) يس: ٦٠.

يجهلوا حقَّه؛ للغفلة بحاضر لذَّاتهم عمّا يستحقَّه من دوام الشُكر، وأن يتَّخذوا الأنداد معه لنسيانهم العهد القديم»[1].

ثالثًا- الخوئيّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**لَّما بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ**)؛ يعني إذ بدّل أكثر الخَلق عَهد الله وميثاقه المأخوذ عليهم في باب التوحيد والمعرفة والنبوَّة والولاية حسبما أُشير إليه في الآية الشريفة والأخبار المتواترة قال سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ المُبْطِلُونَ**﴾[2].

قال أكثر المفسّرين وأهل الأثر: (إنّ الله أخرج ذُرّية آدم من صُلبه كهيئة الذرِّ فعَرضهُم على آدم، وقال: إنّي آخذُ على ذُرِّيتك ميثاقَهم أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئًا وعلَيَّ أرزاقهم، ثمّ قال: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بلى شهدنا أنّك ربُّنا، فقال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شَهِدنا.

وقيل: إنّ الله جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه، ثمّ ردّهم إلى صُلب آدم، والناس محبوسون بأجمعهم حتّى يخرج كلُّ مَن أخرجه في ذلك الوقت، وكلُّ مَن ثَبَتَ على الإسلام فهو على الفطرة الأولى، ومَن كَفر وجَحَد فقد تغيَّر على الفِطرة الأولى)[3].

(١) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠١-٢٠٢.
(٢) الأعراف: ١٧٢-١٧٣.
(٣) تفسير مجمع البيان: ج٤/ ص ٣٩٠.

ورَدَّ المحقِّقون هذا التفسير بوجوهٍ كثيرة تنيف على عشرة.

ومنهم: المرتضى (رضي الله عنه) وقد شدَّد النكير على ذلك في كتاب الغُرر والدُّرر، قال بعد ذكر الآية: وقد ظنَّ بعضُ من لا بصيرةَ له ولا فطنةَ عنده أنّ تأويل هذه الآية أنَّ الله استخرج من ظهر آدم (عليه السلام) جميع ذُرِّيته وهم في خَلق الذَرّ، فقرَّرهم بمعرفته وأَشهدهم على أنفسهم، وهذا التأويل مع أنّ العقل يُبطلُه ويُحيلُه، ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه، لأنّ الله قال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ**﴾[1] ولم يقل من آدم، وقال: ﴿**مِنْ ظُهُورِهِمْ**﴾ ولم يقل من ظهره، وقال: ﴿**ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ ولم يقل ذرّيته، ثمّ أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلَّا يقولوا يوم القيامة إنّهم كانوا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشِرك آبائهم وأنّهم نشأوا على دينِهم وسُنّتهم، وهذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول ولد آدم لِصُلبِه، وأنّها تناولت مَن كان له آباء مشركون، وهذا يدلُّ على اختصاصها ببعض ذُرّية آدم، فهذا شهادةُ الظاهر ببطلان تأويلهم، فأمّا شهادةُ العَقل فمن حيث لا تخلو هذه الذُرّية التي استُخرِجَت من ظهر آدم فخُوطبت وقرّرتْ من أن تكون كاملة العقل مستوفيةَ الشُروط أو لا تكون كذلك.

فإن كانت بالصفة الأُولى وَجَب أن يذكر هؤلاء بعد خَلْقِهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قَرَّروا به واستشهدوا عليه؛ لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإنْ بَعُدَ العَهدُ وطالَ الزمانُ، ولهذا لا يجوز أن يتصرّف أحدنا في بلدٍ من البُلدان وهو عاقلٌ كامل فينسى مع

(١) الأعراف: ١٧٢.

بعد العهد جميع تصرُّفه المتقدّم وسائرَ أحواله، وليس أيضًا لتخلُّل الموت بين الحالين تأثير؛ لأنّه لو كان تَخلُّل الموت يُزيل الذكر لكان تخلُّلُ النَومِ والسُكْر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل الذكر، لما مضى من أحوالهم؛ لأنَّ سائر ما عدّدناه ممّا ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب، وليس لهم أنْ يقولوا إذا جاز في العاقل الكامل أنْ ينسي ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه.

وذلك أنّا إنّما أوجبنا ذِكر العقلاء لما ادّعوه إذا كَمُلَت عقولُهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقل، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجِب عليهم ما أوجبناه، على أنّ تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية؛ وذلك إنّ الله تعالى أخبر بأنّه إنّما قرَّرَهُم وأشهدهم لئلَّا يَدَّعوا يوم القيامة الغفلةَ عن ذلك، وسقوط الحُجَّة عنهم فيه، فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمرُ إلى سقوط الحُجَّة عنهم وزوالها.

وإنْ كانوا على الصفة الثانية من فَقْد العلم (العقل) وشرائط التكليف قَبُحَ خِطابُهم وتقريرُهم وإشهادُهم وصار ذلك عَبَثًا قبيحًا تعالى الله عنه؛ ثمّ قال: فإنْ قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلُها الصحيح عندكم؟ قلنا في الآية وجهان:

أحدهما: أنْ يكون تعالى إنّما عنى بها جماعةً من ذُرّية بني آدم خَلَقهم وبلَّغهم وأكمَل عقولَهم وقَرَّرهُم على أَلسُن رُسله بمعرفته وما يجب من طاعته، فأَقَرُّوا بذلك وأشهدُهم على أنفسهم به؛ لِئلَّا يقولوا يوم القيامة إنّا كُنّا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشِركِ آبائهم، إلى أن قال:

والجواب الثاني: -وهو أحسن- أنّه تعالى لَمّا خلقهم وركّبهم تركيبًا يدلُّ على معرفته ويشهد بقُدرته ووجوب عبادته، وأَراهم العِبَر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم، كان بمنزلة المستشهِد لهم على أنفسهم، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره على الوجه الذي أراد الله تعالى وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المُقرِّ المُعترف، وإنْ لم يكن هناك شهادةٌ ولا اعتراف على الحقيقة ...[1] إلى آخر ما ذكره، وقد وافَقَه على الجواب الأخير الزمخشريّ في الكشّاف[2] وغيُره من المفسِّرين[3].

وأقول: أمّا ما ذكره السيّد (رحمه الله) من عدم انطباق ظاهر الآية بما حملوها عليه من وجود عالم أخذ الميثاق وإخراج ذُرّية آدم من صُلبه كالذرَّ فمُسَلَّمٌ؛ لكن يتوجّه عليه أنّ ما ذكره من الوجهين في تأويل الآية أيضًا كذلك؛ بل مخالفةُ الظاهرِ فيهما أَزيَدُ منها في الوجه الذي ذكروه مع عدم شاهدٍ على واحدٍ منهُما في شيء من الأخبار.

وأمّا إنكارُ أصل هذه القضيّة والحكم باستحالته بما ذكره من دليل العقل فلا وجه له، ولا يُعبأ بالدّليل المذكور قِبال الأخبار المتواترة المفيدة لوجود ذلك العالم؛ بل قد وقع في الأخبار الكثيرة تفسير الآية به أيضًا، والاستقصاء فيها موجِبٌ للإطناب المُمِلّ، إلّا أنّا نذكر شطرًا منها تبرُّكًا وتوضيحًا واستشهادًا.

---

(١) ينظر: الأمالي، الشريف المرتضى: ج١/ ص٢٠-٢٣. استفاد الشارح من كتاب الغرر والدرر للشريف المرتضى وذكره في شرحه، ولا بُدّ من التنويه أنّ كتاب (الأمالي) نفسه (الغرر والدرر).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشريّ: ج٢/ ص ١٧٦.

(٣) متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب: ج١/ ص٨.

منهـا: مـا رواه عـليّ بـن إبراهيـم القمـيّ في تفسـيره عـن ابـن مسـكان، عـن أبي عبـد الله (عليـه السـلام) في قولـه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ**﴾، إلى قولـه: ﴿**قَالُوا: بَلَى**﴾: (قلـت: معاينـة كان هـذا؟ قـال: **نَعَمْ، فَثَبَتَتِ المَعْرِفَةُ وَنَسُوا المَوْقِفَ وَسَيَذْكُرُونَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، فمِنهُم مَنْ أَقَرَّ بِلِسانِهِ فِي الذرِّ وَلَمْ يُؤمِنْ بقَلبِه، فَقَال الله: ﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾**[1]) [2].

ومنهـا: مـا رواه أيضًـا عنـه (عليـه السـلام)، قـال: (**كانَ المِيثاقُ مَأخُوذًا عَلَيْهِمْ لله بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِرَسُولِهِ بِالنُّبُوَّةِ، وَلِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ (عليهم السلام) بِالْإِمامَةِ، فَقالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ، وَعَلِيٌّ إِمامُكُمْ، وَالْأَئِمَّةُ الهادُونَ أَئِمَتُكُمْ؟ فَقالُوا: بَلَى**)[3].

ومنهـا: مـا في البحـار، عـن أمـالي الشّـيخ، عـن المفيـد بإسـناده: عـن جابـر، عـن أبي جعفـر، عـن أبيـه، عـن جـدّه (عليهـم السـلام): أنّ رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) قـال لعـليّ (عليه السـلام): (**أَنْتَ الَّذِي احْتَجَّ اللهُ بِكَ فِي ابْتِدائِهِ الخَلْقَ؛ حَيْثُ أَقامَهُمْ أَشْباحًا، فَقالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالُوا: بَلى. قال: وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ الله؟**[4] **قَالوا: بَلَى. قالَ: وَعلِيٌّ أميرَ المؤمنينَ؟**[5] **فَأَبى الخَلْقُ جَمِيعًا؛ اسْتكبارًا**[6] **وعُتُوًّا عن ولايتِكَ إلّا نَفَرٌ قَليلٌ، وَهُمْ أَقَلُّ القَليل وَهُمْ أَصحابُ اليَمين**)[7].

---

(١) الأعراف: ١٠١.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ ص٢٤٨.

(٣) تفسير القمي: ج١/ ص٢٤٧.

(٤) «قال: ومحمّد رسولي»؟ هكذا في الأمالي للشيخ الطوسّي وبحار الأنوار.

(٥) «قال: وعلّي بن أبي طالبٍ وصيِّي»؟ هكذا في الأمالي للشيخ الطوسّي.

(٦) «إلاّ استكبارًا» هكذا في الأمالي للشيخ الطوسّي وبحار الأنوار.

(٧) الأمالي، الشيخ الطوسّي: ص ٢٣٢- ٢٣٣، بحار الأنوار، المجلسّي: ج ٢٦/ ص٢٧٢.

ومنها: ما فيه أيضًا من بصائر الدرجات بإسناده: (عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ**﴾[1] الآية، قال: (**أَخْرَجَ الله مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ**[2] **كَالذَّرِّ فَعَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ، وَلَوْلا ذلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ، وقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؟ وعَلِيًّا أميرُ المؤمنينَ؟**[3])[4].

ومنها: ما فيه أيضًا من كشف الغمّة[5] من كتاب الإمامة: عن الحسن بن الحسين، الأنصاريّ، عن يحيى بن العلا، عن معروف بن خربوز[6] المكّيّ، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: (**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَتَى سُمِّيَ عَلِيٌّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَمْ يُنْكِرُوا حَقَّهُ، فَقِيلَ لَهُ: مَتَى سُمِّي؟ فَقَرَأَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ إلى قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾**[7]**، قال: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وعليٌّ أميرُ المؤمنينَ**) [8].

ومنها: ما فيه أيضًا من تفسير فرات بن إبراهيم: عن ابن القاسم مُعنعنًا، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ**﴾[9] إلى آخر الآية، قال:

(أخرجَ الله من ظهرِ آدمَ ذُرِّيتَه إلى يومِ القيامةِ فخَرجُوا كالذرِّ، وعرَّفَهُم نفسه،

(١) الأعراف: ١٧٢.
(٢) «يوم القيامة فخرجوا كالذرّ» هكذا في بصائر الدرجات.
(٣) «وأنّ هذا محمّد رسولي وعلي أمير المؤمنين خليفتي وأميني» كذا في بصائر الدرجات.
(٤) بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفّار: ص ٩١، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٢٦/ ص٢٨٠.
(٥) في بحار الأنوار: كشف اليقين.
(٦) «خربوذ» هكذا في اليقين وبحار الأنوار.
(٧) الأعراف: ١٧٢.
(٨) اليقين، ابن طاووس، ص٢٣٥، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٢٦/ ص٢٨٥.
(٩) الأعراف: ١٧٢.

وأراهم نفسَهُ، ولولا ذلكَ لَمْ يَعرِفْ أحدٌ ربَّه، قال: ألسْتُ بربِّكُم؟ قالوا: بلى، قال: فإنّ محمّدًا عَبدي ورَسُولي، وَأنَّ عَليًّا أميرَ المؤمنينَ خَليفتِي وَأَمينِي، وقال النبيُّ (صلّى الله عليه وآله): كلُّ مولودٍ يُولَدُ على المعرفةِ بأنَّ الله تعالَى خالِقُه، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[1])[2].

إلى غير هذه من الأخبار الكثيرة، وقد عقد المجلسيّ طاب ثراه بابًا فيها في مجلَّد الإمامة من البحار[3].

وبالجملة فقد تلخّص ممّا ذكرنا أنّ المراد من العهد المأخوذ عن الخَلق الذي بدّلوه هو الميثاق المأخوذ عليهم لله بالرّبوبية، ولرسوله (صلّى الله عليه وآله) بالنبوّة، وللأئمّة (عليهم السلام) بالولاية.

كذلك المراد بالحقّ في قوله (عليه السلام): (**فَجَهِلُوا حَقَّهُ**) هو الحقُّ اللّازم على العباد من المعرفة والتوحيد كما يشهد به رواية معاذ بن جبل التي مضت في ثاني التذنيبات من رابع فصول الخطبة؛ قال: كنتُ رفقتُ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فقال:

(يا معاذُ هَل تَدرِي مَا حَقُّ الله عَلى العِبادِ؟ يقولُها ثلاثًا)، قلت: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): **(حَقُّ الله (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى العِبَادِ أَنْ لَا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا)** إلى آخر ما مرّ هناك[4]، ويحتمل أن يكون

(١) الزخرف: ٨٧.
(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ١٤٨-١٤٩، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٢٦/ ص٢٩٤.
(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: بحار الأنوار، المجلسّي: ج٢٦/ ص٢٦٧-٣١٩.
(٤) ينظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٨، بحار الأنوار، المجلسّي: ج٣/ ص١٠، منهاج البراعة، حبيب الله الخوئيّ: ج١/ ص٣٢٧.

المراد به الأعمّ ممّا ذكرنا ومن الفروعات، ويشعر به ثالث الجملات المعطوفة من قوله: (**وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ**) أي الأمثال (**مَعَهُ**)»[1].

رابعًا- مغنية:

قال: «(**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ**)؛ المراد بـ(عهد الله) هنا ميثاق الفطرة الذي أشار إليه الإمام (عليه السلام) بقوله: (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطرَتِهِ**)، وبعد أسطُرٍ نتكلّم عن هذا الميثاق بفقرةٍ خاصّة، وقوله: (**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ**)، يُومئ إلى أنّ البعض من عباد الله ثبتوا على ميثاق الفطرة، واستطاعوا بثباتهم هذا أنْ يعرفوا حقَّ الله ويعمَلوا به، ويُسمّى هؤلاء بـ(الحنفاء)، وكان منهم قبل بعثة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أفرادًا وهم: ورقة بن نوفل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد ابن نوفل[2]، وتكلّمنا عنهم في ج٥ من التفسير الكاشف ص ٩٦..، وقال بعض الفلاسفة: لو كانت كلُّ العقول من النوع النبيّل لكان جميع الناس عقلانيّين، لا يُخطِئون ولا يتميّز أحدهم عن الآخر في حُسن التصرُّف أو سُوئه»[3].

خامسًا- التستريّ:

قال: «(**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ**) إظهارًا لجلاله مع كون المقام مقام الإضمار كقول السلطان: السلطان يأمرك بكذا، (**إِلَيْهِمْ**)، قال الخوئيّ: يعني عهده المأخوذ عليهم في الذرّ؛ كما في آية ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ**

(١) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٤٤-١٤٩.
(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: التفسير الكاشف، محمّد جواد مغنية: ج٥/ ص٩٦.
(٣) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٧.

﴿ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1].[2]، والأخبار المتواترة.

قلت: بل الظاهر أنّ المراد عهده المأخوذ عليهم بتوسّط رُسله في الظاهر، كما في آية ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشيطان...﴾[3]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ*وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[4]، ﴿وَهَمَّتْ كلّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ...﴾[5].

(فَجَهِلُوا حَقَّهُ): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...﴾[6].

(مَعَهُ): ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالذي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا...﴾[7]»[8].

سادسًا- النقويّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ).

(١) الأعراف: ٧٢.
(٢) ينظر: منهاج البراعة: ج٢/ ص١٤٤.
(٣) يس: ٦٠.
(٤) الصافات: ٧١-٧٢.
(٥) غافر: ٥.
(٦) الزمر: ٦٧.
(٧) فصلت: ٩.
(٨) بهج الصباغة، محمّد تقيّ التستريّ: ج٢/ ص٣٠ - ٣١.

أقول: هذا الذي ذكره بالنّسبة إلى الجملة السابقة، وهي قوله: (**وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**)، بمنزلة العِلَّة والمقتضى؛ فكأنّه قيل له (عليه السلام): لأيِّ شيءٍ بَعَثَ الله أنبياءهُ ورُسله؟ فأجاب (عليه السلام) بقوله: (**لَمَّا بَدَّلَ** ...) إلخ؛ فهو بمنزلة البرهان الآنيّ الذي هو العلم من المعلول بالعِلَّة، فبعثة الأنبياء معلولة لقوله (عليه السلام): (**لَمَّا بَدَّلَ** ...) إلخ.

فعلى هذا التقرير فالصّواب (لِما) بالتخفيف وكسر اللّام لا (لّما) بالتشديد وفتح اللّام، حتى تكون بمنزلة العِلّة، ومفيدها لا مفيدة للزمان، فانّ (لّما) بالتشديد تأتي للزمان وعليه فالمعنى يصير هكذا.

إنّ الله بعَث أنبيائه في زمان أكثر خلقه جهلوا حقّه ... إلخ؛ وهذا مُشعِرٌ من حيث المفهوم أنّ قبل هذا الزمان لم يكن فيهم أنبياء؛ وهو مخالف للروايات الدالّة على إنّ الأرض مُنذ خُلقت لا تخلو من حُجَّة، لولا الحُجَّة لساخت الأرض بأهلها، وقوله (عليه السلام): (**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدم بَيْنَ الماءِ وَالطِّينِ**)[1] وأمثال ذلك.

اللّهمَّ إلّا أن يُقال المقصود إنّ الله تعالى عَلم بأنّ المخلوقات بعد خلقهم تتّصفون بهذه الصفات ولذلك قدّر لهم أنبياء؛ فوجود الأنبياء لهم من باب اللُّطف والرحمة، وعلى أيِّ تقدير لّما ثبت أنّ الله تعالى لا يفعل فعلًا عبثًا، فلا بُدّ من بِعثة الأنبياء، من أن يكون مسبوقًا بالغرض؛ وهو ليس إلّا إرشاد الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وهذا لا يُعقل في حقِّ من عرف حقَّه وأدّى وظيفته ووَحَّده، وبالجملة قام بطاعته وعبادته كما هو حقّه بل البعثة لمن هو ليس كذلك، وإلَّا يلزم أن يكون للأنبياء أيضًا أنبياء؛ وهو كما ترى، وبالجملة

(١) جواهر الفقه، القاضي ابن البراج: ص٢٤٨، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١/ ص١٨٣.

في هذه الفقرات على ما ذهبنا إليه من تخفيف (لِمَا) حتّى تكون عِلَّة بِعثة الأنبياء إشارة إلى أصول كليّة أربعة التي صارت بمنزلة العِلَّة لبعث الأنبياء.

الأوّل: إنّهم بدّلوا عهد الله إليهم وذلك العهد هو العهد الذي أُخذ منهم في عالم الذرّ حيث قال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾[1]، فلمّا نسوه في الدنيا وجَهِلُوا حقّه تعالى عليهم، لا جرم عصوه وتركوا أوامره وارتكبوا نواهيه، وأوّل مَنِ ارتكب هذا وسلك مسلكَ الخلاف من بني آدم هو قابيل الذي قتل أخاه هابيل ظُلمًا وعُدوانًا، ثمّ تبعه على الخلاف كثير من ذُرّيّته ونَسله وبعض أولاد آدم؛ وهو الذي أسّس أساس الظُّلم والجَور في سطح الأرض من أولاد آدم، ولولا فعل ما فعل لكُنّا غير هذا ولكن لا مَرَدَّ لقضاء الله، ولذلك رُوي عن الصادق (عليه السلام):

أنّه قال: (**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَسَبْعَةُ نَفَرٍ، أَوَّلُهُمُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ، وَنُمْرُودُ الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ، وَاثْنَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَوَّدَا قَوْمَهُم وَنَصَّرَاهُم، وَفِرْعَوْنُ الَّذِي قَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى، وَاثْنَانِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ**)[2]؛ وذلك لأنّ هؤلاء السَبعة أسَّسُوا أساس الظُلمِ والجَورِ والعُدوانِ والكُفرِ والشِركِ وغير ذلك، وقد رُوي بطريق العامّة عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، أنّه قال: **مَا مِنْ ظُلمٍ أَو مَا مِنْ قَتلِ نَفسٍ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنهَا**[3].

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) الخصال، الصدوق: ص٣٤٦، بحار الأنوار: ج١٣/ ص١٢٨.

(٣) ينظر: مسند احمد بن حنبل: ج١/ ص٣٨٣، صحيح البخاري: ج٢/ ص٧٩. وفيها هكذا روي الحديث: عن النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم: «لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها».

فالمقصود من العهد في كلامه (عليه السلام) إنّما هو الميثاق في عالم الذرّ؛ وهو دليلٌ على ثُبوته وإلّا لم يكن عهدٌ حتّى قيل بدّلوه.

وقوله (عليه السلام): (**فَجَهِلُوا حَقَّهُ**)؛ الفاء للتفريع فكأنّها نتيجة لنكث العهد وتبديله؛ إذ لازم ذلك عدم الوفاء بحقوق الواجبة عليه، فمن لم يُراعِ العهد لا حَقَّ عنده حتّى يُراعيه.

قوله (عليه السلام): (**واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ**): وهذا معطوف على قوله: (**فَجَهِلُوا حَقَّهُ**) لا على قوله: (**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ** ...) إلخ؛ وذلك لأنّ كلامه مشعرٌ بأنّ تبديل العهد من الناس صار سببًا لأربعة أشياء: أوّلها: الجهل بحقِّه تعالى، وثانيها: اتّخاذ الأنداد معه، وثالثها: صيرورتهم طُعمة للشياطين، ورابعها: إعراضُهم عن العبادة؛ فاتّخاذ الأنداد من التوالي الفاسدة المترتّبة على تبديل عهد الله؛ أعني: معرفته وطاعته بمعصيته وشركه، و(**الأَنْدَادَ**) جمع: نِدّ وهو المثل، والمقصود اتّخاذها الناس آلهةً لهم وادّعائهم بأنّها خالقةٌ لهم، فاتّخاذ الأنداد إنّما هو بزعمهم الفاسد لا واقعًا وحقيقةً؛ إذ ليس له تعالى ضِدّ ولا نِدّ، ولا شبيه وهو ظاهر، فكلُّ نِدٍّ مَثل وليس كلُّ مثلٍ نِدّ.

وفي هذه الجملة أشار (عليه السلام) إلى قوله تعالى: ﴿**الذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ**﴾[1]، وقوله تعالى ﴿**وَمِنَ الناس مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْدَادًا**﴾[2]، وقوله تعالى ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ**﴾[3]، وأمثال ذلك من الآيات، وقيل أوّل من جعل لله ندًّا في هذا العالم من أفراد البشر أيضًا قابيلُ بعد ما ارتكب

(١) البقرة: ٢٢.
(٢) البقرة: ١٦٥.
(٣) فصلت: ٩.

القتل؛ وذلك لأنّه بعد قَتل أخيه ذهب طريدًا شريدًا فزعًا مذعورًا لا يأمَن مَن يراه، وذهب إلى عدن من اليمن فأتاه إبليس وقال: إنّما أكلتِ النارُ قُربان هابيلَ لأنّه كان يعبدها فانصُبْ أنتَ أيضًا نارًا تكون لك ولِعَقِبك؛ فبنى بيتَ نار، وهو أوّل من نصب النارَ وعبدها، واتّخذَ أولاده آلات اللهوِ من اليراعِ والطُّنبورِ والمزامير، وانهمكوا في اللهو وشُرب الخَمر وعبادة النَّار والزِّنا والفواحش، حتّى أغرقهم الله في أيّامِ نوحٍ بالطوفان[1]»[2].

سابعًا- الشيرازيّ:

قال: «أشار (عليه السلام) إلى السبب الرئيسيّ لبعثة الأنبياء، فقال: (**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ**...).

فالواقع لقد كانت انعدام معرفة هؤلاء بالله سبحانه سببًا لأنْ يهووا في أَوديَة الشِرك الرهيبة، ومِن ثمّ تتلقّفهم الشياطين فتصدّهم عن طاعة الله وعبادته، أمّا بشأن المراد بهذه العِدّة وماهيّة العهد الإلهيّ، فقد أشار أغلب المفسِّرين وشُرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد به ميثاق عالم الذرّ، ويمكن اعتبار ذلك إشارة إلى الفطرة التي تطرّق لها الإمام (عليه السلام) في عباراته اللّاحقة، وبعبارة أُخرى:

فإنَّ الله قد خلق الإنسان على هذه الفطرة الطاهرة التي تجعله يتعرّف على حقيقة التوحيد في باطنه ويتطلَّع إلى الخير وينبذ الشرّ، ولو بقيَتْ هذه الفطرة السليمة على حالها لحفَّت العنايات الإلهيّة الإنسانية جمعاء، ولَهَدَتها إلى السموِّ والكمال، ولَسهَّل لهم الأنبياء السُبل إلى ذلك الكمال، ولَقلَّ حجم المسؤولية التي نهض بعبئها هؤلاء العظام، غير أنَّ الانحراف عن الفطرة سواء على

(١) ينظر: تفسير مجمع البيان: ج٣/ ص٣٢٠، بحار الأنوار: ج١١/ ص٢٢٠.
(٢) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٣٧-٣٤١.

مستوى المعارف التوحيديّة لينتهي بالنزوع نَحو الشِرك والوثنيَّة»[1].

ثامنًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشد قوله (عليه السلام): «**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ**» - فضلًا عمّا أفاده الشرّاح - إلى أنّ التبديل في عهد الله متعلِّق بالفترة الزمنيّة من بعث نبيّ الله آدم (عليه السلام) إلى النبيِّ المصطفى (صلى الله عليه وآله) الذي ختم الله به النبوّةَ والرسالة؛ وذلك أنّ النصّ الشريف يسير مع المتلقّي في بيان أحوال الخَلق ومراحله، ليصل إلى بدء مرحلة بَعْث الأنبياء واصطفاء الرُّسل (عليهم السلام) من وُلد آدم، وما تعلّق بها من مُعارضةٍ للجعل الإلهيّ في الخلافة على الأرض.

ومن ثَمّ لا عهد قبل البعث والإرسال؛ أي قبل بعث نبيّ الله آدم لا توجد حُجَّة على الخَلق؛ وذلك أنّهم لم يُبلِّغوا بالتوحيد، ولم يأمروا بشيء، ولم ينهُوا عن شيء، وممّا يدلّ عليه قوله (عليه السلام): «**فَجَهِلُوا حَقَّهُ**»، وحقّه عزّ شأنه يكون في توحيده خالصًا من الشُبُهات والصفات السلبية، ووظيفة الأنبياء وتكليفهم يكمن في التبليغ بما أُوحي إليهم، ثمّ ليتنامى الجهل فيصل إلى أتّخاذهم «**الأَنْدَادَ مَعَهُ**»؛ أي الوثنيّة بجميع أشكالها وصورها ومرتكزاتها في جعل العبودية لله مع خلقه.

ومن هنا كان ميثاق الله تعالى وأمانته على الأنبياء في قوله (عليه السلام): «**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**» تكمُن فيما يوحى إليهم والتبليغ به؛ وذلك بوصفِهما -أي (الميثاق والأمانة)- مقدّمةً وعِلّةً لما

(١) نفحات الولاية: ج١/ ص١٤٠-١٤١.

سيقوم به الخَلق من تبديل حقّ الله واتّخاذهم الأنداد معه. والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المطلب الثالث: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جُملةٍ من الحقول المعرفية؛ كاللُّغة والإعراب والشَرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «قوله: (**اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**)؛ أي أغراهم[1]، وقيل: استخفّهم حتّى جالُوا معها[2]»[3].

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «(**واحتالتهم**): عدلتهم[4]، وحالت الريحُ الترابَ أثارته[5]»[6].

ثالثًا- الكيذريّ:

قال: «وجالَتِ الرِّيحُ التُّرابَ: أثارته»[7].

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط، ابن سيده: ج٧/ ص٥٥١، مادّة (جول).
(٢) ينظر: تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج١١، ص١٢٨، مادّة (جول).
(٣) معارج نهج البلاغة: ص٧١.
(٤) ينظر: أساس البلاغة: ج١/ ص٢٢٤، مادّة (حول).
(٥) ينظر: الصحاح: ج٤/ ص١٦٧٩-١٦٨٠، مادّة (حول).
(٦) منهاج البراعة: ج١/ ص٧٦.
(٧))) حدائق الحقائق: ج١ ص١٤٠

رابعًا- المعتزليّ:

قال: «(**وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**): أدارتهم[1]، تقول: اجتال فلانٌ فلانًا، واجتاله عن كذا وعلى كذا، أي أداره عليه؛ كأنَّه يصرفه تارةً هكذا، وتارةً هكذا، يُحسن له فِعله، ويُغريه به[2]»[3].

خامسًا- الخوئيّ:

قال: «و(**اجْتَالَتْهُمُ**) من الجولان... (**الشَّيَاطِينُ**) جمع الشيطان من الشطن وهو البُعد[4]، قال الزمخشريّ في محكيّ كلامه: قد جعل سيبويه نون (الشيطان) في موضعٍ من كتابه أصليّة وفي آخر زائدة؛ والدليلُ على أصالتها قولُهم: تَشَيْطَنَ، واشتقاقه من (شَطَنَ) إذا بَعُد؛ لبعده عن الصلاح والخير، ومن (شَاطَ) إذا بطل إذا جُعِلَتْ نونُه زائدة[5]»[6].

سادسًا- مغنية:

قال: «المراد بالاجتلاء هنا الصرف[7]»[8].

---

(١) ينظر: الصحاح: ج٤/ ص١٦٦٣، مادّة (جول). وورد هذا المعنى في: منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٢٩.

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ج١/ ص١٥٧، مادّة (جول).

(٣) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١١٤.

(٤) ينظر: العين: ج٦/ ص٢٣٧، مادّة (شطن)، جمهرة اللُّغة، ابن دريد: ج٢/ ص ٨٦٧، مادّة (شطن).

(٥) الكشاف، الزمخشري: ج١/ ص ٦٥.

(٦) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٢٩-١٣٠

(٧) ينظر: أساس البلاغة: ج١/ ص١٥٧، مادّة (جول).

(٨) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.

سابعًا- التستريّ:

قال: «**(وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ)**:

قال الجزري: أي استخفَّتهم فجالوا معهم في الضَلال، يُقال: جال واجتال، إذا ذهب وجاء، ومنه الجَوَلَان في الحرب، واجتال الشيء: إذا ذهب به وساقه، والجائل الزائل عن مكانه، ورُوي بالحاء المهملة[1]؛ أي: نَقلَتهُم من حال إلى حال[2].

وقال ابن أبي الحديد: اجتال فلان فلانًا، واجتاله عن كذا وعلى كذا، أي: أداره عليه، كأنّه يصرفه تارةً هكذا، وتارةً هكذا، يُحسِن له فِعلَه، ويُغريه به، وقال الراوندي: اجتالتهم: عدلت بهم، وليس بشيء[3].

قلتُ: بل قوله ليس بشيء، لعدم ذكره في لُغة، وقول الراوندي[4] صحيحٌ؛ ففي القاموس: (اجتالهم: حوّلهم عن قصدهم)[5].

وَاقْتَطَعَتْهُمْ أي: قطعتهم[6]»[7].

---

(١) النهاية في غريب الحديث، مجّد الدين ابن الأثير: ج١/ ص ٣١٧ مادّة (جول).
(٢) النهاية في غريب الحديث: ج١/ ص ٤٦٣ مادّة (حول).
(٣) شرح نهج البلاغة، المعتزلّي: ج١/ ص١١٤.
(٤) رواها الراوندي بالحاء المهملة: «واحتالتهم بالشياطين» ولم يذكرها المعتزلّي كما هي، وربما نقلها التستريّ عن المعتزلّي دون أن يرجع للراوندي.
(٥) القاموس المحيط، الفيروز آباديّ: ص٩٨٠، مادّة (جول)، وقد ورد قريب من هذا المعنى في نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازيّ: ج١/ هامش ص ١٤٠.
(٦) ينظر: مختار الصحاح، الرازيّ: ص٢٥٦، مادّة (قطع). وورد قريب من هذا في: مفتاح السعادة، النقويّ: ج١/ ص٢٩٧.
(٧) بهج الصباغة: ج٢/ ص ٣١-٣٢.

ثامنًا- النقويّ:

قال: «**(واحتالتهم)**[1]: الاحتيال من الحيلة والمكر[2]»[3].

تاسعًا-الشيرازيّ:

قال: «(اجتال) من مادّة (جولان) بمعنى: العصر إلّا أنّها اقترنت بالحرف (عن) في عبارة الإمام (عليه السلام) فَعَنتِ الانصراف عن الشيء»[4].

المسألة الثانية: الإعراب.

- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ**»: (**وَاجْتَالَتْهُمُ**): الواو حرف عطف، (**اجْتَالَتْهُمُ**): فعلٌ ماضٍ والتاء للتأنيث، و(هم) ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به، (**الشَّيَاطِينُ**): فاعل مرفوع، (**عَنْ مَعْرِفَتِهِ**): جارّ ومجرور متعلّق بالفعل (**اجْتَالَتْهُمُ**).

«**وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ**»: الواو: حرف عطف، (**اقْتَطَعَتْهُمْ**): فعل ماضٍ والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر يعود على (**الشَّيَاطِينُ**)، و(هم) ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به، والجملة معطوفة على سابقتها.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح.

أولًا- البحرانيّ:

قال: «وأن تجتذبهم الشياطين عن معرفته الَّتي هي ألذُّ ثمار الجنّة، وأنْ

(١) هكذا وردت في المعنى اللغوي عند النقويّ وفي أصل الخطبة التي أوردها النقويّ وفي المصادر المعتمدة لدينا عدا الراونديّ بلفظ: «وَاجْتَالَتْهُمُ».
(٢) ينظر: شمس العلوم، نشوان الحميريّ: ج٣/ ص١٦٣٥، مادّة (الاحتيال).
(٣) مفتاح السعادة: ج١/ ص٢٩٧.
(٤) نفحات الولاية: ج١/ هامش ص١٤٠

تقتطعهم عن عبادته الَّتي هي المرقاة إلى اقتطاف تلك الثمرة»[1].

ثانيًا- الخوئيّ:

قال: «(**وَاجْتَالَتْهُمُ**): أي أدارتهم وصرفتهم.

(**الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ**): أي أقطعتهم كما في بعض النُسخ كذلك، فهم قُطّاع طريق العباد عن عبادة الله سبحانه وتعالى»[2].

ثالثًا- مغنية:

قال: «(**فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ**)؛ الشرك بالله، والانصراف عنه نتيجةٌ حتميّةٌ للجهل بحقِّه تعالى، والجاهل أُلعوبة الشيطان.. وفي بعض الروايات: (**أَدْنَى العِلمِ بالله الإقْرارُ بأَنَّهُ لا إلهَ غَيرُهُ، وأَنَّهُ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ**)[3]»[4].

رابعًا- التستريّ:

قال: «(**وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ**): (**وَاقْتَطَعَتْهُمْ**) أي: قطعتهم، والتعبير بالاقتطاع للدّلالة على أنّ قَطْعَهُ لهم كانَ موافِقًا هواهم (**عَنْ عِبَادَتِهِ**) وطاعته»[5].

خامسًا- النقويّ:

قال: «وإلى ذلك أشار (عليه السلام) بقوله: (**واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**) إلى

(١) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٢.
(٢) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٤٩.
(٣) ينظر: الكافي: ج١/ ص٨٦، التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٨٣.
(٤) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٧.
(٥) بهج الصباغة: ج٢/ ص٣١ - ٣٢.

قوله (عَنْ عِبَادَتِه)؛ وذلك لأنّ جهلهم بحقِّ الله واتّخاذ الأنداد والإعراض عن الحقّ وعدم عبادته، كلّ أولئك بسبب الشيطان وإغوائه قابيل ومَن تابَعَهُ إلى يوم القيامة، ومنشأ كلّ المعاصي إنّما هو الإعراض عن الحقّ وقَطع رابطة العبوديّة؛ كما قال الله تعالى حكايةً عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ﴾[1]، وقد أكدّ القول فيه في موارد كثيرة من كتابه المجيد، فقال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشيطان﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا الله مِنْ قَبْلُ﴾[6] والآيات الدالّة على الوفاء بالعَهد كثيرة سواء كان العهد بين الناس أو بينهم وبين الله بل الثاني أهمّ وأعظم، وإذا كان الأمر كذلك، فمَن لا يفي بعهده الذي عاهده الله عليه فهو من أتباع الشيطان، وهذا لا كلام فيه وهذا أوجب»[7].

سادسًا- الشيرازيّ:

قال: «وعلى المستوى العمليّ ليقود الاستسلام إلى الأهواء والشياطين، قد أدَّى إلى مواترة بَعْثِ الله للأنبياء وتحمُّلهم لتلك المسؤوليات الخطيرة بغية

(١) ص: ٨٢-٨٣.
(٢) الأنعام: ١٥٢.
(٣) التوبة: ١١١.
(٤) طه: ١١٥.
(٥) يس: ٦٠.
(٦) الأحزاب: ١٥.
(٧) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٤١.

إعادة البشريّة إلى فطرتها الأصليّة، وهذا ما تطرَّق له الإمام (عليه السلام) في العبارات اللَّاحقة من الخطبة والتي أشار فيها إلى عظم مسؤوليات الأنبياء وما اتصفوا به من خصالٍ عمليّة ومكارم أخلاقيّة»[1].

سابعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشد قوله (عليه السلام): «**وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ**» - فضلًا عمّا أفاده الشرّاح - إلى أمرين:

أوّلًا- دلالة الاجتيال والاقتطاع:

يبين (عليه السلام) عبر الاجتيال والاقتطاع الأسباب التي اقتضت بَعْث الأنبياء واصطفائهم من ولد آدم (عليه وعليهم السلام)؛ ومنها: اجتيال الشيطان لبني آدم، وصرفهم عن معرفة الله تعالى، ويظهر من النصّ الشريف أنّ هذا السبب وغيره ممّا سبق أو سيأتي هو بيانٌ للأصل الذي استوجب بَعْثَ الأنبياء واصطفاء الرُّسل (عليهم السلام)؛ وذلك كي تكون الحُجَّة البالغة لله تعالى على خلقه يوم الحساب، قال تعالى:

﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ للناس عَلَى الله حُجَّة بَعْدَ الرُّسل وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[2].

ثانيًا- الملازمة بين الدين والمعرفة:

إنّ النصّ الشريف يُرشد إلى أنّ المعرفة طريقٌ إلى عبوديّة الله تعالى؛ أي إنّ صَرْف الشياطين للإنسان عن معرفة الله تُنتِج المقاطعةَ لعبادته، ومن ثَمَّ

(١) نفحات الولاية: ج١/ ص١٤١.
(٢) النساء: ١٦٥.

فالأصل الذي تعمل عليه الشياطين وأتباعهم من الإنس في هلاك بني آدم يَكْمُن في معرفة الله تعالى، فهو مبدأ كلّ هدايةٍ وضلالة، فمَن عرف الله تعالى عرف نبيَّه، ومَن عرف نبيَّه عرف حُجَّتَه، ولذا ورد في الدعاء الذي علَّمه الإمام الصادق (عليه السلام) لزرارة بن أعين (عليه رحمة الله ورضوانه)، ليدعو به في زمن الغيبة:

«اللهمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللهمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللهمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي»[1].

ولقد حثّت النصوص الشريفة الواردة عن أئمّة العترة (صلوات الله عليهم أجمعين) على سعي الإنسان للتسلُّح بالمعرفة؛ وذلك بوصفها المنجاة من الشيطان وأعوانه، وبها تتحقَّق غاية بَعْث الله تعالى للأنبياء (عليهم السلام)، فممّا رواه الشيخ الكلينيّ، عن أبي حمزة، قال لي أبو جعفر (عليه السلام):

«إِنَّمَا يَعْبُدُ اللهَ مَنْ يَعْرِفُ اللهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُه هَكَذَا ضَلَالًا»، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللهِ؟ قَالَ: **«تَصْدِيقُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وتَصْدِيقُ رَسُولِه (صلّى الله عليه وآله) ومُوَالاةُ عَلِيٍّ (عليه السلام)، والِائْتِمَامُ بِه وبِأَئِمَّةِ الْهُدَى (عليهم السلام)، والْبَرَاءَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ، هَكَذَا يُعْرَفُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»**[2].

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

(١) الكافي، الكلينيّ: ج١ ص٣٣٧
(٢) المصدر السابق: ج١ ص١٨٠

المطلب الرابع: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «فَبَعَثَ مِنْهُم رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جُملة من الحقول المعرفيّة كاللُّغة، والإعراب، والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- الكيذريّ:

قال: «(وَاتَرَ) أي تابع[1]»[2]، وبهذا المعنى قال الراونديّ[3].

ثانيًا- المعتزليّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ)؛ أي بعثهم وبين كلّ نَبِيَّيْنِ فترة[4]، وهذا ممَّا تغلط فيه العامّة فتظنّه كما ظنَّ الراونديّ أنَّ المراد به المرادَفة والمتابَعة[5]»[6].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «(وَوَاتَرَ)؛ أي أرسل وترًا بعد وترٍ، أي واحدًا بعد آخر[7]»[8].

---

(١) ينظر: الصحاح: ج٢/ ص ٨٤٣، مادّة (وتر).
(٢) حدائق الحقائق: ج١ ص١٣٩
(٣) منهاج البراعة: ج١/ ص٧٧.
(٤) ينظر: العين: ج٨/ ص١٣٣، مادّة (وتر).
(٥) ينظر: منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص٧٧.
(٦) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١١٤.
(٧) ينظر: الصحاح: ج٢/ ص ٨٤٣، مادّة (وتر).
(٨) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٠.

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «(**وَاتَرَ**) من المواتَرة وهي المتابعة، قيل: ولا يكون المواترة بين الأشياء إلّا إذا وقعت بينها فترة، وإلّا فهي مُدارَكة ومُواصَلة [1]»[2].

خامسًا- مغنية:

قال: «(**وَاتَرَ**): تابع مع التراخي والفصل بين نبيّ ونبيّ [3]»[4].

سادسًا- التستريّ:

قال: «(**وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ**)، قال ابن أبي الحديد: أي بعثهم، وبين كلِّ نبيِّينِ (عليهم السلام) فترة[5]، وقال: وهذا ممّا تغلط فيه العامّة، فتظنّه كما ظنّ الراوندي أنّ المراد به المرادَفة والمتابَعة[6].

قلت: أيّ شيء أنكر من قول الراوندي من أنّ المراد من الجملة: المرادَفة والمتابَعة، وقد قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كلّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا**...﴾[7]، وقد كان أنبياؤه تعالى لم يكن لهم انقطاع، كلّما مضى سلف منهم، قام بأمر الله تعالى خَلَف، كما تواتر به الخبر.

وقد قال (عليه السلام) كما يأتي بعد: (**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَه مِنْ نبيّ**

(١) الصحاح: ج٢/ ص٨٤٣، مادّة (وتر).
(٢) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٣٠
(٣) ينظر: الصحاح: ج٢/ ص٨٤٣، مادّة (وتر).
(٤) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.
(٥) شرح نهج البلاغة، المعتزلّي: ج١/ ص١١٤.
(٦) شرح نهج البلاغة، المعتزلّي: ج١/ ص١١٤.
(٧) المؤمنون: ٤٤.

مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ).

وإنّ ابنَ أبي الحديد صِحاحُ الجوهري قِبلته، يتَّبعه في كلِّ غَثٍّ وسمين، وقد قال: والمواترة: المتابَعة [١]، وإنّما قال بعدُ، ولا تكون المواترة بين الأشياء إلاّ إذا وقعت بينها فترة، وإلّا فهي مدارَكة ومواصَلة [٢]، مع أنّ ما ذكره أخيرًا لم يُعلَم صِحّته، فيكفي في صداق المواترة عدم كون بعثهم معًا، وإن كان الآخر متّصلا بالأوّل؛ لعدم جواز إبقائه الأرض بغير حُجَّة.

قال الجزريّ: إنّ في الحديث: (أَلَّفَ جَمْعَهُم، وَأَوتَرَ بَينَ مِيَرِهِم)، أي: لا تقطع الميرة عنهم، واجعلها تصل إليهم مرّةً بعد مرّة[٣]، وإنّما حصلت بين عيسى (عليه السلام)، ونبيّنا (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فترةٌ من الرُّسل؛ لأنّه كان له أوصياء، كما لم تنقطع الحُجَّة بعد نبيِّنا بأوصيائه (صلوات الله عليهم)»[٤].

سابعًا- الشيرازيّ:

قال: «(**وَاتَرَ**) من مادّة (وتر) بمعنى الفرد[٥] في مقابل الشفع بمعنى الزوج[٦]، وجاءت هنا بمعنى الواحد؛ أي إنّ الأنبياء قد أتوا الواحد تِلو الآخر من أجل هداية الناس[٧]، وقال البعض: معناها الموالاة مع الفاصلة؛ كأن يُقال (واتَرَ ما عليه من الصوم)؛ أي صام يومًا وأفطَر آخر، في قبال

(١) الصحاح: ج ٢/ ص٨٤٣، مادّة (وتر).
(٢) الصحاح: ج ٢/ ص٨٤٣، مادّة (وتر).
(٣) النهاية في غريب الحديث، مجد الدين ابن الأثير: ج٥/ ص ١٤٨، مادّة (وتر).
(٤) بهج الصباغة: ج٢/ ص٣٢-٣٣.
(٥) ينظر: تاج العروس: ج١٤/ ص٣٣٨، مادّة (وتر).
(٦) ينظر: شمس العلوم، نشوان الحميري: ج٦/ ص٣٤٩٩، مادّة (الشفع).
(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص٨٥٣، مادّة (وتر).

(متدارك) الذي يعني الموالاة دون تخلُّل الفاصلة[1]»[2].

المسألة الثانية: الإعراب:

- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**فَبَعَثَ مِنْهُم رُسُلَهُ**»: الفاء عاطفة متضمنة معنى السبب، (**بَعَثَ**): فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، (**مِنْهُم**): جارّ ومجرور متعلّق بالفعل (**بَعَثَ**)، (**رُسُلَهُ**): مفعول به منصوب وهو مضاف والهاء ضمير متّصل في محلّ جرّ مضاف إليه.

«**وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ**»: الواو: حرف عطف، (**وَاتَرَ**): فعل ماضٍ، (إليه): جارّ ومجرور متعلّق بالفعل (**وَاتَرَ**)، (**أَنْبِيَاءَهُ**): مفعول به منصوب وهو مضاف والهاء ضمير متّصل في محلّ جرٍّ مضاف إليه والجملة معطوفة على سابقتها.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح.

أولًا- الراونديّ:

قال: «فبعث الله إليهم إدريسَ، ثمّ نوحًا، ثمّ هودًا، ثمّ إبراهيم (عليهم السلام)»[3].

ثانيًا- المعتزليّ:

قال: «قال [الراونديّ]: إنَّ الله تعالى بعث يونُس قبل نوح[4]، وهذا خلاف

(١) ينظر: مقاييس اللُّغة: ج٦، ص٨٤، مادّة (وتر).
(٢) نفحات الولاية: ج١/ هامش ص١٤١.
(٣) منهاج البراعة: ج١/ ص٨٣.
(٤) ينظر: منهاج البراعة: ج١/ ص٨٣.

إجماع المفسّرين وأصحاب السِّيَر»[1].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «لّما كان من شأنهم ذلك وجب في الحكمة الإلهيّة أنْ يختصّ صِنفًا منهم بكمالٍ أشرف يقتدر معه أبناء ذلك الصِنف على ضبط الجوانب المتجاذبة، وعلى تكميل الناقصين ممّن دونهم، وهم صِنف الأنبياء (عليهم السلام)»[2].

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «لّما كان الحال بهذا المنوال[3] (**بَعَثَ فِيهِمْ**)، أي أرسل إليهم (**رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه**)؛ أي أرسلهم متواترًا وبين كلِّ نبيّين فترة، قال سبحانه: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كلّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[4].

قال الطبرسيّ في تفسير الآية: (أي متواترة تتبع بعضهم بعضًا، عن ابن عبّاس ومجاهد، وقيل متقاربة الأوقات، وأصله الاتّصال ومنه الوتَر لاتّصاله بمكانه من القوس، ومنه الوتر، وهو الفرد عن الجمع المتّصل، قال الأصمعيّ يُقال: واتَرتُ الخبر أتبعتُ بعضَه بعضًا وبين الخبرين هُنيهة)[5]، انتهى»[6].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١١٥.
(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٢.
(٣) من اتّخاذ الأنداد وصْرَف الشياطين لهم عن عبادته تعالى.
(٤) المؤمنون: ٤٤.
(٥) تفسير مجمع البيان، الطبرسّي: ج٧/ ص١٩١-١٩٢.
(٦) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٤٩-١٥٠.

خامسًا- مغنية:

قال: «**(فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ)** مبشِّرين ومنذرين لكيلا يكون للناس على الله الحُجَّة، **(وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ)**؛ أي جعل بين نبيّ ونبيّ فترةً قصيرةً أو طويلة، يُقال: واتَرَ ما عليه من الصوم أي أتى بالصوم وترًا، فصام يومًا، وأفطر يومًا أو يومين»[1].

سادسًا- التستريّ:

قال: «**(فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ)**؛ قال ابن أبي الحديد: قال الراونديّ: بعث يونس قبل نوح، قال: وهذا خلاف إجماع المفسّرين[2]، قلتُ: لم أقف فيه على ما قاله...

هذا، وكما أنّ إثبات الصانع في مقابل الدهريّين المنكِرين لصانع العالم، وإثبات التوحيد في مقابل الثنويّين والمشركين المقرّين بأصل الصانع دون توحيده، كذلك أصل النبوّة العامّة هنا في مقابل البراهمة القائلين بعدم جواز بعثة الله تعالى للرُّسل وإثبات وجوبها في مقابل فِرَقٍ من السُّنة.

أمّا الأوّلون وهم البراهمة، فقالوا: لا يخلو أمر الرسول من حالين: إمّا أنْ يأتي بما يدلّ عليه العقل أو بخلافه، فإنْ أتى بما في العقل كان مَنْ كُمُلَ عقلُه غنيًّا عنه؛ لأنَّ الذي يأتيه به مستقِرٌّ عنده، موجود في عقله، وإن أتى بخلاف ما في العقل، فالواجب ردُّ ما يأتي به؛ لأنّ الله تعالى إنّما خلق العقول للعباد ليستحسنوا بها ما استحسنت، ويُقِرّوا بما أقرّت، ويُنكِروا ما أنكرت.

(١) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٧.
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، المعتزليّ: ج١/ ص١١٥.

وأجاب أهل الحقِّ عن شُبهتهم: بأنّ الرسول لا يأتي أبدًا بما يخالف العقول، غير أنّ الأمور في العقل على ثلاثة أقسام: واجب، وممتنع، وجائز.

فالواجب في العقل يأتي السمع بإيجابه تأكيدًا له عند مَن عَلِم، وتنبيهًا عليه عند مَن لم يعلمه، والجائز يمكن في العقل حُسنه تارةً وقُبحه أخرى، ومن الأمور التي لا يصل العقل فيها إلى القطع العلم بأدوية الإعلال ومواضعها وطبائعها وخواصّها، ومقادير ما يحتاج إليها وأوزانها، فهذا ممّا لا سبيل للعقل فيه إلى حقيقة العلم، وليس يمكن امتحان كلّ ما في البرِّ والبحر، ولا تحسن التجربة والسبر؛ لما فيهما من الخطر المستقبح في العقل الإقدام عليه، فعلم أنّ هذا ممّا لا غناء فيه عن طارق السَمْع.

قالوا: وبعد، فإنّ شُكر المنعم عندنا، وعند البراهمة ممّا هو واجب في العقل، وليس في وجوبه ووجوب تعظيم مبدأ النعمة بيننا خلاف، وشُكر الله وتعظيمه أوجب ما يلزمنا؛ لعظيم أياديه لدينا، وإحسانه إلينا، ولسنا نعلم بمبلغ عقولنا أيّ نوعٍ يُريده من تعظيمه مِنّا وشُكره، فلا بُدّ أنْ يُرسل إلينا رسلًا يُعرِّفنا ما يريده منّا[1].

وأمّا الأخيرون، فقال المفيد: اتّفقت الإماميُّة على أنّ العقل يحتاج في علمه ونتائجه إلى السَّمْع، وأنّه غير منفكٍّ عن سَمْعٍ يُنبِّه الغافل[2] على كيفيّة الاستدلال، وأنّه لا بُدّ في أوّل التكليف، وابتدائه في العالم من رسول، ووافَقهم في ذلك أصحابُ الحديث، وأجمعت المعتزلةُ والخوارجُ والزيديّة على

(١) ينظر: كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكيّ: ص١٠١.
(٢) «العاقل» هكذا في أوائل المقالات.

خلاف ذلك، وزعموا أنّ العقول بمجرَّدها[1] من السمع والتوقيف، إلاّ أنّ البغداديّين من المعتزلة خاصّة يُوجِبون الرسالة في أوّل التكليف، ويُخالفون الإماميّة في عِلّتهم لذلك، ويُثبِتُون عِلَلًا يُصحِّحُها الإماميّة، ويُضيفونها إلى عِلّتهم في ما وصفناه)[2]، ولكن في شرح تجريد العلاّمة: قالت الأشاعرة بعدم وجوب النبوّة[3]»[4].

سابعًا- النقويّ:

قال: «واقتضى أنْ أرسلَ الله رُسله إلى الناس حتّى أرشدوهم ويُذكِّروهم؛ ولذلك عقَّب (عليه السلام) قولَه بقولِه: (**فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**).

ولمّا كانت جهاتُ الأربعة المذكورة مقتضيةً لإرسال الرُّسل منه تعالى؛ لُطفًا على عباده فرّع عليها بَعْثَهُم وقال: (**فبعث فيهم رسله**)؛ وهذا إشارة إلى لزوم النبيّ في كلِّ عصرٍ وزمان، والبحثُ في النبوّة يقع تارةً بمعناها العامّ وتارةً بمعناها الخاصّ، وهذه الجملة إشارة إلى الأوّل، وقوله (عليه السلام): (**إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صلّى الله عليه وآله**) إشارة إلى الثاني، ونحن نتكلّم في المقامين بحسب ما يقتضيه المقام؛ لأنّهما من الأمور المهمّة فنقول:

والبحث عن النبوّة العامّة يقع من جهات:

الجهة الأولى: في لُزومها عقلًا.

(١) «العقول تعمل بمجردها» هكذا في أوائل المقالات.
(٢) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ص٤٤-٤٥.
(٣) ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلاّمة الحليّ: ص ٤٧٠.
(٤) بهج الصباغة: ج ١/ ص ٣٢-٣٥.

الجهة الثانية: في لزومها نقلًا.

الجهة الثالثة: في فوائد البِعثة والآثار المترتّبة على وجود النبيّ عاجلًا وآجلًا.

أمّا البحث في الجهة الأولى: وهو إثبات النبوّة عقلا فيتوقّف على مقدّمات خمسة لا بُدّ من معرفتها:

المقدّمة الأولى: إنّ لنا خالقًا صانعًا على كلّ شيء.

المقدّمة الثانية: إنّ الخالق متعالٍ عن التجسيم والتعليق بالموادّ والأجسام، وعن أن يكون مُدرَكًا بالبصر أو الحسّ بإحدى الحواسّ، خلافًا للكراميّة ومن يحذُو حذوهم.

المقدّمة الثالثة: إنّه تعالى حكيم عالم بوجوه الخير والمنفعة والنظام وطريق المصلحة للخلائق في المعيشة والقوام والبقاء.

المقدّمة الرابعة: إنّ له تعالى وسائط وأسباب في إيجاب التأثير والخَلق والتدبير والإيجاد؛ لامتناع مباشرة الأفعال بمزاولة الموادّ والكثرات على الواحد الحقّ المقدّس المتبرّئ عن صفات الأجسام والخلائق خلافًا للأشاعرة النافِين للعِلّة والمعلول المثْبِتين للإرادة الجزافيّة المنكِرين لترتيب الوجود القائلين بخَلْق الأعمال وسائر الأمور الجزئيّة منه تعالى بلا واسطةٍ منه وترتيب؛ فينسدّ على طريقتهم إثبات النبوّة وافتقار الخَلْق إلى النبيّ [لا] سيّما على تجويزهم رؤية الخَلْقِ له تعالى.

المقدّمة الخامسة: إنّ الناس محتاجون في معاشهم ومعادهم إلى مَن يُدبِّر

أمورهم؛ حتّى لا يختلّ النظام فيحتاجون إلى النبيّ فإنّه هو المدبِّر لأمورهم، ولا يمكن لغيره هذا المنصب كما سيتّضح لك إن شاء الله تعالى.

وبعد تمهيد هذه المقدّمات الخمسة فوجود النبيّ ضروريّ لا يمكن في نظام الكُلِّ تَركه، وهو المطلوب.

أمّا البحث في المقدّمة الأولى: فقد مرَّ تفصيله في شرح قوله (عليه السلام): (**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ** ..) إلخ[1].

وأمّا البحث عن المقدمة الثانية: فقد مرَّ أيضًا شرحه وقُلنا إنّ لازم التجسيم والتعلُّق بالموادّ هو الإمكانيّة وهي تُنافي الواجبيّة[2].

أمّا المقدمة الثالثة: وهي أنّه عالم بوجوه الخير والمنفعة ... إلخ.

فقد مرَّ أيضًا شرحُه في الخطبة الأولى وقُلنا أنّه عن الجهل؛ لأنّه فَقْدُ كمالٍ يحتاج إليه في رفْع نقصِه؛ وهو ملازمُ للإمكانية، فواجب الوجود بالذات من جميع الجهات بل هو عِلمٌ كلُّه وقدرةٌ كلُّها ... إلى آخرها، كيف وهو مُعطي الكمالات ومُعطي الشيء لا يكون فاقده[3].

وأمّا المقدمة الرابعة: فتستدعى التكلُّم فيها إجمالًا، وخلاصة الكلام فيها أنّ الواجب واحدٌ أَحدٌ بسيط في شِدّة النَورانيّة والبهاء، بل هو فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى شِدّةً ومُدّةً وعدّةً، والمخلوقات كلُّها بالنسبة إليه تعالى موجودة بوجود ظِلِّيّ تَبَعيّ، بل عند المقايسة لا وجود لها حقيقةً؛ كما قال الله

(١) للمزيد من التفصيل ينظر: مفتاح السعادة: ج١/ ص٦٣-٩٣.
(٢) للمزيد من التفصيل ينظر: مفتاح السعادة: ج١/ ص١٦-١٩.
(٣) للمزيد من التفصيل ينظر: مفتاح السعادة: ج١/ ١١٨-١٢١.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَاس أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله وَالله هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾[2] وإنْ شئتَ قُلتَ هي: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[3] أين التراب وربُّ الأرباب؟ وأين النور من الظُلمة؟ وأين الوجود الأزليّ الأبديّ السرمديّ الدائم من الوجود التبَعيّ الظلِّي الفاني ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ الله﴾[4]، فعلى هذا لا بُدّ منه تعالى في الإيجاد والخَلق والتدبير والتأثير من وسائط هم أشرف الموجودات وأقربهم به تعالى شرفًا ومنزلةً من سائر الخَلق، فإنّ المخلوقات من حيث القُرب والبُعد من المبدأ ليست على حدٍّ سواء؛ فإنّ قاعدة إمكان الأشرف تقتضي التفاوت والامتياز، فكلُّ موجود يكون وجوده أقوى وأشدّ وحيثيّة مادّته وماهيّته مغلوبة لوجوده فهو أشرف، ومن كان بالعكس فهو بالعكس، ولذلك ترى الفلاسفة يقولون بأنّ الواجب أشرف من العقول، والعقول أشرف من النُّفوس، والنُّفوس أشرف من الأجسام، وهكذا حتّى تصل النوبة إلى هيولي عالم العناصر التي هي أخسّ الأشياء في سلسلة الترتيب النزوليّ.

ولا بُدّ لهذه الوسائط من أن تكونوا كاملين في العقل العمليّ والعقل النظريّ وذا عينين، عين إلى الله تعالى وعين إلى الخَلق؛ بمعنى أنّ توجُّهم إلى الحقِّ لا يُوجب غفلتهم عن الخَلق وتوجُّههم إلى الخلق لا يُعرِضهم عن الحقّ،

(١) فاطر: ١٥.
(٢) الفرقان: ٤٥.
(٣) النور: ٣٩.
(٤) القصص: ٨٨.

فيرون الحقَّ وهي بعينها رؤية الخَلق ويرَون الخَلق وهي بعينها رؤية الحقّ كما قال (عليه السلام): (**مَا رَأَيْتُ شَيئًا إلَّا وَرَأَيْتُ اللهَ قَبلَهُ وَبَعدَهُ وَمَعَهُ**)[1]، ولهم يدان فبإحدى اليدين يأخذون الفيض منه تعالى وبالآخَر يُرشّحون على العباد والموجودات، وهذا هو الإنسان الكامل الَّذي لا يُقاس مع أحَدٍ من الموجودات على ترتيب مراتبهم ومقاماتهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[2].

وأمّا المقدّمة الخامسة: فاعلم أنّ الإنسان مدنيٌّ بالطبع يحتاج في تعيُّشه وتدبير أموره ومعاده إلى مُدبّرٍ يُعلّمه طريق المعيشة في الدُنيا والنجاة من العذاب الأليم في العُقبى؛ وذلك لأنّ الإنسان لا يمكن له التعيّش منفردًا كغيره من الحيوانات؛ حيث إنّه يتولَّى كلّ واحدٍ من الحيوانات أمر معاشه من غير شريكٍ يُعاونه على ضرورات حاجاته وهذا ظاهر.

فالإنسان لا بُدّ له من الاستعانة والاستمداد من أفراد نوعه فيكون هذا يزرع لهذا وهذا يطحن لذلك وهذا يخيط لغيره وهو يتعلَّم من غيره وهكذا الأمر في كلّ الأفراد حتّى إذا اجتمعوا كان أمرهم مكفيًّا؛ ولهذا اضطرّوا إلى عقد المدن والاجتماعات للمعاملات والمناكحات وسائر المعاونات والمشاركات، وبالجملة لا بُدّ في وجود الإنسان وبقائه من المشاركة وهي لا تتمّ إلّا بالمعاقلة، ولا بُدّ لها من سُنّةٍ وقانون عدل ولا بُدّ للسُنّة والعدل من سانٍّ ومُعدِّلٍ، ولا يجوز للحكيم أن يترك الناس وأهوائهم وآرائهم في ذلك فيختلفون؛ فيرى كلُّ واحدٍ ما لَهُ عدلًا وما عليه ظُلمًا وجورًا.

(١) ينظر: شرح أصول الكافي، المازندرانيّ: ج٣/ ص٨٣.
(٢) البقرة: ٢٥٣.

ولا بُدّ من أن يكون هذا السانُّ والمعدِّل بشرًا لا ملَكًا؛ لأنّ الملَكَ لا يراه الناس ما لم يتجسَّم لأنّه روحانيّ الذّات، لا يتمثّل إلّا من طريق الباطن لأهل النبوّة، مضافًا إلى عدم السنخيّة بين البشر والملَك؛ وهو يوجب عدم الأُنس من الجانبين إلى الآخر، ولو فرضنا تجسُّمه لسائر الخَلْق أيضًا كجبرئيل في سورة دحية كان ملتبسًا عليهم كالبشر البتّة؛ كما قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[1] فإذن لا بُدّ من أن يكون للسانِّ خصوصيّة زائدة على الناس بحيث ليست تلك الخصوصيّة لغيره من أفرادهم؛ حتّى يستشعر الناس فيه أمرًا لا يوجد لهم فيتميّز به منهم فيكون له المعجزات التي أخبرنا بها، وحاجة الناس إلى هذا الإنسان أشدّ وأقوى من كثير من المنافع التي لا ضرورة لها للبقاء بل من كلّ المنافع، فإنّ الاجتماع إذا لم يكن فيه عدلٌ ولا سُنّة ولا مَلَكات إنسانيّة تجب راحتهم عن التألُّمات الروحيّة والمضرّات البدنيّة التي تُوجب هرجًا ومرجًا فعدَمُها أَوْلَى من وجودها، فإذن لا بُدّ عقلًا من وجود إنسانٍ كامل في الإنسانيّة في الاجتماع لإصلاح الأمور الدنيويّة والأُخرويّة.

ثمّ إنّ ما ذكرناه من لزومه في الاجتماع بالنسبة إلى معاشهم وبقائهم وحياتهم، وأمّا بالنسبة إلى الأمور الأُخرويّة فوجودُه ألزم؛ وذلك لأنّ الإنسان في حدّ نفسه لا يعلم من الآخرة شيئًا، إذ كلّ المراحل بعد الموت ممّا هي غائبة عن حواسّنا ولا يمكن بالعقل ولا بسائر القوى إدراكها مع أنّ المفروض وجودها وتحقّقها، ولا بُدّ للبشر الوصول إليها والرُكون عليها فإذا لم يكن في دار الدنيا مَن يُخبره

(١) الأنعام: ٩.

بحقيقتها وكيفيّتها وطريق الوصول إلى منافعها، والاحتراز عن مضارّها بسبب أعمالٍ يرتكبها الإنسان في الدنيا فالشقاوة والهلاكة له قطعيّة، وهي أمر لا بُدّ من التجنّب والاحتراز عنه؛ وهو لا يمكن إلّا من طريق الإرشاد من سفير الله تعالى الَّذي أخبره تعالى بكلّ ما يقع بعد نشأة الحياة.

فإذا تمهّدت لك هذه المقدّمات الخمسة فقد دريت أنّه واجبٌ على الله تعالى بحكم قاعدة اللُّطف والرحمة أنْ أرسل رسولًا أو نبيًّا في كلّ زمانٍ ودورة، ولا محالة يكون له المعجزات والكرامات؛ حتّى لا يُكذّبوه ضُعفاء العقول الذين مدار تشخيصهم في الواقعيّات على المحسوسات، ومن هنا يُعلم لُزوم المقدّمات بأجمعها.

فإنّ المقدّمة الخامسة بعد ما ثبتت ثبت باقيها؛ وذلك لأنّ هذا الإنسان الَّذي نُسمّيه بالرسول والنبيّ لا بُدّ له من بيان أوصاف الحقّ تبارك وتعالى وإراءة طُرق المعرفة إليه وأنّه خالقٌ للعالم وصانعٌ ليس في صنعه له شريك، فهذه هي المقدمة الأولى.

ثمّ لا بُدّ له من تنزيهه عن التجسّم والتركيب والتعلُّق بالموادّ وغيرها، وعن عدم كونه محسوسًا بالحواسّ الظاهرة والباطنة وغير ذلك حتّى يكون بريئًا عن مشابهة المخلوقات ومجانسة المصنوعات، وهذه هي المقدّمة الثانية.

ثمّ إنّه حكيم عالم بوجوه الخير ومنافعه في نظام الكلّ وسبيل المصلحة للخلائق في المعيشة والقوام والبقاء والدوام، وهذه هي المقدّمة الثالثة.

ثمّ إنّه لا بُدّ له من وسائط في التأثير والإيجاد والتبليغ في دار الوجود، فهذه هي المقدمة الرابعة.

هـذا في القـوس الصعـوديّ وأمّـا في القـوس النـزوليّ، فنقـول: بعـد مـا ثبـت أنّ للعـالم خالقًـا صانعًـا حكيـمًا عليـمًا بدلائـل التوحيـد؛ أعنـي المقدّمـة الأولى يثبـت لـه علمـه بالنظـام الأحسـن، وتقديـره المعيشـة للعبـاد وبقائهـم، وهـذه المقدّمـة الثانيـة، ثُـمّ معرفتـه بعـدم كونـه محسوسًـا أو جسـمًا أو غيرهمـا، وهـي المقدّمـة الثالثـة، ثـم بعـد معرفتـه تلـك المقدّمـة يعـرف أنّـه منـزَّهٌ عـن مشـابهة المخلـوق وهـذه المقدّمـة الرابعـة، ثُـمّ بعـد ذلـك يعـرف أنّـه لا بُـدّ في الوجـود مـن إنسـانٍ كامـل لـه معجـزات وكرامـات بهـا يمتـاز عـن سـائر الأفـراد؛ وبعـد وصولـه إلى هـذه المقدمـة فيَعلَـم علـمًا قطعيًّـا أنّ النبـيّ (صـلّى الله عليـه وآلـه) أو الرسـول لا بُـدّ مـن وجـوده، فثبـت المطلـوب.

الجهة الثانية: في إثبات وجوده نقلًا:

وهـو تـارةً مـن طريـق الآيـات وأخـرى مـن طريـق الآثـار، أمّـا الآيـات فكثيـرة: منهـا قولـه تعـالى: ﴿**كَانَ النـاس أُمَّـةً وَاحِـدَةً فَبَعَـثَ الله النبيّـينَ مُبَشِّـرِيـنَ وَمُنْذِرِيـنَ وَأَنْـزَلَ مَعَهُـمُ الكِتَـابَ بِالْحَـقِّ لِيَحْكُـمَ بَـيْنَ النـاس فِيـمَا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ وَمَا اخْتَلَـفَ فِيهِ إِلّا الذيـنَ أُوتُـوهُ مِـنْ بَعْـدِ مَـا جَاءَتْهُـمُ البَيِّنَـاتُ بَغْيًـا بَيْنَهُـمْ فَهَـدَى الله الذيـنَ آمَنُـوا لِمَـا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ مِـنَ الحَـقِّ بِإِذْنِـهِ وَالله يَهْـدِي مَـنْ يَشَـاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْـتَقِيم**﴾[1]، وقـال الله تعـالى: ﴿**لَقَـدْ مَـنَّ الله عَـلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَـثَ فِيهِـمْ رَسُـولًا مِـنْ أَنْفُسِـهِمْ يَتْلُـو عَلَيْهِـمْ آيَاتِـهِ وَيُزَكِّيهِـمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الكِتَـابَ**﴾[2] قـال الله تعـالى: ﴿**وَمَـا مَنَـعَ النـاس أَنْ يُؤْمِنُـوا إِذْ جَاءَهُـمُ الْهُـدَى إِلّا أَنْ قَالُـوا أَبَعَـثَ الله بَـشَرًا رَسُـولًا**﴾[3] قـال

(١) البقرة: ٢١٣.
(٢) آل عمران: ١٦٤.
(٣) الإسراء: ٩٣.

الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كلّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى الله وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

قال الله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾[3].

قال الله تعالى: ﴿وأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ الله أَحَدًا﴾[4] قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[5].

وأمّا الآثار:

فمنها: ما رواه ثقة الإسلام (قُدِّس سِرُّه) في كتابه الكافي بسنده، عن هشام ابن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، أنّه قَالَ لِلزِّنْدِيقِ الذي سَأَلَه مِنْ أَيْنَ أَثْبَتَّ الأَنْبِيَاءَ والرُّسل؟ قَالَ (عليه السلام):

(إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا وعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ وكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مُتَعَالِيًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشَاهِدَه خَلْقُه ولَا يُلَامِسُوه فَيُبَاشِرَهُمْ ويُبَاشِرُوه

(١) يونس: ٧٤.
(٢) النحل: ٣٦.
(٣) الإسراء: ١٥.
(٤) الجن: ٧.
(٥) البقرة: ١٢٩.

ويُحاجَّهُمْ ويُحاجُّوه ثَبَتَ أَنَّ لَه سُفَرَاءَ فِي خَلْقِه يُعَبِّرُونَ عَنْه إِلَى خَلْقِه وعِبَادِه ويَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ومَنَافِعِهِمْ ومَا بِه بَقَاؤُهُمْ وفِي تَرْكِه فَنَاؤُهُمْ، فَثَبَتَ الآمِرُونَ والنَّاهُونَ عَنِ الحَكِيمِ العَلِيمِ فِي خَلْقِه والمُعَبِّرُونَ عَنْه جَلَّ وعَزَّ وهُمُ الأَنْبِيَاءُ (عليهم السلام) وصَفْوَتُه مِنْ خَلْقِه حُكَمَاءَ مُؤَدَّبِينَ بِالْحِكْمَةِ مَبْعُوثِينَ بِهَا غَيْرَ مُشَارِكِينَ للناس عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الخَلْقِ والتَّرْكِيبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ مُؤَيَّدِينَ مِنْ عِنْدِ الحَكِيمِ العَلِيمِ بِالْحِكْمَةِ ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كلّ دَهْرٍ وزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِه الرُّسل والأَنْبِيَاءُ مِنَ الدلائل والْبَرَاهِينِ لِكَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُ الله مِنْ حُجَّة يَكُونُ مَعَه عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِه وجَوَازِ عَدَالَتِه)[1] انتهى.

ومنها: ما رواه (قُدِّس سِرُّه) أيضًا بعد الحديث المذكور بسنده، (عن منصور ابن حازم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام): إِنَّ الله أَجَلُّ وأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِه بَلِ الخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِالله، قَالَ:

صَدَقْتَ، قُلْتُ: إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَه رَبًّا فَيَنْبَغِي لَه أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذَلِكَ الرَّبِّ رِضًا وسَخَطًا وأَنَّه لَا يُعْرَفُ رِضَاه وسَخَطُه إِلّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ فَمَنْ لَمْ يَأْتِه الوَحْيُ فَقَدْ يَنْبَغِي لَه أَنْ يَطْلُبَ الرُّسل فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمُ الحُجَّة وأَنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ المُفْتَرَضَةَ)[2]. الحديث.

ومنها: ما رواه أيضًا فيه بسنده، عن أبان ابن تغلب، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): **(الحُجَّة قَبْلَ الخَلْقِ ومَعَ الخَلْقِ وبَعْدَ الخَلْقِ)**[3].

---

(١) الكافي: ج١/ ص١٦٨.
(٢) الكافي: ج١/ ص١٦٨-١٦٩.
(٣) الكافي: ج١/ ص١٧٧.

ومنها: ما رواه عن الباقر (عليه السلام)، قال: **(والله مَا تَرَكَ الله أَرْضًا مُنْذُ قَبَضَ آدَمَ (عليه السلام) إلّا وفِيهَا إِمَامٌ يُهْتَدَى بِه إِلَى الله وهُوَ حُجَّتُه عَلَى عِبَادِه ولَا تَبْقَى الأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ حُجَّة لله عَلَى عِبَادِه)**[1].

الجهة الثالثة: فيما يترتّب على وجود الرسول والنبيّ ومَنْ قامَ مقامهما عاجلًا وآجلًا:

اعلم أنّ الإنسان كما يتركَّب من روح وبدن والروح من عالم المجرَّدات والبدن من عالم الطَّبيعة ولكلٍّ منهما خواصٌّ وآثار، فالإنسان الكامل من كان مكمِّلًا كلاهما معًا ولا ينبغي له ترك البدن بالكُليّة والاهتمام بجانب الروح فقط ولا بالعكس.

فكذلك من حيث العمل له نشأتان نشأة الدّنيا ونشأة الآخرة، ولا بُدّ للإنسان الواجد للشّرائط من أن يتوجّه إليهما معًا، فلا يصلح له تَرْكُ الدُّنيا بالكُليّة لأجل الآخرة، ولا تَرْكُ الآخرة لأجل الدُّنيا، فالإنسان الحائز لمقام السعادة الأبديّة هو من جمع بينهما مُعرِضًا عن الإفراط والتفريط كما سنُحقِّقه في الفصول الآتية في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فللأنبياء (عليهم السلام) حظٌّ وافر بالنسبة إلى تأمين السعادتين، بل لولا وجود الأنبياء لما حصل هذا المقام لأحَدٍ، وقد أخطأ من ظنّ أنّه يُمكن له البلوغ إلى غاية القصوى والكمال المترقّب في النشأتين بدون الأنبياء والأوصياء، ولم يعلم أنّ التوصُّل بهذا المقام لا يُتصوَّر إلّا بمتابعتهم والإتيان بما أُمِروا به والتَرْك لما نُهوا عنه؛ كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ**

(١) الكافي: ج١/ ص١٧٩.

الله﴾[1]، فيترتّب على وجود الأنبياء وبعثتهم فوائد كثيرة:

الفائدة الأولى: هي التي قُلنا في علَّة بِعثتهم من أنّهم لو لم يكونوا اختلَّ أمرُ الدُّنيا ولزم الهرَجُ والمرَج، حيث لم يكن طريق إلى إصلاح الناس إلّا قوانينهم ولا لأخلاقيّاتهم إلّا أخلاقهم؛ ألا ترى أنّ الناس قبل بعثة كلّ نبيّ كانوا حيارى لا يدرون ما يقولون وما يفعلون، مَثَلُهم كمَثَلِ الغَريقِ يشبَّثُ بكلِّ حشيش كما سنُفصِّل في ذلك الكلام في النبوّة الخاصّة إن شاء الله تعالى، ومن تأمل في التواريخ يعلم صِدق ما قُلناه وصِحّةَ ما أصَّلناه، ولهذه الدقيقة ترى أنّ الله تعالى يَمُنُّ على عباده بإرسال الرُّسل وإنزال الكُتب، وأيُّ فائدةٍ أعظم من إرشاد الاجتماع إلى سَواء السبيل وإعراضهم عن الصفات الرذيلة والمهلِكات الموبِقة؛ فإنّ الإنسان بالفطرة أسيرٌ للشّهوات الحيوانيّة ولا يلتفت إلى الصفات الملكوتيّة، فلو لم يردعه رَادِعٌ عنها صار مُنهمِكًا فيها بحيث يصير أضلَّ من البهائم؛ وذلك الرادع هو الله تعالى بسبب الأنبياء والعقول المصدّقة لهم.

الفائدة الثانيّة: أنّ الأنبياء مفسِّرون للقوانين الإلهيّة الموضوعة للناس ومجْرِيون لها والقوانين لا بُدّ منها للاجتماع ولا يمكن للبشر وَضْعُ هذه القوانين حتّى لا يحتاجون إلى الأنبياء؛ وذلك لأنّ الإنسان من جميع الجهات محدودٌ متناهٍ فمدركاتُه أيضًا محدودة فكلّ ما يُدركه بعقله لا يكون إلّا مَشوبًا بالوهم ومع ذلك لا يتجاوز عن حدود المحسوسات، فالقانون الَّذي يضعه لا يكون جامعًا وافيًا بتمام الشّئون، وتوضيح ذلك: كلُّ فردٍ من أفراد الإنسان إذا شاء أنّ يضَع قانونًا للناس منفردًا أو بمَعونة الشريك أو الشركاء فلا بُدّ لهم

(١) آل عمران: ٣١.

من المطابقة والتحليل في الجامعة؛ حتّى حصل لهم العلم أو الظنّ باحتياجاتهم لتنظيم المعاش واستقرار العدالة والصُّلح بينهم، وعلى هذه المقدّمة يجعل قانونًا لهم والقوّة المُجرية تُجريه ومع هذا يعلم بخطئه أو خطئهم بعد زمانٍ قليل؛ فتُلحق به تبصرةٌ مثلًا، وبعد أيّامٍ أو شهور أو سنوات يُعوِّض بالكُليّة ويُقنِّن قانونًا آخر مقامه، وهكذا الأمر والدليل عليه ما نشاهدهُ في هذا الزمان في المِلل الراقية والممالك الكبيرة المقتدِرة المتجدِّدة؛ حيث إنّهم صاروا حيارى ولا يدرون ما يصنعون حتّى ينضبط الأمر واستقام الاجتماع فإنّ الأخلاق الرذيلة من القتل والزِّنا والفحشاء والسرّقة وساير المنكرات في كلِّ يومٍ بل في كلِّ ساعةٍ أكثر من يوم القبل والمحابس مملوّة ومن المتجاوزين، وليس هذا إلّا لأنّ القوانين الموضوعة لا تَفي بالغرض ولا تقدر على استقرار النَّظْم فيما بين الاجتماع، وإنّي أعلم عِلمًا قطعيًّا أنّ الفسادَ والفحشاء والمنكرات لا تُعدم إلّا بإجراء القوانين الإلهيّة، فما دام الحال على هذا المنوال فالأمر كما ترى.

وكيف لا يكون كذلك والقانون الاجتماعيّ على فَرضِ تماميّته وصِحّته يمكن أن يُصلِحَ الاجتماعَ في الظَّاهر وأمّا في الواقع فليس وافيًا قطعًا، مع أنّ المعاصي كثيرًا ما تقع في الخلَوات ولا يعلم حالَ العاصي أحدٌ إلّا الله تعالى؛ فعلى هذا وضع القانون من شؤون الحقِّ المتعال والمُجري له الأنبياء، وفائدته إصلاح الأفراد في الظَّاهر والباطن والجلوة والخلوة، وبالجملة كونه أنسانًا واقعيًّا وهذا من أهمّ المنافع على وجود الأنبياء.

الفائدة الثالثة: إنّ الأنبياء يُوَجِّهونَ العِباد إلى الله تعالى وصفاته وإلى الآخرة ونعيمها وعذابها ليهلك مَن هَلَكَ عن بيِّنةٍ ويحيى من حَيَّ عن بيّنته، فالإنسان كما يحتاج في دنياه إلى نَظمٍ وصفاءٍ وصُلحٍ وبقاءٍ، يحتاج في

أمر آخرته أيضًا إلى ناصحٍ مُشفقٍ صادق؛ حتّى لا يصرف تمامَ عُمره في أُمور الدُنيا غافلًا عن الآخرة ومقاماتها ودركاتها، ولمّا لم يكن لهذا المقام من له أهليّة إلّا الأنبياء فوجود الأنبياءِ لازمٌ واجب.

الفائدة الرابعة: إتمام الحُجَّة على العِباد.

فإنّ الإنسان مُكلَّفٌ بتكاليف كلَّفه الله تعالى بها كما قلنا وأثبتنا في الخطبة الأولى في شرح قوله (عليه السلام): (**أَوَّلُ الدِّيْنِ مَعْرِفَتُه**)[1]، وإنّ شُكر المُنعم واجبٌ عقلًا وشرعًا، والشُكر الحقيقيّ عبارة عن صَرف العبد جميعَ ما أنعمه اللهُ في موضعه، وهذا لا يمكن إلّا بدلالة الأنبياء وإراءتهم الطريق له؛ ولأجل هذا قال الإمام (عليه السلام): (**إِنَّ لله عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةُ الظَاهِرَةِ وَحُجَّةُ بَاطِنَةِ، أمّا الحُجَجُ الظَّاهِرَةُ فَهِيَ الأَنْبِيَاءُ والرُّسُلُ، وأمّا الحُجَجُ [الـ] بَاطِنَةُ فَهِيَ العُقُولُ**)[2] فبالعقل وبِعثة الأنبياء قد تمّت الحُجَّةُ على الناس في يوم القيامة وهذه فائدة عظيمة، وفوائد كثيرة أخرى لم نذكرها لأنّه (عليه السلام) قد أردف قولَه هذا بذكر الفوائد المترتِّبة على بِعثتهم بما لا مزيدَ عليه، فقال (عليه السلام) بعد قوله: (**وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ** ..) إلخ، ونحن نتكلّم إن شاء الله في شَرْحِ كلماتها على قدر ما يسعه المقام.

قوله (عليه السلام): (**وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ**): هذه الجملة إشارة إلى: تتابع الأنبياء وكثرتها وتواترها بحسب مقتضيات الأزمان؛ فأوّلُهم أبونا آدم وآخرُهم نبيُّنا محمّد (صلّى الله عليه وآله)، والمشهور من الروايات أنّ عددهم صلوات

(١) للمزيد من التفصيل ينظر: مفتاح السعادة، النقويّ: ج١/ ص٦٣-٩٣.
(٢) ينظر: الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص١٦. والكلام هنا للإمام الكاظم (عليه السلام).

الله عليهم مائة ألف وأربعةٌ وعشرون (١٢٤٠٠٠) ألف نبيّ ورسول، ولا بُدّ للمؤمن أن يؤمن بكلّ الأنبياء، فالإنكار بواحدٍ منهم في حُكم إنكار جميعهم كما قال تعالى في كتابه: ﴿**وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[1] ولا يخفى أنّ الأنبياء على كثرتهم ليسوا على حَدٍّ سواء من حيث الفضيلة والمنقبة والقُرب إلى الله وبُعده وسَعة دائرة نُبوّتهم ورسالتهم كما قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسل فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ**﴾[2]، فقد روي عن مولانا الرضا (عليه السلام) عن آبائه قال: قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): **خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ ألفِ نبيّ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ الفَ نبيّ أَنا أَكْرَمُهُمْ عَلَى الله وَلَا فَخْرَ، وَخَلَقَ الله عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ الفِ وَصِيٍّ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ ألفَ وَصِيٍّ، وَعَلِيٌّ أَكْرَمُهُمْ**[3] الخبر.

وعن أبي ذرّ (رحمه الله تعالى)، قال: قلت: يا رسول الله كم النبيّون؟ قال: (**مَائَةُ أَلفٍ وَأَربَعَةٌ [و] (عشرون) أَلفَ نَبِيٍّ**)، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال (عليه السلام): (**ثَلاثُمِائَةُ وَثَلاثَة عَشَر جَمًّا غَفيرًا**) قلتُ: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: (**آدم**)، قلت: وكان من الأنبياء مرسلًا؟ قال:

(**نَعَمْ خَلَقَهُ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ**) ثم قال: (**يَا أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ سَرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، شِيْثٌ، أَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ وَنُوحٌ، وَأَرْبَعَةٌ مِنَ العَرَبِ: هُودٌ، صَالِحٌ، شُعَيْبٌ، وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَأَوَّلُ نبيّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مُوسَى وَآخِرُهُمْ عِيسَى وَسُتُّمِائَةِ نَبِيٍّ**)، قلتُ: يا رسول الله كم

(١) البقرة: ٤.
(٢) البقرة: ٢٥٣.
(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٣٠٧.

أنزل الله تعالى من الكتاب؟ قال (صلّى الله عليه وآله):

(مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ؛ أَنْزَلَ الله عَلَى شَيْثٍ خَمْسِينَ صَحِيفَةً، وَعَلَى إِدْرِيسَ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عِشْرِينَ صَحِيفَةً، وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ)[1] الروايات الثلاثة ذكرها في البحار (ج٥ ص٩ و ١٠).

أقول: وسادات الأنبياء خمسة: وهم أصحاب الشرائع وهم أولو العزم من الرُّسل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، ويتهيَّأ هنا سؤال وهو أنّه لِأَيَّةِ عِلَّةٍ كثرة الأنبياء، فهلَّا يكون النبيُّ الواحد مبعوثًا إلى الخلائق إلى يوم القيامة مع أنّ المفروض أنّ أغراضهم واحدة وهي الدعوة إلى الله تعالى؟

قلت: لا إشكال في وحدة الغرض وإنّما العلة في كثرتهم هي المقتضيات بحسب كلِّ زمان ودوره واجتماع، فكلُّ زمانٍ يقتضي نبيًّا لا يصلح لزمان قبله وزمان بعده لنكتة لا بُدّ لنا من الإشارة إليها: وهي أنّه لا شكّ لدى العُقلاء وأرباب البصيرة أنّ الإنسان من أوّلِ ساعةٍ خلقه الله تعالى ونفخ فيه من رُوحه في صراط الكمال والبلوغ إلى مدارج العالية كما هو شأن كلّ موجود في هذا العالم، لا سيّما بناء على الحركة الجوهريّة إذ عليها فالموجودات دائمًا في الحركة والسكون، والقرار ليس من شأنها ومعلومٌ أنّ الحركة من النَقص إلى الكمال لا بالعكس كما ثبت في محلِّه، وهذا السير التكامليّ في الموجودات ثابتة بأسرها خصوصًا الإنسان الذي خُلقت الموجودات لأجله، فهو رأس هذا القاعدة ورئيسها، كيف وهو خُلِق لأجل الوصول إلى الغايات والبلوغ إلى الكمالات وبَعْثُ الرُّسل وإنزال الكتب له لأجل وصوله إلى هذا الغرض؛ فعلى هذه

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٥٢٤، بحار الأنوار، المجلسّي: ج١١/ ص٣٢.

القاعدة لا بُدّ له من الترقِّي من النقص إلى الكمال، ومعلومٌ أنّ حصول تلك النتيجة له تدريجيّ لا دَفعيّ لاستحالة الطَّفرة، فكلُّ نسلٍ من أفراد البشر مُعدّة لكمال النَسْلِ الآخر، فالإنسان [في] القرن المتقدّم بالنسبة إلى القرن المتأخِّر كدوران الطفوليّة بالنسبة إلى الشبابيّة، ألا ترى أنّ البشر في هذا القرن لا يُقاس بالإنسان القرن المتقدِّم فضلًا عن إنسان القرن الأوّل، بل الأطفال في زماننا هذا من حيث الذكاء وسرعة الانتقال والفَهم ولا يُقاسون بنا في دوران طفوليّتنا فضلًا عن الأطفال [في] القرن السابق، وهذا بديهيٌّ محسوس لا يحتاج إلى دليل فإنّ اكتشافات البشر صارت مُحيِّرة للعقول الضَعيفة وإلَّا فالعقول الكاملة قد عَلِمَتْ بأنَّ البشر فوق هذا كما قال عليٌّ (عليه السلام)[1]:

أَتَـزْعُمَ أنَّـكَ جِـرْمٌ صَـغِـيرٌ وَفِيْـكَ انْطَـوَى العَـالَمُ الأَكْـبَرُ

إذا عرفتَ هذا المعنى في الإنسان فقد علمتَ أنّه بناء على هذه السيرة لا بُدّ من أن يكون كلُّ نبيّ في كلّ زمان مناسبًا لأفراد تلك الزمان من جميع الجهات، ولمّا كان الإنسان متفاوتًا بالنسبة إلى الأزمنة فكذلك الأنبياء، فكيف يُمكن للنبيِّ الواحد أنْ يكون مبعوثًا إلى جميع أفراد الإنسان من البدو إلى الختم؟ فالقانون الَّذي يستفيد منه الإنسان في هذا الزمان لا يمكن الاستفادة منه لأفراد البشر في زمن إدريس النبيِّ مثلًا لو كان، فكما أنّ بين أفراد الأمم فرقًا من حيث العلم والدَّرك فكذلك فرق بين أنبيائهم؛ فلا يُمكن أن يكون الشيخ الرئيس ونصير الدين الطوسيّ و الفخر الرازيّ والعلَّامة الحليّ وأمثالهم من النوابغ من أُمّة إدريس النبيّ وهود، وصالح وغيرهم، بل من

(١) جواهر المطالب، محمّد بن أحمد الباعونّي: ج٢/ ص١٣٦.

أُمّة عيسى وموسى، ولذلك قال رسول الله في حقّ علماء أُمته: (**عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ**)[1]، وهذا هو السّر في تكثير الأنبياء وتفاوتهم من حيث الفضل والكمالات المعنويّة، وسيأتي لهذا البحث زيادةُ تحقيقٍ إنْ شاء الله»[2].

ثامنًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشِد قوله (عليه السلام): «**فَبَعَثَ مِنْهُم رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ**» - فضلًا عمّا أفاده الشُرّاح- إلى أمورٍ ثلاثة:

١ـ إنّ الله تعالى اصطفى من وُلد آدم (عليه السلام) وذُريّته رُسلًا وأنبياء (عليهم السلام) فبعثهم إليهم؛ أي إنّ الناسَ كلُّهم من وُلد آدم سواء مَن آمن بالله تعالى أو جحد وكفر وأنكر.

٢ـ إنّ الغاية من البعث هي لتحقيق الخلافة لله تعالى في الأرض عبر مهامٍّ يُؤدّيها الأنبياء والرُّسل؛ وهي «**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**»، وغيرها من المهامّ والتكاليف التي سيمرّ بيانها عبر فقرات النصّ الشريف.

٣ـ إنّ آليّة البَعْث للأنبياء (عليهم السلام) لم تكن دفعةً واحدةً؛ ممّا يُرشد إلى أنَّ قصديّة النصِّ الشريف هي بيان مدخليّة الزمن وليس شخصَ النبيِّ أو الرسول، كما ذهب إليه الشرّاح في دلالة الوتر، أي لا بُدّ للزمن أن يأخذ حقَّه في البعث؛ وذلك لسُلطة السُنن الإلهيّة في الأُمم، فلكُلِّ شيءٍ أجل ينتهي إليه وينقاد له.

(١) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ص١٧٨.
(٢) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٤٢ـ ٣٦٠.

وإلّا فأنّ الفردانيّة لم تتحقّق في بَعْث الأنبياء، بمعنى قد تزامَن وجود نبيَّان في زمنٍ واحد؛ كنبي الله إبراهيم ولوط، وزكريا وولده يحيى، وموسى وأخيه هارون، ويعقوب وولده يوسف (سلام الله عليهم اجمعين).

ومن ثَمَّ فدلالة الوتر في قوله (عليه السلام): «**ووَاتَرَ**»، يُراد بها الأجل الذي تنتهي به نُبوَّة كلِّ نبيّ من الأنبياء والرُّسل، وما يلازمها من وقائع الزمن والأحداث التي تستلزم نجاة بني آدم وإرجاعهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى.

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المطلب الخامس: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جُملة من الحقول المعرفية؛ كاللُّغة والإعراب والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «قوله: (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**)، يقال: استأدوا، أي خطبوا لي ميثاق دعوته ودعوا»[1].

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «الميثاق: المعاهدة وأخذ العهد[2] إشارة إلى ما هو مقرَّرٌ في

(١) معارج نهج البلاغة: ص٧٢.

(٢) ينظر: العين، الفراهيديّ: ج٥/ ص٢٠٢، مادّة (وثق)، تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج٩/ ص ٢٠٦، مادّة (وثق)، الصحاح، الجوهري: ج٤/ ص١٥٦٣، مادّة (وثق).

العقـول[1] مـن أنَّ الفعـل لا بُـدّ لـه مـن الفاعـل، والمحـدث لا بُـدّ لـه مـن مُحـدِث، وقـد نصـب اللهُ لـكلِّ عاقـلٍ حُجَّـةً دالّـة عـلى توحيـده وعَدْلـه، وهـذا هـو الفطـرة التـي فطـر اللهُ عليهـا الخلائـق»[2].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «الفطرة: الخِلقة[3]»[4].

رابعًا- مغنية:

قال: «**(لِيَسْتَأْدُوهُمْ)**: ليطلبوا منهم الأداء والوفاء[5]»[6].

خامسًا- التستريّ:

قال: «**(لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ)** أي: عهد[7]»[8].

سادسًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

قـال ابـن منظـور: «يُقـال: أَدَّى فـلانٌ مـا عليـه أَداءً وتَأْدِيـةً، وتَـأَدَّى إليـه الخَـبرُ أَي انْتَهـى، ويقـال: اسْـتأْداه مـالًا إذا صـادَرَه واسْـتَخْرَجَ منـه»[9].

---

(١) ميثاق الفطرة.
(٢) منهاج البراعة: ج١/ ص٧٦.
(٣) الصحاح: ج ٢/ ص ٧٨١، مادّة (فطر).
(٤) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٠.
(٥) ينظر: مختار الصحاح، الرازيّ: ص١٥، مادّة (أدا).
(٦) في ظـلال نهـج البلاغـة: ج١/ ص٥٦، وورد قريـب مـن هـذا المعنـى في: مفتـاح السـعادة، النقـوي: ج١/ ص٢٩٧.
(٧) الصحاح: ج ٤/ ص ١٥٦٣، مادّة (وثق).
(٨) بهج الصباغة: ج٢/ ص٣٥.
(٩) لسان العرب: ج ١٤/ ص ٢٦، فصل الألف مادّة (أدا).

المسألة الثانية: الإعراب:

أولًا- مغنية:

قال: «(**لِيَسْتَأْدُوهُمْ**): مضارع منصوب بأنْ مضمرة، و(**يُذَكِّرُوهُمْ**) وما بعده عَطفٌ على لـ(**يَسْتَأْدُوهُمْ**)»[1].

ثانيًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**»: اللام: حرف تعليل، (**يَسْتَأْدُوهُمْ**): فعل مضارع منصوب بحذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل، و (**هُمْ**) ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به أول، (**مِيثَاقَ**): مفعول به ثانٍ منصوب، وهو مضاف، (**فِطْرَتِهِ**): مضاف إليه مجرور، وهو مضاف والهاء ضمير متّصل في محلّ جرٍّ مضاف إليه.

«**وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**»: جملة معطوفة على سابقتها وتُعرب إعرابها.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح:

أولًا- الراونديّ:

قال: «فذكروهم ووعظوهم[2] ومنعوهم من القبائح»[3].

ثانيًا- المعتزليّ:

قال: «أنْ يُقال: ما معنى قوله (عليه السلام): (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**)؟ هل هذا إشارة إلى ما يقوله أهل الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ**

(١) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.
(٢) في المصدر: (ووعظهم) وما أثبتناه هو الموافق للسياق.
(٣) منهاج البراعة: ج١/ ص٨٣.

رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]؟

والجواب: إنّه لا حاجة في تفسير هذه اللَّفظة إلى تصحيح ذلك الخبر، ومراده (عليه السلام) بهذا اللَّفظ أنّه لَمَّا كانت المعرفة به تعالى وأدلّة التوحيد والعدل مركوزة في العقول، أرسل سبحانه الأنبياء أو بعضَهم ليُؤكِّدوا ذلك المركوز في العقول، وهذه هي الفطرة المشار إليها بقوله (عليه السلام): (**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**)[2]»[3].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «الغايةُ منهم[4] ما أشار إليه (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**): أي ليبعثوهم على أداء ما خُلِقُوا لأجله وفُطِروا عليه من الإقرار بالعبوديّة لله، ويجذبوهم عمّا التفتوا إليه من اتّباع الشهوات الباطنة، وافتناء اللذّات الوهميّة الزائلة، وذلك البعث والجذب تارةً يكون بتذكيرهم نِعَم الله الجسميّة، وتنبيههم على شُكر ما أَوْلَاهُم به من مِننه العظيمة، وتارةٌ يكون بالترغيب فيما عقده سبحانه ممّا أعدّه لأوليائه الأبرار، وتارةٌ بالترهيب ممّا أعدّه لأعدائه الظالمين من عذاب النار، وتارةً بالتنفير عن خسائس هذه الدار، وبيان وجوه الاستهانة بها والاستحقار، وإلى ذلك أشار بقوله: (**وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**)»[5].

(١) الأعراف: ١٧٢.
(٢) الكافي، الكلينيّ: ج٢/ ص١٣، التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٣٣١.
(٣) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ١١٤-١١٥.
(٤) أي الأنبياء.
(٥) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٢.

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «قوله: (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**) إلى قوله: (**وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ**) إشارة إلى الغاية من بعث الرُّسل والثمرة المترتِّبة على ذلك؛ وهي على ما ذكره (عليه السلام) خمس، والمراد من ميثاق الفطرة هو ميثاق التوحيد والنبوَّة والولاية، كما يشهد به ما رواه الصَّدوق في التوحيد بإسناده:

(عن عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر (عليه السلام)، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَاسَ عَلَيْهَا**﴾[1]، قال: (**التوحيد، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، وَعَلِيٌّ أَمِيرُ المؤمِنِينَ**)[2].

وعن ابن مسكان، عن زرارة قال: قلتُ لأبي جعفر (عليه السلام): أصلحكَ الله، قول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَاسَ عَلَيْهَا**﴾[3]؟ قال: (**فَطَرَهُمْ عَلَى التوحيد عِنْدَ المِيثَاقِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ**)، قلتُ: وخاطَبوه؟ قال: فطأطأ رأسه، ثم قال: (**لَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا مَنْ رَبُّهُمْ وَلَا مَنْ رَازِقُهُمْ**)[4].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سَأَلْتُه عَنْ قَوْلِ الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَاسَ عَلَيْهَا**﴾[5]، مَا تِلْكَ الفِطْرَةُ؟ قَالَ: (**هِيَ الإِسْلَامُ فَطَرَهُمُ اللهُ حِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَى التوحيد قَالَ**

(١) الروم: ٣٠.
(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ٣٢٩-٣٣٠.
(٣) الروم: ٣٠.
(٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٣٣٠.
(٥) الروم: ٣٠.

﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾[1]، **وفِيه المُؤْمِنُ والْكَافِرُ**)[2].

والمراد بالنعمة في قوله (عليه السلام): (**وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**) إمّا النّعمة التي منَّ بها على العباد في عالم الذَرّ والميثاق حسبما مرّ، أو جميع النّعم المغفول عنها، والأوّل هو الظاهر نظرًا إلى ظاهر لفظ (النِّسيان)»[3].

خامسًا- مغنية:

قال: «ما هي الفطرة (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ**): أي ليطلب الأنبياء من الناس الأداء والعمل بموجب (**مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**)، وفي الآية ٣٠ من سورة الروم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾.

وتسأل: ما هو المراد بالفطرة في هذه الآية الكريمة، وفي قول الإمام (عليه السلام)؟

هل المراد العقليّة البدائيّة مع العلم بأنّ هذه العقليّة تقبل التناقضات، والإيمان بالأساطير والخرافات -كما ثبت في علم الاجتماع- أم المراد بالفطرة أنّ هناك قوّةً غامضة تفرضُ الحقَّ على قلب الإنسان وشعوره؟ وهذا خِلاف الحسِّ والوجدان، ولو صَحّ ما اختلف في الحقّ اثنان. أو المراد بالفطرة الشعور الذاتيّ الذي يحسُّه الإنسان من نفسه، ولا يعرف له مصدرًا ولا تفسيرًا كالواخز الذي يشعر به حين يفعل أو يحاول أنْ يفعل قبيحًا مع عِلمه

(١) الأعراف: ١٧٢.
(٢) الكافي، الكلينيّ: ج٢/ ص١٢، التوحيد، الشيخ الصدوق: ٣٢٩.
(٣) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٥٠.

ويَقينه بأنَّ ما من أحدٍ يَطَّلِعُ عليه، أو يمكن أنْ يَطَّلِع.. ونحن نعلم أنّ وَخْزَ الضمير يكون -في الغالب- انعكاسًا عن تقاليد المجتمع ومقاييسه، أو عن الإيمان بالله واليوم الآخر. أو المقصود بالفطرة مجرّد استعداد الإنسان لأنْ يقبل الخير حين يعلم بأنّه خير، ويرفض الشرَّ حين يعلم بأنه شرّ؟

الجواب: كلّ هذه المعاني غير مقصودة من الآية، ولا من قول الإمام، ولا من حديث (**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلى الفِطْرَةِ**).. وكنتُ قد اخترتُ المعنى الأخير للفطرة أي الاستعداد، وقرّبته بنَحْوٍ من الوضوح والتفصيل في التفسير الكاشف[1] ج٦ ص١٤١.. والآن، وأنا أشرح النهج عُدتُ إلى دراسة الموضوع من جديد، وبعدَ النَظر والتأمُّل عدَلتُ عنه؛ لأنّ استعداد الإنسان للشرِّ تمامًا كاستعداده للخير أو أكثر، بدليل أنّ أهل الشرِّ والضلالة أكثر بكثير من أهل الخير والهداية.

والذي أراه الآن وفي هذه اللحظة بالذات أنّ المقصود بالفطرة في الآية الكريمة، وفي قول الإمام (عليه السلام) وفي حديث (**كُلُّ مَولُودٍ**) هو أنّ نفس الإنسان خُلِقَت صحيفةً بيضاءَ لا شيءَ فيها، ولا توحي بشيءٍ على الإطلاق، ولكنّها تَقبل كلَّ ما يُكتبُ فيها ويُرسم سواء أكان وَحيًا من الرحمن، أم كان تضليلًا من الشيطان..

وبالبداهة أنّ الوحي من خالق الفطرة وهو وحده الذي يجب أنْ يرسم فيها ما يُرسم، وأنْ تؤمن به وتعمل.

ويدلّنا على صحّة هذا التفسير أنّ الإنسان يُولَّد، ولا يُولَّد معه شيء إلّا

(١) ينظر: التفسير الكاشف، محمّد جواد مُغنية: ج٦/ ص١٤١-١٤٢.

حواسَّهُ الخمس، ومِعدَةٌ تطلبُ الطعام والشراب -كما هو المشاهد- بالحِسِّ والوجدان، ثمّ يكتسب معارفه ممّا يُحيط به شيئًا فشيئًا عن طريق هذه الحواسّ.. وفي أقوال أهل البيت (عليه السلام) ما يُعزِّز ذلك ويدلُّ عليه.

قال صاحب مجمع البيان: روى أصحابنا عن الإمام الباقر: (**كَانُوا قَبْلَ نوحٍ أُمَّةً وَاحِدةً عَلى فَطْرَةِ الله، لا مُهْتَدِينَ وَلَا ضَالِّينَ**[1]، **فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّيَن**)[2].

وسياق الآية يدلُّ على صحّة التفسير الذي اخترناه للفطرة، بل ويفرضه؛ لأنّ الآية الكريمة وردت بعد قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**﴾[3]، ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾[4]، ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ... إلى قوله ... **وهُوَ الذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه**﴾[5]، ﴿**وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى**﴾[6]، بعد هذا البيان الطويل عن إنشاء الخلق وإعادته، وبعد ذكر الفطرة قال سبحانه: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الناس لَا يَعْلَمُونَ**﴾[7]، أي أنَّ الدين الحنيف القَيّم الذي يجب أنْ تأخذ به فطرة الإنسان هو الإيمان بالله الذي يبدأ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيده، لا الشرك أو اليهوديّة أو النصرانيّة، وما إلى ذلك ممّا لا مصدر له إلّا تضليل الأبوين، وفساد المجتمع، ولكنّ أكثر الناس يجهلون الدين الحنيف، ويدينون بغير الحقّ دينَ الآباء والأجداد.

(١) «ولا ضُلاَّلاً» هكذا في تفسير مجمع البيان.
(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسّي: ج٢/ ص٦٥.
(٣) الروم: ٢٠.
(٤) الروم: ٢١.
(٥) الروم: ٢٢-٢٧.
(٦) الروم: ٢٧.
(٧) يوسف: ٤٠.

وهذا المعنى هو المراد أيضًا من حديث (**كُلِّ مَوْلُودٍ**). وعليه يُحمَل قولُ الإمام: (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**): أي إنّ الأنبياء طَلبوا من الناس أنْ يؤمنوا ويعملوا بما أوحاه سبحانه إلى الفطرة على لسان أنبيائه، وليس معناه -كما يُظَنُّ- أنّ الأنبياءَ طلبوا من الناس أنْ يؤمنوا بما توحيه الفِطرة نفسها.. كلّا، لأنّها صحيفةٌ بيضاء لا توحي بشيءٍ على الإطلاق.

(**وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**) هذا تحديد لمهمّة الأنبياء ووظيفتهم، وهي التذكير بأنعُم الله على عباده»[1].

سادسًا- التستريّ:

قال: «وكيف كان فقد نَبّه (عليه السلام) على خمسةٍ من أدلّةِ وجوبِ الرسالة:

الأول: (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ**) أي: عَهْدَ، (**فِطْرَتِهِ**) التي فطرهم عليها، قال تعالى: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[2]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[3].

وقد اختلف في معنى أخذ الميثاق من الناس، فقال المرتضى: لمّا خلقهم وركّبهم تركيبًا يدلّ على معرفته، ويشهد بقدرته، ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم، كان بمنزلة المشهد لهم على

(١) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٨-٥٩.
(٢) الروم: ٣٠.
(٣) الأعراف: ١٧٢.

أنفسهم، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره على الوجه الذي أراده الله تعالى وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته، بمنزلة المقرّ المعترف، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة[1].

وقال المفيد في مسائله السرويّة: وأمّا الحديث في إخراج الذُرّية من صلب آدم (عليه السلام) على صورة الذرّ، فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه، والصحيح أنّه أخرج الذُرّية من ظهره كالذرّ، فملأ بهم الأفق، وجعل على بعضهم نورًا لا يشوبه ظلمة، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور، وعلى بعضهم نور وظلمة، فقال تعالى لأدم:

أمّا الذين عليهم النور بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الذين يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري، فأولئك سكّان الجنّة، وأمّا الذين عليهم ظلمة لا يشوبها نور، فهم الكفّار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني في شيء من أمري، فهؤلاء حطب جهنّم، وأمّا الذين عليهم نور وظلمة، فأولئك الذين يطيعوني من ولدك ويعصوني، يخلطون أعمالهم السيّئة بأعمالهم الحسنة، فهؤلاء أمرهم إليّ: إن شئت عذّبتهم فبعدلي، وإن شئتُ عفوتُ عنهم بتفضُّلي، قال: فأنبَأه الله تعالى بما يكون من وُلده، وشبّههم بالذرِّ الذي أخرجه من ظهره، وجعلهم علامةً على كثرة وُلده، قال: ويُحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره أصول أجسام ذُرّيته دون أرواحهم، وإنّما فعل الله تعالى ذلك ليدلّ آدم على العاقبة منه، ويُظهر له من قُدرته وسُلطانه من عجائب صُنعه، وعِلمه بالكائن قبل كونه؛ ليزداد آدم يقينًا بربِّه[2].

(١) الأمالي، الشريف المرتضى: ج١/ ص٢٣.

(٢) ينظر: المسائل السرويّة، الشيخ المفيد: ص٤٤-٤٦.

قال: وأمّا الأخبار التي جاءت بأنّ ذُرّية آدم استُنطِقوا في الذرِّ، فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقرّوا، فهي من أخبار التناسخيّة، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحقّ بالباطل[1].

قال: والمعتمد من إخراج الذُرّية ما ذكرنا، دون ما ينطق القول به على الدلالة العقلية والحُجج السمعيّة، وإنّما هو غلط لا يثبت به أثر على ما وصفناه[2].

قال: فإنْ تعلّق متعلِّق بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[3]، وظنّ بظاهر هذا القول تحقُّق ما رواه أهل التناسخ والحشويّة والعامّة في إنطاق الذُرّية وخطابهم، وأنّهم كانوا أحياءَ ناطقين، فالجواب عنه: إنّ هذه الآية من المجاز في اللُّغة، كنظائرها ممّا هو مجاز واستعارة؛ والمعنى فيها: أنّ اللهَ تعالى أخذَ من كلِّ مكلَّفٍ يخرج من صُلب آدم وظهور ذريّته العهدَ عليه برُبوبيَّته من حيث أكمل عقله، ودلّه بآثار الصَنعة فيه على حَدَثه، وأنّ له مُحدِثًا أحدَثَهُ لا يشبهه أحدٌ يستحقُّ العبادةَ منه بنعمته عليه؛ فلذلك هو أخذ العهدَ منهم، وآثار الصنعة فيهم، والإشهاد لهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربّهم، وقوله تعالى: ﴿...**قَالُوا بَلَى**...﴾، يريد أنّه لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، ودلائل حدوثهم اللازمة لهم، وحُجَّة العقل عليهم في إثبات صانعهم، فكأنّ سبحانه

(١) المسائل السرويّة: ص٤٦.
(٢) ينظر: المسائل السرويّة: ص٤٦.
(٣) الأعراف: ١٧٢.

كما ألزمهم الحُجَّة بعقولهم على حدوثهم ووجود مُحدِثهم، قال لهم: ﴿... **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...**﴾، فلمّا لم يقدروا[1] على الامتناع من لزوم دلائل الحدوث لهم، كأنّهم قائلون[2]: ﴿...**بَلَىٰ شَهِدْنَا...**﴾، وقوله تعالى: ﴿...**أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ**﴾[3]، إلاّ ترى أنّه تعالى احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة إن تناولوا[4] في إنكاره ولا يستطيعون، وقد قال سبحانه: ﴿...**وَالشمس وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الناس وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ...**﴾[5]، ولم يروا أنّ المذكورَ يسجُد سُجود البشر في الصلاة، وإنّما أراد أنّه غيرُ ممتنعٍ من فعل الله، فهو كالمطيع لله، وهو يُعبَّر عنه بـ(الساجد).

قال الشاعر:

بِجَمْعٍ[6] تَظَلُّ البُلْقُ فِي حَجَراتِهِ ... تَرَى الأُكْمُ فِيهِ سُجَّدًا لِلحَوَافِرِ[7]

يريد أنّ الحوافر تذلّ الأكم بوطيها عليها.

وقال آخر:

---

(١) (فلمّا يقدروا) هكذا في المسائل السرويّة.
(٢) (لهم كانوا كالقائلين) هكذا في المسائل السرويّة.
(٣) الأعراف: ١٧٢-١٧٣.
(٤) (يتأوّلوا) هكذا في المسائل السرويّة.
(٥) الحج: ١٨.
(٦) وردت في شعره المجموع بلفظ: (بجيشٍ)، ص١١٠.
(٧) البيت لزيد الخليل الطائيّ وهو ضمته شعره المجموع يصف جيشًا: ص١١٠.

سُجُودٌ لَهُ نَوقَانُ يَرجُونَ فَضْلَهُ وَتُرْكٌ وَرَهْطُ الأَعْجَمِيْنَ وَكَابُلُ[1]

يريد أنّهم مُطيعون له، وعبَّر عن طاعتهم بـ(السّجود).

وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[2]، وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام، ولا السّماء قالت قولًا مسموعًا، وإنّما أراد أنّه عهد إلى السماء فخلقها، فلم يتعذّر عليه صنعها[3].

قال: ولذلك أمثال كثيرة في منظوم كلام العرب ومنثوره، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية[4].

والثاني: (**وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**) قال تعالى حكايةً عن هُودَ في تذكير قومه بآلائه تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[5]، وعن صالحٍ لقومه في ذلك: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[6]، وعن موسى لقومه في ذلك: ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾[7]،

(١) البيت للنابغة الذبيانيّ، وهو في ديوانه: ص١٢٢، والشطر الأول ورد فيه هكذا: قُعُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) المسائل السرويّة: ص٤٧- ٥٠.

(٤) ينظر: المسائل السرويّة: ص ٥٢.

(٥) الأعراف: ٦٩.

(٦) الأعراف: ٧٤.

(٧) المائدة: ٢٠.

وقال (عَزَّ وَجَلَّ) على لسان نبيّنا (صلّى الله عليه وآله) في ذلك: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[1]»[2].

سابعًا- النقويّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**): وهذا هو الفائدة الأولى المترتّبة على إرسال الرُّسل قد أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) والمعنى: إنّ بعثة الأنبياء وتواتُرَهم لأجل فوائد كثيرة مترتّبة عليها؛ أحدها: إنّ الأنبياء بُعثوا لطلب أداء الميثاق من الناس الذي فُطِروا وعليه في عالم الذرِّ، والمقصود من هذا الميثاق هو التوحيد الذي أشار إليه الحقُّ سبحانه؛ حيث قال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾، وإلى هذا المعنى أشار في موضع آخر من كتابه حيث قال: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ**﴾[3]، فإنّ المفسّرين قالوا بانَّ الفطرة في الآية الشريفة التي فطر الناس عليها هي فطرةُ التوحيد وهو شاهدٌ على ما ذكرنا، وإليه أشار رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، حيث قال:

(**كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ**)[4]، فالإنسان على هذه الطبيعة مفطورة على التوحيد لو لم يمنعها مانعٌ بعدُ، فالأنبياء (عليهم السلام) وخليفتُهم طلب

(١) البقرة: ٤٠-٤٢.
(٢) بهج الصباغة: ج٢/ ص ٣٥-٣٩.
(٣) الروم: ٣٠.
(٤) الكافي، الكلينيّ: ج٢/ ص١٣، التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٣٣١.

أداء الأمانة التي أودعها الله في فطرتهم وفيه إشارة إلى أنّ التوحيد وجميع مواعيد النبوّة ليس على خلاف طبيعة البشر وفطرته بل هو مقتضى جِبِلَّتهم وطينتهم، فتأمَّل.

قوله (عليه السلام): (**وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**): وفيه إشارةٌ إلى فائدة أخرى تترتّب على إرسال الرُّسل وهي تَذَكُّر الأنبياء نِعم الله تبارك وتعالى للناس وقد أشار (عليه السلام) بقوله إلى ما قال الله تعالى مخاطبًا لبَني إسرائيل: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾[1]، وقال الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ**﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا**﴾[3]، وقوله تعالى ﴿**فَاذْكُرُوا آلَاءَ الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[4]، وأمثال ذلك من الآيات.

وفائدة التذكُّر تنبيهُ المخاطَب وإيقاظه من نوم الغفلة وإتمام الحُجَّة، عليه فالأنبياء وظيفتهم إيقاظ الناسِ وتوجيههم نحو المعبود بتذكُّر نِعم الله تعالى؛ حتّى يترتّب عليه وُجوبُ شُكْرِ المُنعِم، إذ لا تكليف مع الغفلة والنسيان»[5].

ثامنًا- الشيرازيّ:

قال: «ثمّ أشار الإمام (عليه السلام) إلى فلسفة بِعْثةِ الأنبياء، فقال:

(...**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**...) الواقع هو أنّ

(١) البقرة: ٤٠.
(٢) المائدة: ١١، الأحزاب: ٩.
(٣) المائدة: ١٢.
(٤) الأعراف: ٦٩.
(٥) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

الإمام (عليه السلام) أشار إلى أربعة[1] أهداف رئيسية تقف وراء بَعْثِ الأنبياء:

أوّلها: طَلَب أداء ميثاق الفطرة؛ فقد ذكرنا أنَّ الله سبحانه قد أودع المعارف التوحيدية فطرةَ الإنسان التي تقوده بصورةٍ طبيعيّة ما لم تُدَنَّس وتُلَوَّث، وتتعرّف على الانحراف ودون نشأة صاحبها وولادته على الشرك بفعل انحداره من والدين مشركين إلى عبادة الواحد الأحد، وسوف يتطلّع إلى الصالحات، ويعشق الحقَّ والعدل في ظِلّ هذه الفطرة السليمة الموحَّدة، فقد جاء الأنبياء ليُعيدوا الأفراد المنحرفين إلى هذه الفطرة التوحيديّة المودَعة لديهم.

الهدف الثاني: لتذكير الناس بِنِعمِ الله التي اعترتها الغفلةُ والنسيان، فالإنسان ينطوي على نِعَمٍ ماديّة ومعنويّة جمَّة، ولو استغلّها كما ينبغي فإنّه سَيُشَيِّد صُروح سعادته وفَلاحه، في حين سيفقد مثل هذه السعادة إذا ما نساها وتجاهل استعمالها واستغلالها. ومثَلُه كمثل الفلّاح الذي لا يستفيد من المياه لسَقْي أشجارِ حديقته، ولا يقطف ثمار أشجاره حين الحصاد، فإذا ما جاء أَحَدُهم وذَكَّره بهذه النِّعم المنسيّة فإنَّه يكون قد أَسدى له أعظمَ خدمة، وهذا ما ينهض به الأنبياء»[2].

تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشِدُ قوله (عليه الصلاة والسلام): «**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**»- فضلا عمّا أفاده الشرّاح - إلى أمورٍ، منها:

(١) سنورد منها ما يتعلق بهذا المطلب.

(٢) نفحات الولاية: ج١/ ص ١٤١-١٤٢.

الأوّل: إنّ ميثاق الأنبياء (عليهم السلام) غير ميثاق بني آدم.

إنّ كلمة (الميثاق) قد وردت في النصّ الشريف في موضعين؛ الأوّل: قوله (عليه السلام): «**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**»، وقد بيّنا أنّ دلالة الميثاق هنا مقيَّدة بتبليغ الوحي؛ وهو خاصٌّ بالأنبياء دون غيرهم من وُلد آدم (عليه السلام)، فقد أخذ الله عليهم الميثاقَ في ذلك.

والآخر: قوله (عليه السلام): «**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**» ودلالة الميثاق هنا مقيَّدة بِوُلد آدم؛ فقد أخذ الله عليهم الميثاقَ بما فَطَرهم عليه؛ فيكون من مهامِّ الأنبياء (عليهم السلام) أنْ يُرشِدوا الناسَ، ليُؤدُّوا إلى الله تعالى ميثاق فطرته.

ولكن يبقى السؤال بين الشرّاح -كما مرَّ بيانه- ما هو الميثاق، ومتى أخذ من بني آدم، هل في عالم الذرِّ أم في غيره؟

وجوابه: إنّ المرتكز في النصّ الشريف، هو أن الميثاق مقرونٌ بالفِطرة وملازمٌ لها، فيكون الميثاق هو الفِطرة التي فَطَرَ الله الناس عليها، سواء كان في بَدْوِ نشأتهم وتكوينهم أو في عالم الأصلاب والأرحام أو في عالم الذرِّ.

الثاني: دلالة الفطرة التي وردت في النّص الشريف ترشد إلى أنها في ثلاثة أمور.

إنّ الفطرة التي فَطَرَ الله الناس عليها هي في ثلاثة أمور يجمعها الإسلام كما نصّت عليها الرواياتُ الشريفة؛ فمنها:

١- روى بن فرّوخ الصفّار، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ الناس عَلَيْهَا**﴾؟ قال،

فقال: «**على التوحيد، وَمُحَمَّدٍ رَسُوْلُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، وَعَلِيٍّ أَمِيرِ المؤمنينَ عليهِ السلام**»[1].

٢- روى الشيخ الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «سألتُه عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ الناس عَلَيْهَا**﴾ ما تلك الفطرة؟ قال: **هي الإسلام، فَطَرَهُمُ اللهُ حِينَ أَخَذَ مِيْثَاقَهم عَلى التوحيد، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وَفِيهِ المؤمِنُ والكَافِرُ**»[2].

٣- وعنه[3]، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سألتُه عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**حُنَفَاءَ لله غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ**﴾؟ قال: «**الحنيفيَّةُ من الفِطرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عَلَيها، لَا تَبديلَ لِخَلْقِ الله**»، قال: «**فَطَرَهُمْ على المَعْرَفَةِ بِهِ**».

قال زرارة: وسألته عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾؟

قال: «**أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَه إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَخَرَجُوا كَالذرّ فَعَرَّفَهُمْ وأَرَاهُمْ نَفْسَه ولَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّه**»، وقال: «**قَالَ رَسُولُ الله (صلّى الله عليه وآله) كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ؛ يَعْنِي: المَعْرِفَةَ بِأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ**

(١) بصائر الدرجات: ص٩٨

(٢) الكافي: ج٢ ص١٢.

(٣) أي: الشيخ الكليني (رحمه الله).

خَالِقُه، كَذَلِكَ قَوْلُه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشمس وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1]»[2].

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المطلب السادس: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جُملة من الحقول المعرفية؛ كاللُّغة والإعراب والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

- الخوئيّ:

قال: «أثار الغبار يُثيرُه هيَّجَهُ[3] ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾[4] في الآية الشريفة، أي قلَّبوها للزّراعة[5]»[6].

المسألة الثانية: الإعراب:

- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ**»: الواو: حرف عطف، (**يَحْتَجُّوا**): فعل مضارع

(١) العنكبوت: ٦١.
(٢) الكافي: ج٢/ ص١٢.
(٣) ينظر: العين، الفراهيديّ: ج٨/ ص٢٣٤، مادّة (ثور).
(٤) الروم: ٩.
(٥) ينظر: مجمع البحرين، الطريحيّ: ج٣/ ص٢٣٨، مادّة (ثور). وورد هذا المعنى في: مفتاح السعادة، النقويّ: ج١/ ص٢٩٧.
(٦) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٣٠.

منصوب بحذف النون، والواو ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل، (**عَلَيْهِمْ**): جارّ ومجرور متعلِّق بالفعل (**يَحْتَجُّوا**)، (**بِالتَّبْلِيغِ**): جارّ ومجرور متعلِّق بالفعل (**يَحْتَجُّوا**)، «**وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ**»: الواو: حرف عطف، (**يُثِيرُوا**): فعل مضارع منصوب بحذف النون، والواو ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل، (**لَهُمْ**): جارّ ومجرور متعلِّق بالفعل (**يُثِيرُوا**)، (**دَفَائِنَ**): مفعول به منصوب، وهو مضاف، (**الْعُقُولِ**): مضاف إليه مجرور.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح:

أولًا- البحرانيّ:

قال: «لا بُدّ للمجادلة والمخاطبة من احتجاجٍ مُقنِع ومُفحِم فيحتجّوا عليهم بتبليغ رسالات ربّهم، وإنذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون، ويُثيروا لهم وجوه الأدلّة على وحدانيّة المبدع الأوّل، وتفرُّده باستحقاق العبادة، وهو المراد بدفائن العقول وكنوزها، واستعمال (الدفائن) هاهنا استعارة لطيفة؛ فإنّه لمّا كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار موجودة في النفوس بالقوّة أشبهت الدفائن فحَسُن استعارة لفظ (الدفينة) لها، ولمّا كانت الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لإظهارها حَسُنَت إضافة إثارتها إليهم»[1].

ثانيًا- الخوئيّ:

قال: «(**وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ**): أي في يوم القيامة (**بِالتَّبْلِيغِ**): أي تبليغ الأحكام ونشر الشرائع والأديان ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ**

(١) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٢.

بَيِّنَةٍ﴾[1] **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ للناس عَلَىَ اللهِ حُجَّة بَعْدَ الرُّسل، وَكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾**[2].

(وَيُثِيرُوا): أي يُهيِّجوا «**لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ**» من شواهد التوحيد وأدلّة الرُّبوبيّة، كما قال سبحانه: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِما يَنْفَعُ الناس وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كلّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[3]»[4].

ثالثًا- مغنية:

قال: «**(وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ، وَيُرُوهُمْ الآياتِ**[5] **المَقْدِرَة مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ)**، والاحتجاج عليهم بإرشاده إلى أنْ يُفكِّروا ويتأمَّلوا في خَلْقِ الله وآثارِهِ الدالَّةِ على قُدرته وعَظَمته»[6].

رابعًا- التستريّ:

قال: «والثالث: **(وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ)** لئلّا يعتذروا في ترك طاعته، قال تعالى: **﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرسول إلّا**

(١) الأنفال: ٤٢.
(٢) النساء: ١٦٥.
(٣) البقرة: ١٦٤.
(٤) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٥٠-١٥١.
(٥) «آيَاتِ» هكذا في أغلب النسخ وفي أصل الخطبة في النسخ المعتمدة باستثناء الشيخ مغنية.
(٦) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص ٥٩.

البَـلَاغُ الْمُبِـينُ﴾[1].

وفي الخبر: (**إِنَّ الأَحْـلَامَ لَمْ تَكُـنْ فِيـمَا مَـضَى فِي أَوَّلِ الخَلْـقِ وإِنَّـمَا حَدَثَـتْ**) قيـل[2]: ومَـا العِلَّـةُ فِي ذَلِـكَ؟ فَقَـالَ: (**إِنَّ الله عَـزَّ ذِكْـرُه بَعَـثَ رَسُـولًا إِلَى أَهْلِ زَمَانِـه فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَـادَةِ الله وطَاعَتِـه، فَقَالُـوا: إِنْ فَعَلْنَـا ذَلِـكَ فَـمَا لَنَـا فَـوَ الله مَـا أَنْـتَ بِأَكْثَرِنَـا مَـالًا ولَا بِأَعَزِّنَـا عَشِـيرَةً، فَقَـالَ: إِنْ أَطَعْتُمُـونِي أَدْخَلَكُـمُ الله الجَنَّـةَ، وإِنْ عَصَيْتُمُـونِي أَدْخَلَكُـمُ الله النـار، فَقَالُـوا: ومَـا الجَنَّـةُ والنـار؟ فَوَصَـفَ لَهُـمْ ذَلِـكَ، فَقَالُـوا: مَتَـى نَصِـيرُ إِلَى ذَلِـكَ؟ فَقَـالَ: إِذَا مِتُّـمْ، فَقَالُـوا: لَقَـدْ رَأَيْنَـا أَمْوَاتَنَـا صَـارُوا عِظَامًـا ورُفَاتًـا فَـازْدَادُوا لَـه تَكْذِيبًـا وبِـه اسْـتِخْفَافًا، فَأَحْـدَثَ الله (عَـزَّ وَجَـلَّ) فِيهِـمُ الأَحْـلَامَ، فَأَتَـوْهُ فَأَخْـبَرُوهُ بِـمَا رَأَوْا ومَـا أَنْكَـرُوا مِـنْ ذَلِـكَ، فَقَـالَ: إِنَّ الله (عَـزَّ وَجَـلَّ) أَرَادَ أَنْ يَحْتَـجَّ عَلَيْكُـمْ بِهَـذَا، هَكَـذَا تَكُـونُ أَرْوَاحُكُـمْ إِذَا مِتُّـمْ وإِنْ بُلِيَـتْ أَبْدَانُكُـمْ تَصِـيرُ الأَرْوَاحُ إِلَى عِقَـابٍ حَتَّـى تُبْعَـثَ الأَبْـدَانُ**)[3].

والرابـع: (**ويُثِـيرُوا**) مـن أثـار الأرض، (**لَهُـمْ دَفَائِـنَ العُقُـولِ**) حتّـى تكـون في مرآهـم ﴿**قَالَـتْ رُسُـلُهُمْ أَفِي الله شَـكٌّ فَاطِـرِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...**﴾[4]»[5].

خامسًا- النقويّ:

قـال: «قولـه (عليـه السـلام): (**وَيَحْتَجُّـوا عَلَيْهِـمْ بِالتَّبْلِيـغِ**): وهـذه فائـدةٌ أخـرى مترتِّبـةٌ عـلى إرسـال الرُّسـل؛ وهـي عبـارة عـن الاحتجـاج لهـم بسـبب التبليـغ

(١) العنكبوت: ١٨.
(٢) «فَقُلْتُ» هكذا في الكافي.
(٣) الكافي: ج ٨/ ص ٩٠.
(٤) إبراهيم: ١٠.
(٥) بهج الصباغة: ج ٢/ ص ٣٩-٤٠.

وذلك من أعظم الفوائد؛ وفيه إشارة إلى ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشمس مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الذي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[3].

وقد رُوي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، أنّه قال: (**نَحْنُ المُجَادِلُوْنَ فِي دِيْنِ اللهِ عَلَى لِسَانِ سَبْعِيْنَ نَبِيًّا**)[4].

والآياتُ والأخبارُ في احتجاجات الأنبياء على أُممهم كثيرةٌ جدًا، ونحنُ نشير إلى طرفٍ منها في موضعه إن شاء الله تعالى.

قوله (عليه السلام): (**وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ**): وهذه فائدة رابعة مُترتِّبة على إرسال الرُّسل وهي أنّهم (عليهم السلام) بُعِثُوا لإيقاظ العقول وإظهار دفائنها؛ وفيها إشارة إلى أنّ العقول تحتاج إلى منبّه ومذكِّر لولاه لم يمكن لها البلوغ والوصول إلى غاياتها وهو كذلك، وقد شبّه مدركات العقول بالجواهر القيّمة المذخورة تحت أراضي الأبدان فكما أنّ الجوهر المستور تحت الأرض لا يمكن الوصول إليه إلّا بإثارة الأرض وتقليبها والتفيش فيها كما هو المشهود المحسوس، فكذلك دفائن العقول لا يمكن الوصول لأحدٍ إليها

(١) العنكبوت: ٤٦
(٢) النحل: ١٢٥.
(٣) البقرة: ٢٥٨.
(٤) الاحتجاج: ج١/ ص٥.

إلّا بعد التذكُّر والتنبيه الذي في الحقيقة تُثير وتقليب لها، وعليه فالاحتمال في قوله (عليه السلام): (**دَفائِنَ العُقُولِ**) من حيث الأدب لا يخلو من وجهين:

الأوّل: أن تكون إضافة (الدفائن) إلى (العقول) بيانيّة؛ فالمعنى يصير هكذا الأنبياء (عليهم السلام) بُعِثوا لتُثير دفائنَ التي هي عبارة وبيان من العقول، إذ العقول في أبدان الناس مدفونةٌ كما أنّ الجواهر مدفونةٌ تحت الأرض.

الثاني: أن تكون الإضافة فيها تبعيضيّة؛ بمعنى أنّها بتقدير كلمة (من) المفيدة للتبعيض دون البيان كما في الصورة الأولى؛ فيصير المعنى: إنّ الأنبياء يثيروا الدفائن من بعض العقول المستعدِّة القابلة لا كلِّها؛ وذلك لأنّ بعض العقول لأجل كونها مشوبةً بالأوهام الباطلة والآراء الكاسدة الفاسدة لا تَصلُح للاستفاضة ولا تكون قابلةً لإدراك الحقائق، ويظهر سِرّ أنّ الأفراد كلَّهم لِمَ لا يستفيدون من الأنبياء والآيات والمواعظ؟ فإنّا نرى أنّها متفاوتةٌ في الاستفاضة وعدمها وشِدّتها وضعفها، وليس هذا إلّا بحسب القابليّة»[1].

سادسًا- الشيرازيّ:

قال: «الهدف الثالث[2]: (**وَيُحَتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ**) إتمام الحُجَّة على الناس من خلال الأدلّة العقليّة إلى جانب المسائل الفطريّة، وإرشادهم إلى الكمال في ظلّ التعاليم السماويّة والأوامر والأحكام الشرعيّة.

ومنها أيضًا: (**يُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ**) ليكشفوا للناس كنوزَ العلوم والمعارف الكامنة في عقولهم، فقد أودع الله هذه العقول كنوزًا عظيمةً قيِّمة

(١) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٦٢ ـ ٣٦٤.
(٢) تقدَّم الهدفان الأولان في المطلب السابق.

لو ظهرتْ واستُغِلّت لشهدت العلوم والمعارف نهضةً عظيمةً وجبّارة، غير أنَّ هذه الكنوز اختفتْ واسترت إثر هذه الغفلة والتعاليم الفاسدة والذنوب والمعاصي والتلوّث الأخلاقي، ومن هنا فإنَّ إحدى وظائف الأنبياء تكمن في إزالة هذه الحُجب وإثارة تلك الكنوز المفعمة بالعلوم والمعارف»[1].

سابعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشد قوله (عليه الصلاة والسلام): «**وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ**» -فضلًا عمّا أفاده الشرّاح- إلى أمور، منها:

أولًا- فيما يتعلّق بالغاية من بَعْث الأنبياء (عليهم السلام).

ممّا لا شكّ فيه أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد بيان الغاية التي من أجلها بَعَثَ الله الأنبياء، فذكر منها في هذا الموضع أمرين:

الأول: وهو الاحتجاج، وقد حدّده (عليه السلام) بالتبليغ.

والثاني: إثارة دفائن العقول، ثُمّ سيُتبعه ببيانٍ آخر في المطالب اللّاحقة، وكلُّها كما أسلفنا في سياقٍ واحد وغايةٍ محدّدة؛ وذلك أنّ الأصل في خَلق آدم (عليه السلام) هو الخلافة في الأرض عبر اصطفاء الأنبياء (عليهم السلام).

ثانيًا- فيما يتعلّق بالاحتجاج.

فقد ذهب السيّد حبيب الله الخوئيّ (رحمه الله) إلى القول بأنّه مقيَّد بيوم القيامة، وهو وإن كان من خصائص يوم القيامة إلّا أنّه غير مقيَّد به مطلقًا؛ وذلك أن القرآن عَرض لنا في مواضع عدّة من احتجاج الأنبياء في الحياة

(١) نفحات الولاية: ج١/ ص ١٤٢.

الدنيا؛ كما في حال نبيّ الله إبراهيم مع قومه في تكسير الأصنام وعبادة الشمس والقمر والكواكب وغيرها، وكذا حال نبيّ الله موسى الكليم مع فرعون ومن بعده مع السَحَرة، ثمّ قوم بني إسرائيل، وكذا في محاجّة النصارى لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أمر عيسى (عليه السلام)، في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ**﴾[1]، وغيرها من الموارد التي تدلّ على سعة استعمال الاحتجاج في الحياة الدنيا من قِبل الأنبياء (عليهم السلام).

ثالثًا- فيما يتعلق بالتبليغ.

وهو الوسيلة التي حدّدها القرآن للاحتجاج؛ أي يصبح التبليغ هو الوسيلة في إيصال الناس إلى الله تعالى، والأخذ بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، ومن ثَمَّ يَسِمُ القرآن الكريم الرسالة ومهمّة الرسول بالبلاغ، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الذينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسل إِلّا البَلَاغُ المُبِينُ**﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا عَلَى الرسول إِلّا البَلَاغُ المُبِينُ**﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلّا البَلَاغُ**﴾[4]، وغيرها من الآيات المباركة.

---

(١) آل عمران: ٦١.
(٢) النحل: ٣٥.
(٣) النور: ٥٤.
(٤) الشورى: ٤٨.

رابعًا- فيما يتعلّق بالإثارة.

وفيه أمران:

الأول: إثارة العقول على العموم؛ كالعلوم التي تُنظِّم للناس شؤونهم الحياتيّة وآليّة تطويرها، كما في حال نبيّ الله داوود ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾[1].

والآخر: إثارة العقول على الخصوص في توحيد الله تعالى وبما جاء من عنده فتكون الأنبياء هي التي تُثير عقول الناس وتستخرج دفائن عقولهم في إنماء المعارف وحَملِها ونَقلِها إلى الآخرين.

خامسًا- فيما يتعلّق بدفائن العقول.

ممّا لا ريبَ فيه أنّ مكنون تفضيل الإنسان على غيره وتكريمه على كثيرٍ مما خلق الله تعالى[2] يعود إلى العقل؛ فلولاه لأصبح بمصاف البهيميّة، ومن ثَمّ نجد أنّ النصوص الشريفة ولاسيّما كتاب الله تعالى قد نَبّه إلى خطر العقل في الحياة وما يترتّب عليه فيها، بل وعلى عاقبة أمر الإنسان، ومن ثَمَّ فإنّ النصّ الشريف لم يُحدّد شيئًا بعينه ممّا أودعه الله تعالى في العقل، بل إنَّ أمره لمجهولٌ، ولا نملك من المعرفة بماهيّة العقل إلّا بحدٍّ ما كشفته النصوص الشريفة، ولم يتمكّن أحدٌ إلى الآن من معرفة آليّة التفكير والفَهْم التي تجري في الدماغ.

---

(١) الأنبياء: ٨٠.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن هنا نجد أنّ النصّ الشريف قد جاء بلفظ «**الدفائن**»؛ وذلك لاستتاره عن أعين الإنسان ولاسيّما أهل الاختصاص في العلوم والمعارف الإنسانيّة، أو العلوم والمعارف التطبيقيّة، أو العلوم والمعارف الصرفة، أو العلوم والمعارف الطبيّة، ليُظهر النصّ الشريف بذلك ثلاثة أمور، وهي:

الأول: بيان مكانة الأنبياء (عليهم السلام) وتفضليهم على الناس؛ فقد خصَّهم الله بما لم يخصّ به غيرَهم من وُلد آدم (عليه السلام)؛ أي المعرفة بـ«**دفائن العقول**» ليُخرجوها إلى الناس.

أي يبقى حصر هذا الأمر ومكنونه بيد الأنبياء (عليهم السلام) على الرغم من استحالة تحديده وتأطيره بأُطُرٍ خاصّة، وذلك لتعدُّد مصادره، وتشعب أنواعها.

بمعنى لا يمكن لأيِّ عالمٍ أو حكيم أو عارف أنْ يحلَ محَلَّ الأنبياء في استخراج «**دفائن العقول**»، فقد قيَّدها الله تعالى بالنبوَّة.

الثاني: بيان مكانة رسول (صلّى الله عليه وآله)؛ فقد نبّه الوحي وبيّنَ ما أودعه الله تعالى في القرآن الكريم من المعارف والعلوم، فقال تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[1].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**وفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ**»[2]، وبوصفه تبيانًا لكلِّ شيء ولاسيّما ما تعلَّق بمعرفة الله تعالى وتوحيده، فهو الأصل والسنام في بَعْثِ الأنبياء واصطفاء المرسلين وآلهم (عليهم السلام) كآل

(١) الأنعام: ٣١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨

إبراهيم، وآل عمران، وآل محمد (صلّى الله عليه وآله) على العالمين؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[1]، وقوله: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**﴾[2].

فقد ضرب الله مثلًا لهذه المعرفة وآثارها على الأشياء، فيقول عَزَّ شَأْنُه:

﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[3] وكي يُدرِك الإنسان مكانةَ الأنبياء عند الله تعالى ولاسيّما سيدهم وأشرفهم عنده؛ وذلك بما أودعه عَزَّ وَجَلَّ في قلبه (صلّى الله عليه وآله) من المعرفة به، وبحَمْلِه القرآن، فيقول في بيانِ عظيمِ موضعِه عِندَهُ جَلَّتْ قُدرَتُه:

﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[4].

وقوله سبحانه: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[5].

ومن ثمّ فإنّ الجبل الذي ضرب اللهُ به مثلًا لو أُنزل عليه القرآن ﴿**لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾ قد حَمَلَهُ قَلبُ النبيّ مُحمّد (صلّى الله عليه

(١) آل عمران: ٣٣.
(٢) النساء: ٥٣.
(٣) الحشر: ٢١.
(٤) البقرة: ٩٧.
(٥) الشعراء: ١٩٣-١٩٤.

وآله)؛ وبذلك يكون له من المكانة والفَضل في استخراج «**دفائن العقول**» ما لم يكن لغيره؛ وذلك بعِلة هيمنة القرآن الكريم على غيره من الكُتب والصُحف والديانات.

ممّا يُرشد إلى بيان منزلة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهو الحامل لعلم النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، بدلالة قوله: «**عَلَّمَنِي الفَ بَابٍ مِنَ العِلْمِ يَفْتَحُ كلُّ بَابٍ الفَ بَابٍ وَلَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ أَحَدًا غَيْرِي**»[1].

ورواه الفخر الرازيّ، بلفظ: «**عَلَّمَنِي رَسُوْلُ الله (صلّى الله عليه وآله) الفَ بَابٍ مِنَ العِلْمِ، وَاسْتَنْبَطْتُ مِنْ كُلِّ بَابٍ الفَ بَابْ**» وأعقبه بقوله: فإذا كان حالُ الوَليّ هكذا، فكيف حال النبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلم][2].

الثالث: بيان منزلة العقل ومكانته في خلافة الله على الأرض، وأنّه المعنيُّ بالتوحيد والسبيل لتحصيل المعرفة والنجاة، وقد تضافرت النصوص الشريفة في بيان هذه الحقيقة، وحسبنا منها ما رُويَ عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

قوله: «**فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ العَقْلِ والتَّجْرِبَةِ**»[3].

وقال لولده الإمام الحسن (عليه السلام): «**إِنَّ أَغْنَى الغِنَى العَقْلُ وأَكْبَرَ الفَقْرِ الحُمْقُ**»[4].

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

(١) الخصال، الصدوق: ص٥٧٢.
(٢) تفسير الرازيّ: ج٨ ص٢٣.
(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٧٨.
(٤) المصدر السابق: الحكمة: ٣٨

المطلب السابع: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ».

اشتملَ اللَّفظ الشريف على جملةٍ من الحقول المعرفيّة؛ كاللُّغة والإعراب والشرح؛ وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «قوله: (**وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ**)، عنى بالأوصاب الأمراض[1]»[2].

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «وَأَحْدَاث الدهر: نَوازِلُه[3]»[4].

ثالثًا- الكيذريّ:

قال: «**وَمَعَايِشَ**: لا يُهمَز لأنّ الياء فيها عين الفعل بخلاف (المدائن) فهمزتها بدل ياء زائدة، **والوصب**: المرض»[5].

(١) ينظر: العين: ج ٧/ ص١٦٨، مادّة (وصب)، الصحاح، الجوهري: ج١/ ص٢٣٣، مادّة (وصب)، وورد قريب من هذا المعنى في: منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص٧٧، شرح نهج البلاغة، المعتزليّ: ج١/ ص١١٤، شرح نهج البلاغة، البحرانيّ: ج١/ ص٢٠٠، منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٣٠، بهج الصباغة، التستريّ: ج٢/ ص٤٠، مفتاح السعادة، النقوي: ج١/ ص٢٩٧.

(٢) معارج نهج البلاغة: ص٧١.

(٣) ينظر: العين: ج ٣/ ص١٧٧، مادّة: (حدث).

(٤) منهاج البراعة: ج١/ ص٧٦-٧٧.

(٥) حدائق الحقائق: ج١ ص١٣٩

رابعًا- البحرانيّ:

قال: «المهاد: الفراش[1]، والأحداث المصائب[2] وتخصيصها بذلك عُرفيّ»[3].

خامسًا- الخوئيّ:

قال: «(**المَقْدِرَةِ**) بفتح الميم وحركات الدال كالقُدرة مصدر من قَدرَ عليه إذا قوى[4]، و(الأوصاب) جمع الوصب...، وأهرمه: إذا أضعفه من هرم هرمًا من باب تعب كبر وضعف، ورجلٌ هَرِمٌ كَكَتِف وامرأةٌ هَرِمَة[5]،(الأحداث) جمع الحدث بفتحتين وهو الأمور الحادثة[6]، وخُصّت في العرف بالنّوائب المتجدِّدة والمصائب الحادثة»[7].

سادسًا- مغنية:

قال: «السقف المرفوع: (السماء)[8]، والمهاد الموضوع: الأرض[9]، والأوصاب:

(١) الصحاح: ج٢/ ص ٥٤١، مادّة (مهد)، وورد قريب من هذا المعنى في: منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٣٠.
(٢) ينظر: المحكم والمحيط، ابن سيده: ج٣/ ص ٢٥٢، مادّة (حدث).
(٣) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٠.
(٤) ينظر: المصباح: ج٢/ ص ٤٩٢، مادّة (قدر).
(٥) ينظر: المصباح: ج٢/ ص٦٣٧، مادّة (هرم)، وورد قريب من هذا المعنى في نفحات الولاية، الشيرازيّ: ج١/ هامش ص١٤٢.
(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ج١/ ص٣٥١، مادّة (حدث)، لسان العرب، ابن منظور: ج٢/ ص١٣١، مادّة (حدث).
(٧) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٣٠.
(٨) الصحاح: ج٤/ ص١٣٧٥، مادّة (سقف).
(٩) ينظر: تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج٦/ ص١٢٧، مادّة (مهد).

المتاعب[1]، و(**تُهْرِمُهُمْ**): تجعلهم هَرِمِيَن»[2].

سابعًا- التستريّ:

قال: «(**وَيُرُوهُمْ**) بالضّم من الإراءة[3]»[4].

ثامنًا- الشيرازيّ:

قال: «(**أَوْصَابٍ**) من مادّة (وصب) بمعنى مرض مُزمِن، والواصب يُطلَق على الشيء الموجود دائمًا حسب المفردات[5]، وجاءت هنا بمعنى المتاعب والمشاكل والمعاناة[6].

(**تُهْرِمُهُمْ**) من مادّة (هرم) على وزن حرم...»[7].

المسألة الثانية: الإعراب:

أولًا- الخوئيّ:

قال: «(**آيَاتِ المَقْدِرَةِ**) بالإضافة وفي بعض النُّسخ (الآياتِ المقدرةَ بالتوصيف)، و(**مِنْ سَقْفٍ**) بيانٌ للآيات»[8].

---

(١) ينظر: مجمع البحرين: ج٢/ ص١٨١، مادّة (وصب).
(٢) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.
(٣) ينظر: تهذيب اللُّغة: ج١٥/ ص٢٣١، مادّة (رأى)، المحكم والمحيط، ابن سيده: ج١٠/ ص٣٤١، مادّة (رأى).
(٤) بهج الصباغة: ج٢/ ص٤٠.
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ: ص٨٧٢، مادّة (وصب).
(٦) ينظر: مجمع البحرين: ج٢/ ص١٨١، مادّة (وصب).
(٧) نفحات الولاية: ج١/ هامش ص١٤٢.
(٨) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٣٠.

ثانيًا- مغنية:

قال: «(**ومَعَايِشَ**) ممنوعٌ من الصرف»[1].

ثالثًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**»: الواو: حرف عطف، (**يُرُوهُمْ**): فعل مضارع منصوب بحذف النون، والواو ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل، و(هم) ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به أوّل، (**آيَاتِ**): مفعول به ثانٍ، وهو مضاف، (**المَقْدِرَةِ**): مضاف إليه مجرور، (**مِنْ سَقْفٍ**): جارّ ومجرور، (**فَوْقَهُمْ**): ظرف مكان، وهو مضاف، و(هم) ضمير متّصل في محلّ جرّ بالإضافة، (**مَرْفُوعٍ**): صفة لسقف مجرورة، (**وَمِهَادٍ**): الواو: حرف عطف، (**مِهَادٍ**): اسم معطوف على (سَقْفٍ) مجرور، (**تَحْتَهُمْ**): ظرف مكان، وهو مضاف، و(هم) ضمير متّصل في محلٍّ جرّ بالإضافة، (**مَوْضُوعٍ**): صفة لمهاد مجرورة، (**وَمَعَايِشَ**): الواو: حرف عطف، (**مَعَايِشَ**): اسم معطوف مجرور بالفتحة لأنَّه ممنوع من الصرف، (**تُحْيِيهِمْ**): فعل مضارع مرفوع بضَمٍّ مُقَدَّر، والفاعل ضمير مستتر، و(هم) ضمير متّصل في محل نصب مفعول به، والجملة نعت لـ (**مَعَايِشَ**)، (**وَآجَالٍ**): الواو: حرف عطف.

(**آجَالٍ**): اسم معطوف مجرور، (**تُفْنِيهِمْ**): فعل مضارع مرفوع بضَمٍّ مُقدَّر، والفاعل ضمير مستتر، و(هم) ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به، والجملة نعت لـ (**آجَالٍ**)، (**وَأَوْصَابٍ**): الواو: حرف عطف، (**أَوْصَابٍ**):

(١) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦.

اسم معطوف مجرور، (**تُهْرِمُهُمْ**): فعل مضارع مرفوع بالضَمِّ مُقدَّر، والفاعل ضمير مستتر، و(هم) ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به، والجملة نعت لـ (**أَوْصَابٍ**)، (**وَأَحْدَاثٍ**) الواو: حرف عطف، (**أَحْدَاثٍ**): اسم معطوف مجرور، (**تَتَابَعُ**): فعل مضارع مرفوع بالضَمِّ، والفاعل ضمير مستتر، (**عَلَيْهِمْ**): جارّ ومجرور متعلِّق بـ (**تَتَابَعُ**)، والجملة نعت لأحداث.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «ومن الأمراض ما هو سبب الهموم، والأمراض منها مفردة ومركّبة، وأجناس الأمراض المفردة ثلاثة: جنس الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وجنس الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء الآليّة، وجنس الأمراض المشتركة التي تعرض للمتشابهة الأجزاء وتعرض للآليّة بما هي آليّة، ويُقال له: تفرّق الاتصال، وانحلال المفرد.

وأمراض التركيب ينقسم إلى أمراض الخِلقة، وأمراض المقدار وأمراض العدد وأمراض الموضع. والعوارض النفسانيّة كالغضب والرَّوْع والفرح والحزن أسباب للهرم.

وأشدّ العوارض النفسانيّة (الهَمّ)؛ لأنّ الروح عند الهَمّ يتحرّك إلى جهتين في وقت واحد؛ فإنّه قد يعرض من الهَمّ غَضَبٌ وحُزْنٌ، لذلك قال النبيّ (عليه السلام): (**الهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ**)[1]»[2].

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٦٢٠، خصائص الأئمّة، الشريف الرضّي: ص١٠٤، وحسب هذه المصادر القول هنا للإمام عليّ (عليه السلام).

(٢) معارج نهج البلاغة: ص٧٢.

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «وأرى كلَّ واحدٍ منهم أممهم مقدوراتِ الله ممَّا ينتفع به عاجلًا وقِلّة صبرهم عنها، وممَّا يستضرّ به في الدنيا وقِلّة صبرهم عليها»[1].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «كذلك ليرشدهم إلى تحصيل مقدّمات تلك الأدلَّة والبراهين وموادّها وهي آيات القدرة الإلهيّة وآثارها؛ من سَقْفٍ فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصُنع وغرائب الحكم، ومِهَادٍ تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرّفون، ومعائش بها يكون قوامُ حياتهم الدنيا، وبلاغٌ لمدّة بقائهم لِما خُلِقوا له. وآجالٍ مُقدَّرة بها يكون فناؤهم ورجوعُهم إلى بارئهم، وأعْظِمْ بالأجل آية رادعة وتقديرًا جاذبًا إلى الله تعالى، ولذلك قال (صلّى الله عليه وآله):

(أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ)[2]، إلى غير ذلك من الأمراض الَّتي تُضعِف قواهم وتهرمهم، والمصائب الَّتي تتتابع عليهم فإنّ كلّ هذه الآثار موادُ احتجاج الأنبياء على الخلق؛ ليُنبِّؤنهم بصُدورها عن العزيز الجبّار (عَزَّ سُلطانُه) على أنّه هو الملك المطلق الذي له الخَلْقُ والأمر، وليُقرِّروا في أذهانهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم في الفطرة الأصليّة من أنّه سبحانه هو الواحد الحقُّ المتفرِّد باستحقاق العبادة، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾[3]، وقوله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ والْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي**

(١) منهاج البراعة: ج١/ ص ٨٣.
(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق: ج٢/ ص٧٥.
(٣) الأنبياء: ٣٢.

فِي البَحْرِ بِما يَنْفَعُ الناس وما أَنْزَلَ الله مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾[1]، وقوله تعالى: **﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وإِنَّا لَمُوسِعُونَ* والأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الماهِدُونَ*ومِنْ كلّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[2].

إلى غير ذلك من الآيات الدالَّة على احتجاج الخالق سبحانه على خَلْقه بألسنة رُسله وتراجمةُ وحيه، وجذبهم بهذه الألطاف إلى القُرب من ساحل عِزّته والوصول إلى حضرة قُدسه سبحانه وتعالى عمّا يشركون **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ الله لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**[3]»[4].

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «**(وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ)**؛ أي علامات القُدرة وشواهدها حتّى ينظروا إليها بنظر الدّقة والاعتبار، وإلّا فالأمارات المذكورة ممّا هي بمرأى ومَسْمَعٍ من كلّ أحد لا حاجةَ فيها إلى الإراءة كما هو ظاهر.

ثمّ أشار (عليه السلام) إلى ستِّ آياتٍ من تلك الآيات وبيَّنها بقوله: **(مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ)** كما قال سبحانه: **﴿وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ﴾**[5]، وقال: **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهادًا وَالْجِبالَ أَوْتادًا﴾**[6]، إلى أن قال: **﴿وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدادًا﴾**[7].

---

(١) البقرة: ١٦٤.
(٢) الذاريات: ٤٧-٤٩.
(٣) إبراهيم: ٣٤.
(٤) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٢-٢٠٣.
(٥) الطور: ٥.
(٦) النبأ: ٦-٧.
(٧) النبأ: ١٢.

وقد مضى في التذييل الثاني من تذييلات الفصل الثامن من فصول هذه الخطبة[1] ما يُوجِب زيادة البصيرة في المقام فتذكَّر، **(وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ)** نسبة الإحياء إلى المعايش أي المطعومات والمشروبات التي بها قوام الحياة، والإفناء إلى الآجال، والإهرام إلى الأوصاب والأمراض من قبيل الإسناد إلى السبب مجازًا على حَدِّ: أنبت الرّبيعُ البقلَ، **(وَأَحْدَاثٍ)** أي نوائب حادثة ومصائب متجدِّدة **(تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ)** وفي كلِّ واحدةٍ من الآيات المذكورة دلالة على أنّ للعالم صانعًا قادرًا يفعل فيه ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا رادَّ لقضائه، ولا دافعَ عن بلائه»[2].

خامسًا- مغنية:

قال: «**(ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ[3] وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ)**، وأيضًا من وظيفة الأنبياء أنْ يُرشدوا الناسَ إلى مذاهب الحياة المشروعة، ويُحذِّروهم من الحرام؛ لأنّ الدنيا -على آلامها وأحزانها- ماضيةٌ بهم إلى الزوال.

وبهذا يتبيّن معنى أنّ وظيفة الأنبياء هي الإنذار والتبشير، وأنّهم لا يملكون لأَحدٍ نفعًا ولا ضرًّا، وما زاد على ذلك من غرائب الأوصاف، وعجائب الصور فليس من الدين في شيء»[4].

---

(١) ينظر: منهاج البراعة، حبيب الله الخوئيّ: ج١/ ص٣٩٠-٣٩٨.

(٢) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٥١-١٥٢.

(٣) هكذا بالأصل: «ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ».

(٤) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٦٠.

سادسًا- التستريّ:

قال: «والخامس[1]... : **(الآيات)** هكذا في المصريّة[2]، والصواب: **(آيَاتِ)** كما في ابن أبي الحديد[3]، وابن ميثم[4]، والخطّيّة، ولأنّه مضاف، **(المَقْدِرَةِ)** وفي نسخة ابن ميثم (القدرة)[5].

(مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ[6] تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ)، قال تعالى حكاية عن نوح في دعوته قومه: **﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لله وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ الله سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشمس سِرَاجًا * وَالله أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾**[7].

﴿يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا* وَالله جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا* لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[8]، **(وَأَوْصَابٍ)** أي: أوجاع وأمراض **(تُهْرِمُهُمْ)**: أي تجعلهم هرمين، قال عمرو بن معد يكرب:

أشاب الرّأس أيّام طوال ... وهمّ ما تضمّنه الضّلوع[9].

---

(١) الخامس من أدلة وجوب الرسالة.
(٢) ينظر: نهج البلاغة، تحقيق: محمّد عبدة: ج١/ ص٢٤.
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، المعتزلّي: ج١/ ص١١٣.
(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، البحرانّي: ج١/ ص١٩٨.
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة، البحرانّي: ج١/ ص١٩٨، وفيه: «المُقْدِرَةِ» أيضًا.
(٦) (ومعائش): هكذا عند التستريّ ولكن وضعنا النص أعلاه من أصل الخطبة المعتمدة.
(٧) نوح:١٣-١٧.
(٨) نوح: ١٨-٢٠.
(٩) الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ج١/ ص٣٦٢.

وقال الجاحظ: قال أبو عبيدة: قيل لشيخ مرة: ما بقي منك؟ قال: يسبقُني مَنْ بين يدي، ويلحقُني مَنْ خَلفي، وأنسى الحديث، وأذكُرُ القديم، وأنعسُ في الملأ، وأسهرُ في الخلاء، وإذا قمتُ قَرُبَتِ الأرضُ مِنّي، وإذا قعدتُ تباعدتْ عَنّي[1].

(**وَأَحْدَاثٍ**) من الدهر، (**تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**) دفعة بعد دفعة، قال أبو الطفيل:

وَمَا شَابَ رَأسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ عَلَيَّ وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الوَقَائِعُ[2]

وقال ابن المعتز :

قَالَتْ: كَبِرْتَ وَشِبْتَ، قُلْتُ لَهَا: هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ[3]

وقال البحتري:

ما زال صرف الدهر يونس[4] **صفقتي حتّى رهنت على المشيب شبابي**[5]

وفيه أيضًا:

فهل الحادثات يا بن عويف تاركاتي ولبس هذا البياض[6]»[7].

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ج٢/ ص ٦٠، عيون الأخبار، ابن قتيبة: ج٢/ ص ٣٤٥.
(٢) البيت لأبي الطفيل عامر واثلة الكنانّي، وهو في ديوانه: ص٤١، وفيه: (شيّبته) بدل (شيّبتني).
(٣) البيت لعبد الله بن المعتز، وهو في ديوانه: ص٢٥٨.
(٤) (يُوكسُ) هكذا في: ديون البحتري، (يؤيس) هكذا في مروج الذهب.
(٥) ديوان البحتري: ص٢٩٠، مروج الذهب، المسعودي: ج٣/ ص٤٨٣.
(٦) ديوان البحتري: ص١٢٠٩، رسائل الشريف المرتضى: ج٤/ ص١٦٠.
(٧) بهج الصباغة: ج٢/ ص٤٠-٤١.

سابعًا- النقويّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**)، وهذه هي الفائدة الخامسة المترتبة على إرسال الرُّسل، وقد أشار (عليه السلام) فيها إلى أنّ الأنبياء (عليهم السلام) يذكُرون للناس الآيات الإلهيّة؛ والمقصود بها أعمّ من الآيات التكوينيّة والتشريعية، إلّا أنّ التكوّنيّات لمّا كانت أقرب إلى الحسّ والدرك بالنظر إلى أكثر الناس خصّ الآيات في المقام بها، وذلك لأنّ الشيء المحسوس لا يُمكن إنكاره، وكلّ ما ذكره إشارة إلى الآيات الكريمة القرآنيّة، وكلمة (**مِنْ**) في قوله: (**مِنْ سَقْفٍ**) بيانيّة ويمكن أن تكون للتّبعيض؛ لأنّ الآيات ليست منحصرة بما ذكره في المقام، بل هو بعض الآيات كما هو ظاهر.

فقوله (عليه السلام): (**مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ**): إشارة إلى ما قاله في كتابه الكريم: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾[2].

ثم قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿**تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ**﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ**﴾[4]، وقال الله تبارك وتعالى:

(١) الأنبياء: ٣٢.
(٢) ق: ٦.
(٣) ق:٨.
(٤) الرحمن: ٧.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿اللهُ الذي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشمس وَالْقَمَرَ كلّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[2].

فقوله (عليه السلام): (مِنْ سَقْفٍ) إشارة إلى أنّ السّماء بمنزلة السّقف لنا لأنه فوقنا، وكلّ فوق يُطلق عليه السّقف، وأمّا قوله (عليه السلام): (وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ) فالمقصود بها الأرضين السُّفلى؛ فإنّ المهاد جمع مهد والمهد عبارة عمّا تهيَّأ للصّبى ليسكن فيه؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إليه قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[3]، والمهاد جمعه، وهي المكان الممهّد الموطاء: يقال مهدّت لك كذا، أي هيأته وسويّته قال الله تعالى: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾[4]، فقوله (عليه السلام): (ومِهَادٍ) إلى آخره إشارة إلى ما قال الله تعالى: ﴿الذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ﴾[6]، ﴿الذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾[8]، وفي هذا الجملة إشارات رائقة ونكات فائقة

(١) الغاشية: ١٧-١٨.
(٢) الرعد: ٢.
(٣) مريم: ٢٩.
(٤) المدثر: ١٤.
(٥) الزخرف: ١٤.
(٦) البقرة: ١٧.
(٧) طه: ٥٣.
(٨) النبأ: ٦.

ينبغي التنّبيه عليها:

الأوّل: إن التعبير عن الأرض بالمهد اقتباسًا من القران لعلَّه إشارة إلى أنّ الأرض ليست بمتحرِّكة كما قال به بعضُ مَنْ لا خِبرةَ لَهُ مِنَ الماضِين؛ فإنّ عُلماء الهيئة كانوا في سابق الزمان متّفقين على سكون الأرض وحركة الشمس حولها، والهيئة الجديدة أثبتت خلافه بالدلائل الحِسِّيَّة القَطعيَّة؛ وعليها فالشمس ساكنة والأرض متحرِّكة حولها مثل سائر الكواكب، وسرعة حركة الأرض في هذا المدار في كلِّ ثانية ثلثا كيلومتر ونصف، وفي كلِّ دقيقة (١٨٣٠٠٠٠) كيلومتر، وفي كلِّ ساعة (١١١٨٠٠٠٠٠ كيلومتر)، ولها حركتان: حركة من الغرب إلى الشرق حول محورها وتُتِمّها في مدّة أربعٍ وعشرين ساعة وفائدتها تكوين اللَّيل والنَّهار، وحركةٌ حول محور الشمس تُتِمّها في مدّة ثلاثمائة وخمس وستّين يومًا (٣٦٥) فتقطع في اليوم الواحد على هذا الحساب أكثر من نصف مليون فرسخ.

هذا، وهذه الحركة الثابتة اليوم لها قد أثبتها القرآنُ وكلامُه (عليه السلام) المقتبس منه؛ لأنّ المهدَ في القرآن وكلامه (عليه السلام) الذي عبَّر عن الأرض به مرارًا يدلُّنا على أنّ الأرض ليست بساكنة بل متحرِّكة، كمّا أنّ المهد أيضًا كذلك؛ ألا ترى أنّ الشيء الذي لا يتحرّك لا يُطلِقون عليه المهد، فالحركة مأخوذة في مفهومه؛ ولهذا خَصُّوا المهدَ بالصَّبيّ فإنّه يحتاج في اطمينانه وسُكونه وقراره إلى حركة المسكن الذي يسكن فيه، وبهذا الاعتبار نُعبّر عنه بـ(المهد)؛ فالتَعبيرُ عن الأرض بـ(المهد) أدلُّ دليلٍ على حركتها وإلَّا لم يكن لهذه الاستعارة وجه كما لا يخفى .

الثاني: ما قال (عليه السلام): (مَهْدًا) بصيغة المفرد بل قال: (**مِهَادًا**) بصيغة الجمع؛ وذلك يدلّ على أنّ الأرض ليست بواحدة بل هي أكثر، وهو حقّ كما عرفتَ مرارًا من الآيات والآثار، والسماء أيضًا كذلك.

الثالث: قوله (عليه السلام): (**تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ**) يدلُّ على أنّ الله تعالى جعل الأرض كذلك؛ فإنّ الوضع يحتاج إلى الواضع، والواضع ليس إلّا الله كما شرحناه إجمالا في الخطبة الأولى. فراجع.

وأمّا قوله (عليه السلام): (**ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ** . .) إلى آخر ما قال (عليه السلام)، ففيه إشارة إلى سائر النِّعم التي قد أنعم الله بها علينا، وهي أربعة:

الأولى: المشار إليها بقوله: (**ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ**)؛ وذلك لأنّ الأرض وإن كانت دارَ قرارٍ لنا إلّا أنّه لا بُدّ لنا من الإعاشة عليها، والإعاشة لا تمكن إلّا بأمورٍ يمكن لنا التوصُّل إليها، إذ الأرزاق موجِبَة لإدامة الحياة، والله تبارك وتعالى قد مَنَّ علينا بعد خَلْقِ الأرض بجعل الموجِبَات للإعاشة من الغذاء والماء والهواء وسائر ما نحتاج إليه فيها، وكم من نعمةٍ ومنفعةٍ قد جعلها الله تعالى فيها بحيث لا يحتاج البشرُ إلى غيرها، وهذا من العجائب.

الثانية: المشار إليها بقوله (عليه السلام): (**وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ**) هي أيضًا من أكبر النِّعم؛ فإنّ الآجال التي تُوجِبُ فناءَ الساكنين عليها لو لم نُقدِّر لهم لا يمكن لهم التعيّش منها؛ وذلك لأنّ الآجال سببٌ للموت وفيه بقاء الاجتماع في الواقع، إذ لو لم يكن بين الموجودات فناءٌ ودثور من أوّل خَلْقِ الأرض إلى آخرها، كيف يمكن لهم تعيّش وحياة بل كانوا مضطرِّين من أكْلِ بعضهم بعضًا، مضافًا إلى أنّ كرة الأرض ما كانت كافيّةً لتلك الجمعيّة أبدًا، وثانيًا-

الآجال تُوجِب انتقال المقامات العالية والأملاك من بعضٍ إلى بعض وفيه فوائد كثيرة وهكذا، وقد أشار (عليه السلام) بهما -أعني المعايش والآجال- إلى ما قال الله تعالى فيهما.

فمن الأوّل قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الذي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿الذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[5]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ﴾[6].

(١) الحج: ٦٣.
(٢) الحج: ٦٥.
(٣) يس: ٣٣-٣٦.
(٤) يس: ٧١-٧٣.
(٥) يس: ٨٠.
(٦) البقرة: ١٦٤.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[4] والآيات فيها كثيرة.

الثالثة والرابعة: قولُه (عليه السلام): (**وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**) هذان أيضًا من لوازم السُّكون في الأرض، والأوصاب جمع وصب والوصب (السّقم اللَّازم)[5] على ما قال الراغب في مفرداته، والمعنى انّ الله تعالى جعل بقدرته الكاملة البالغة فيهم الامراض والأسقام التي تُهرمهم؛ لأنّ المرض سببٌ لفُتور البدن ونقصانه، والهرم ليس إلّا الفُتور في البدن وذلك مقدّمة للموت والفناء، وكذلك الأحداث المتتابعة فإنّها أيضًا سببٌ للضَعف، ولذلك ترى أنّ كلَّ مَن كانَ المرض والحوادث عليه أغلب وأكثر كان عُمره أقلّ، ومَن كان بالعكس بالعكس وهذا ظاهر، وفي قوله (عليه السلام): (**مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ**) مرفوع إلى قوله: (**وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**) إشارة

(١) الأعراف: ٣٤.
(٢) الأعراف: ١٨٥.
(٣) يونس: ١١.
(٤) النحل: ٦١.
(٥) المفردات في غريب القرآن: ص٥٢٤.

إلى أنّ الأوصاف المذكورة الأربعة أعني: (**وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**)، من لوازم الموجودات التي جُعلت على الأرض وتحت السماء فالموجودات التي ليست بساكنةٍ على الأرض لا تتّصفون بهذه الصفات كالملائكة والموجودات الملأ الأعلى وهو كذلك؛ فإنّ الملائكة وإنْ كانت لها أيضًا معايش وآجال وأحداث إلّا أنّها ليست كمعايشنا وأحداثنا وآجالنا وهو ظاهر، ولما كانت الموجودات الساكنة في الأرض مخلوقةً من حيث البدن منها سواء كانت إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا، فلا بُدّ من أن يكون معيشتها فيها طبقًا لقانون السنخيّة، وأمّا الملائكة فليست لهم سنخيّة مع الأرض وما فيها؛ ولذلك قال الله تعالى في حق الإنسان: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾[1]»[2].

ثامنًا- الشيرازيّ:

قال: «أشار الإمام (عليه السلام) إلى الهدف الخامس في استعراض الآيات الإلهيّة للناس في عالم الخِلقة، فقال (عليه السلام): (**وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ**) ثمّ يُشير (عليه السلام) إلى هذه الآيات، فيقول: (**مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**) والواقع هي أنّ هذه الأمور تُمثّل سلسلةً من أسرار الخِلقة في السماء والأرض وعوامل الحياة، وأسباب الفناء، والألم، والعناء والتي تُذكِّر كلُّ واحدةٍ منها الإنسان بالله سبحانه وتعالى، إضافة إلى الحوادث والوقائع التي تدعو الإنسان إلى اليقظة والاعتبار؛ وعليه فإنَّ الأنبياء يحملون

(١) طه: ٥٥.

(٢) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٦٤-٣٧١.

إلى الناس تعاليمَ ساميةً ومفاهيمَ نبيلةً من شأن كلٍّ منها رَفْعُ المستوى العلمي والمعرفي لدى الإنسان أو إيقاظه من غفلته وجعله يتحلَّى بالفِطنة والذكاء»[1].

تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشِدُ قوله (عليه الصلاة والسلام): «**وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**» -فضلًا عمّا أفاده الشرّاحُ- إلى أمورٍ؛ منها:

أولًا- نَسَقِيّةُ النصّ الشريف في بيان العِلّة في بَعْثِ الأنبياء (عليهم السلام).

لم يزل النصّ الشريف في بيانه للعلّة في بَعْثِ الأنبياء (عليهم السلام)، وبيان مهامّهم، وتكليفهم الشرعيّ في تحقيق الخلافة في الأرض، والتي لأجلها سجد الملائكةُ كلُّهم أجمعون إلى آدم (عليه السلام)، كما مرَّ مفصَّلًا.

ومن ثَمّ يُحدّد لنا كلامه (عليه السلام) في نسقية العرض البياني لمهامهم عبر الإشارة إلى مهمَّةً جديدة وآليَّةً أُخرى في أدائهم (عليهم السلام) مع الناس؛ وهي أنّهم: «**يُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ**».

ثانيًا- دلالة قوله (عليه السلام): «وَيُرُوهُمْ» وبيان أثره في عقيدة توحيد الأفعال.

مما مرَّ بيانه في حقل الإعراب والشرح: أنّ الفعل المضارع «**يُرُوا**» قُرأ بالضمّ ليدلَّ على الإراءة[2]، أي بيان أنَّ مهمّة الأنبياء (عليهم السلام)

(١) نفحات الولاية: ج١/ ص١٤٢.

(٢) ينظر: تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج١٥/ ص٢٣١، مادّة (رأى)، المحكم والمحيط، ابن سيده: ج١٠/ ص٣٤١، مادّة (رأى).

في هذه المرحلة من التبليغ تنحصر بخطاب العقول عبر حاسّة البصر والتفكّر بالآثار التي يبصرونها، ويتعايشون معها، والتي حدّدها النصّ الشريف بستِّ آياتٍ؛ أي أنّ هذه الآيات الستّ متعلّقة بحاسّة البصر، ولذا أسبقها (عليه السلام) بـ(من) التبعيضيّة، وليست البيانيّة كما ذهب إليه بعض الشرَّاح.

فمن الآيات الإلهيّة ما لا يُدرَك بالبصر ويُرى بالعين، وإنّما بالسمع كصوت البرق أو باللَّمس بما يتحسَّسه الإنسانُ من الخشونة والنّعومة، أو بالشم أو بالذوق، أو بالمشاعر والأحاسيس كالخوف والحزن والألم والفرح، وغيرها من الآيات، التي لا تتحقّق بفعل الإراءة، كما يدلّ عليه لفظ: «**وَيُرُوهُمْ**».

إلّا أنّه (عليه السلام) حدّد البصر لكونه الأكثر استخدامًا، والأدوم ملازمةً للأثر، أي الآيات، ليأخذ العقلَ إلى الإقرار بتوحيد الله تعالى عبر الأثر الذي يراه في حياته، وهو ما يُعرَف في علم الكلام بـ«التوحيد في الأفعال»:

وهو أن يعتقد الإنسان أن الله تعالى هو المؤثِّر في عباده وما خلق من الخلق، ولا قدّرة لغيره في خَلْقِ الأثر وأعماله في الأشياء، وقد دارت الحياة منذ آدم (عليه السلام) في الدعوة إلى الإلوهيّة عَبر الاعتقاد في أنَّ الله تعالى هو المؤثِّر القادر، وأنّ الخَلْقَ محتاجٌ إليه جلّ شأنُه، وعاجزٌ بنفسه، مفتقرٌ إلى ربِّه.

ومن هنا، نشأت الوثنيّة عبر الأفكار الضالّة، والشُبُهات الذهنية، واتّباع الهوى بفعل الاعتقاد بالمؤثِّر في غير الله أو إشراكه في الفعل ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[1].

(١) الأنعام: ١٠٠.

فسُمِّيَت بأسماء الأثر؛ كآلهة الخصب، والحرب، والموت، والمطر، والخوف، والسلم، وغيرها من الصفات والأسماء، فقُدِّمَت لها القرابين لاستجلاب أثرها، أو الأمن من تأثيرها وغضبها[1].

ومن ثَمَّ نجد القرآن الكريم يُقدّم صورًا متعدّدةً من حياة الأنبياء (عليهم السلام) في ترسيخ التوحيد عبر الاعتقاد بأنّ الله هو المؤثِّر في الأشياء، ولاسيّما ما بيَّنه القرآن الكريم في حياة إبراهيم (عليه السلام) الذي شهد تنوُّعًا ملحوظًا في تعدُّد الوثنيّة وانصراف الناس إلى الاعتقاد بها عبر الوهم بأنّها المؤثِّرة في حياتهم وأنّها المتصرّفة في جَلب النفعِ، ودَفعِ الضرَر -والعياذ بالله تعالى- فيقول عَزَّ شأنُه:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشمس مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

ثم يتبعه الله تعالى بآيتين وكلتاهما تَصُبّان في منهل التوحيد والاعتقاد بأنّ الله جلّ شأنُه هو المؤثِّر في خَلْقِه ولا مؤثِّر غيرُه، وأمّا ما يقوم به الإنسانُ من الآثار فهي من التفويضِ الإلهيّ في الأشياء؛ كجعْلِه سبحانه

(١) لمزيد من الاطلاع، ينظر: تكسير الأصنام بين تصريح النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وتعتيم البخاري، دراسة في الميثولوجيا والتاريخ ورواية الحديث، السيد نبيل الحسني، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، أثر الميثولوجيا العالمية في تكوين عقائد العرب قبل الإسلام في ضوء التاريخ ونهج البلاغة، السيّد نبيل الحسنيّ، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة- العتبة الحسينيّة المقدّسة.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

النارَ حارقةً ومُضيئةً، وهو ما جاء في عقب الآية السابقة من البيان، قال تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فالآيتان تدلّان على أن الله تعالى هو المؤثِّر وأنّ الإنسان بما ينظر من الآيات -أي الآثار- هي كائنة بمُوجِدها وخالقها وهو الله تعالى، وأنّ ما يقوم به الإنسان من القدرة والتأثير فهو من الله تعالى، فهو الذي سخّرها للإنسان كما سخرها في غيره ممّا خَلَق؛ كتسخيره سبحانه الأرضَ والبحرَ وما يجري فيه، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾[2].

(١) البقرة: ٢٥٩-٢٦٠.
(٢) الحج: ٦٥-٦٦.

ثالثًا- تسلسلُ النصِّ الشريف في عَرضِ مراتب التوحيد.

إنّ النسق العام لخطبة التوحيد هو عَرْضُها لمراتب التوحيد من الأعلى إلى الأدنى، فقد بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمرتبة الأولى، وهي:

١ ـ توحيد الذات.

فقال: «**الْحَمْدُ لله الذي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَه القَائِلُونَ**» إلى قوله: «**ووَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِه**».

٢ـ توحيد الصفات.

ثُمّ ينتقل إلى توحيد الصفات، فيقول (عليه السلام): «**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه**» إلى أن يقول: «**مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِه ولَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِه**».

٣ـ توحيد العبادة.

ثُمّ ينتقل إلى توحيد العبادة، فيقول (عليه السلام): «**ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ العُلَا، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِه، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ ورُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ**» إلى أن يقول: «**ولَا يَحُدُّونَه بِالأَمَاكِنِ ولَا يُشِيرُونَ إليه بِالنَّظَائِرِ**».

٤ـ توحيد الأفعال «الآثار».

ثم ينتقل (عليه السلام) إلى توحيد الأفعال -وهو مورد البحث- وقد جعله من بين مهامِّ الأنبياء (عليهم السلام) كما مرّ بيانُه، فضلًا عن أثره في بيان البرهان الكونيّ في التوحيد.

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المطلب الثامن: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ».

اشتمل اللَّفظُ الشريف على جملةٍ من الحقول المعرفية؛ كاللُّغة والإعراب والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- الراونديّ:

قال: «(المَحَجَّة: جادة الطريق)[1]»[2].

ثانيًا- الكيذريّ:

قال: «(**أو حُجَّة لَازِمَةٍ**): إشارة إلى من يقوم مقام الرسول، (**أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**): أي طريقة، وعنى بها المعقولات والسُنن»[3].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «الحُجَّة: ما يحجّ به الإنسان غيرَهُ؛ أي يغلبه به[4]،والمَحَجَّة: جادّة الطريق»[5].

---

(١) الصحاح: ج١/ ص٣٠٤، مادّة (حجج)، وورد هذا المعنى في: شرح نهج البلاغة، البحرانيّ: ج١/ ص٢٠٠، منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٥٤، بهج الصباغة، التستريّ: ج٢/ ص٤١.

(٢) منهاج البراعة: ج١/ ص ٧٧.

(٣) حدائق الحقائق: ج١ ص١٤٠

(٤) ينظر: العين:ج٣/ ص١٠، مادّة (حج)، تهذيب اللُّغة: ج٣/ ص ٢٥١، مادّة (حج)، الصحاح: ج١/ ص٣٠٤، مادّة (حجج)، وورد هذا المعنى في: منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٥٣.

(٥) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٠

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «النبيّ: فعيل بمعنى الفاعل وهو مشتقّ من النّبأ وهو الخبر، ونَبَأ ونَبَّأ وأَنْبَأ كلُّها بمعنى: أخبر، والنبيُّ مُخبِرٌ عن الله تعالى[1]، وقلبوا فيه الهمزة كما في الذُرّية حسبما مرّ في الفصل السابق.

وعن شارح المقاصد: (النبوَّة هو كون الإنسان مبعوثًا من الحقِّ إلى الخَلْق، فإن كان النبيّ مأخوذًا من النّباوة وهو الارتفاع لعُلُوّ شأنه وارتفاع مكانه، أو من النبيّ بمعنى الطريق لكونه وسيلةً إلى الحقّ، فالنبوَّة على الأصل كالأُبوَّة، وإن كان من النّبأ بمعنى الخبر لإنبائه عن الله تعالى فعلى قَلْبِ الهمزة واوًا ثمّ الإدغام كالمروّة)[2].

وقال في المحكيّ عنه: (النبيّ هو إنسانٌ بعثهُ الله لتبليغ ما أوحيَ إليه، وكذا الرسول، وقد يَخُصُّ بِمَنْ له شريعة وكتاب فيكون أخصَّ مِنَ النبيّ، واعتُرض عليه بزيادة عددِ الرُّسل على الكُتب، وربّما يُفرَّق بأنّ الرسول مَن لهُ كتابٌ أو نسخٌ لبعض أحكام الشريعة السابقة، والنبيّ قد يَخلو عن ذلك كيوشع (عليه السلام).

وفي كلام بعض المعتزلة: أنّ الرسول صاحب الوحي بواسطة المَلَك، والنبيّ هو المخبِر عن الله بكتابٍ، أو إلهامٍ، أو تنبيهٍ في منام)[3]، والتفصيل في ذلك المقام موكولٌ إلى الكتب الكلاميّة، ومَن أراد اقتباس النور في هذا الباب من كلام الأئمّة فعليه بالرجوع إلى باب الفرق بين الرسول والنبيّ والمحدّث، وهو

(١) ينظر: الصحاح: ج١/ ص٧٤، مادّة (نبأ)، المصباح المنير: ج٢/ ص ٥٩١، مادّة (نبو).
(٢) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازانيّ: ج٢/ ص١٧٣.
(٣) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازانيّ: ج٢/ ص١٧٣.

ثالثُ أبواب كتاب الحُجَّة من الكافي[1]، و(**الحُجَّة**) بالضمّ...، و(**المَحَجَّة**) بفتح الميم...»[2].

المسألة الثانية: الإعراب:

أولًا- الخوئيّ:

قال: «الظاهر أنّ كلمة (أو) في قوله (عليه السلام): (**أَوْ كِتَابٍ**)، (**أَوْ حُجَّة**)، (**أَوْ مَحَجَّة**) لمنع الخُلوّ؛ إذ الانفصال الحقيقيّ كمنع الجمع لا يمكن إرادته، وسياق الكلام هو منع الخلوّ كما يدلّ عليه قوله: (**وَلَمْ يُخْلِ الله**) صريحًا، ويمكن جعلها بمعنى: الواو نظرًا إلى دلالة (**وَلَمْ يُخْلِ**) صراحةً على منع الخُلوّ، فلا حاجة إلى جعلها لذلك، فافهم»[3].

ثانيًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**»: (**وَلَمْ**): الواو حرف عطف، **لَمْ**: حرف نفي وجزم، (**يُخْلِ**): فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة، (**الله**): لفظ الجلالة فاعل مرفوع، (**سُبْحَانَهُ**): مفعول مطلق منصوب، وقيل نائب عن المفعول المطلق، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل في محلّ جرّ بالإضافة، (**خَلْقَهُ**): مفعول به منصوب، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل في محلّ جرّ بالإضافة، (**مِنْ نَبِيٍّ**): جارّ ومجرور متعلّق بـ (يُخْلِ)، (**مُرْسَلٍ**): صفة لـ(نبيّ) مجرورة، (**أَو**):

(١) ينظر: الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص١٧٦-١٧٧.
(٢) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٥٣
(٣) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٥٤.

حرف عطف، (**كِتَابٍ**): اسم معطوف على (نبيّ) مجرور، (**مُنْزَلٍ**): صفة لـ(كتاب) مجرورة، (**أَوْ**): حرف عطف، (**حُجَّة**): اسم معطوف على (نبيّ) مجرور، (**لَازِمَةٍ**): صفة لـ (**حُجَّة**) مجرورة، (**أَوْ**): حرف عطف، (**مَحَجَّة**): اسم معطوف على (نبيّ) مجرور، (**قَائِمَةٍ**): صفة لـ(**مَحَجَّة**) مجرورة.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح:

أولًا- الراونديّ:

قال: «قوله: (**أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ**) إشارة إلى مَن يقوم مقام الرسول، (**أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**) هي المعقولات والسُنن»[1].

«ثم قال: وما أخلى الله الخلق قطّ من رسول أو وصيّ له من كتاب وسنة»[2].

ثانيًا- المعتزليّ:

قال: «ومنها[3] أن يُقال: إلى ماذا يُشير بقوله: (**أَوْ حُجَّة لاَزِمَةٍ**)؟ هل هو إشارة إلى ما يقوله الإماميّة من أنَّه لا بُدّ في كلّ زمان من وجود إمام معصوم؟

الجواب: إنَّهم يفسِّرون هذه اللَّفظة بذلك، ويُمكن أن يكون المراد بها حُجَّة العقل»[4].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «قوله: (**وَلَمْ يُخْلِ الله سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ**) إلى قوله: (**وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**).

(١) منهاج البراعة: ج١/ ص٧٧.
(٢) منهاج البراعة: ج١/ ص٨٤.
(٣) أي من (الأشياء التي يُسأل عنها في الفصل) بحسب الشارح.
(٤) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١١٥.

أقول: المقصود الإشارة إلى بيان عناية الله سبحانه بالخلق؛ حيث لم يُخلِ أُمّةً منهم مِن نبيّ مرسل يجذبهم إلى جناب عزّته كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[1]، وكتاب مُنزَلٍ يدعوهم إلى عبادته، ويُذكِّرهم فيه منسيَّ عهده، ويُتلى عليهم فيه أخبار الماضين والعِبَر اللّاحقة للأوّلين، ويحتجّ عليهم فيه بالحُجَج البالغة والدلائل القاطعة، ويوضّح لهم فيه أُمور نظامهم، ويُنبِّههم على مبدئهم ومعادهم، والانفصال هاهنا انفصال مانع من الخُلوِّ كما هو مُصَرَّحٌ به»[2].

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «اعلم أنّه (عليه السلام) بعد ما نبّه بخَلْقِةِ آدمَ (عليه السلام)، وتفصيلَ ما جرى عليه من إسجاد الملائكة له، وإسكانه في الجنّة، واجتنائه من الثمرة المنهيّة، وإهباطه إلى الأرض واصطفاء الأنبياء من وُلده؛ لإرشاد الخلق وهداية الأنام، أشار (عليه السلام) إلى العناية الكاملة لله سبحانه بالخَلْقِ من عدم إخلائه أمّةً منهم من نبيّ هادٍ لهم إلى المصالح، ورادعٍ لهم عن المفاسد، أو كتابٍ مُرشدٍ إلى الخيرات والحسَنات، ومانعٍ عن الشرور والسيِّئات؛ وذلك كلُّه لإكمال اللّطف وإتمام العناية، فقال (عليه السلام): (**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ**)، وهذا ممّا لا ريب فيه، ولا بُدّ من بيان الحاجة إلى بَعثِ الرُّسل، وإقامة البرهان على اضطرار الناس إليه، وأنّه لا بُدّ في كلّ زمانٍ من حُجَّة معصوم عالمٍ بما يحتاج إليه الخَلْق، وقد دلَّلوا على ذلك في الكتب الكلاميّة بالبراهين

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٣.

العقليّة والنقليّة، ونحن نذكر منها هنا وجهًا واحدًا لاقتضاء المقام، وذلك موقوف على رسم مقدِّماتٍ:

الأولى: لأنّ لنا خالقًا صانعًا قادرًا على كلّ شيء.

الثانية: إنّه سبحانه منزَّهٌ عن التجسّم والتعلُّق بالموادّ والأجسام، وعن أن يكون مبصَرًا أو محسوسًا بإحدى الحواسِّ.

الثالثة: إنّه تعالى حكيم عالم بوجوه الخير والمنفعة في النظام وسبيل المصلحة للخلائق في المعيشة والقوام والبقاء والدوام.

الرابعة: إنّ الناس على كثرتهم محتاجون في معاشهم ومعادهم إلى مَن يُدَبّر أُمورهم ويُعلِّمهم طريقَ المعيشة في الدُنيا والنجاة من العذاب في العُقبى؛ وذلك لأنّ من المعلوم أنَّ نوع الإنسان مدنيٌّ بالطبع؛ بمعنى أنّه لا بُدّ في بقاء النوع إلى اجتماع كلّ واحدٍ من الأفراد مع الآخر يستغني به فيما يحتاج إليه من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ونحوها، فيكون هذا يطحن لهذا، وذلك يبني لذلك، وذلك يَخيط لآخر وهكذا، فمن ذلك احتاجوا إلى بناء البلاد واجتماع الآحاد، واضطرّوا إلى عقد المعاملات.

وبالجملة: لا بُدّ في بقاء الإنسان من الاجتماع والمعاونة، والتعاون لا يتمّ إلّا بالمعاملة، ولا بُدّ في المعاملة من قانون عدل، إذ لو تُرِكَ الناسُ وآراؤهم في ذلك لاختلفوا فيه، فيرى كلّ أحد منهم ما له عدلًا وما عليه ظلمًا وجورًا؛ نظرًا إلى أنّ كلّ أحد بالذّات والطبع طالبٌ لجلب المنفعة لنفسه ودفع المضرّة عن نفسه كما هو واضح، فعُلِمَ وجه الحاجة في المعاملات إلى القانون العدل.

ولا بُدّ لذلك القانون من مُقنِّنٍ ومُعدِّلٍ ولا يجوز أن يكون ذلك المُعدِّل مَلَكًا؛ بل لا بُدّ وأن يكون بشرًا، ضرورة أنّ المَلَك لا يمكن رؤية أكثر الناس له؛ لأنّ قواهم لا يقوى على رؤية المَلك على صورته الأصلية، وإنّما رآهم الأفراد من الأنبياء بقوتهم القدسيّة، ولو فُرِضَ أنْ يتشكَّل بحيث يراه جميعُ الخلق كان ملتبسًا عليهم كالبشر كجبرئيل في صورة دِحْية، ولذلك قال سبحانه: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾[1]، ولا بُدّ أن يكون المعدّل له خصوصيّة ليست لسائر الناس؛ حتّى يستشعر الناس فيه أمرًا لا يوجد لهم فيتميّز به منهم، فيكون له المعجزات التي أخبرنا بها، والحاجة إلى هذا الإنسان في بقاء نوع البشر أشدّ من كثيرٍ من المنافع التي لا ضرورة فيها للبقاء؛ كإنبات الشعر على الحاجبين، وتقعير الأخمص للقدمين، وما يجرى مجراهما من منافع الأعضاء، التي بعضها للزينة، وبعضها للسهولة في الأفعال والحركات، ووجودُ هذا الإنسان الصالح لأن يُشرِّع ويُعدِّل ممكنٌ، وتأييده بالمعجزات الموجِبة لإذعان الخلق له أيضًا ممكن، فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هذه التي هي أصلها وعُمدتها.

فإذا تمهّدتْ هذه المقدّمات فثبت وتبيّن أنّه واجب أنْ يوجد نبيّ، وأنْ يكون إنسانًا، وأن يكون له خصوصيّة ليست لساير الناس؛ وهي الأمور الخارقة للعادات، ويجب أن يسنّ للناس سُننًا بإذن الله وأمره ووحيه وإنزال المَلك إليه، ويكون الأصل الأوّل فيما يسنّه تعريفَه إيّاهم أنّ لهم

(١) الأنعام: ٩.

صانعًا قادرًا واحدًا لا شريك له، وأنّ النبيّ عبدُه ورسولُه، وأنّه عالم بالسرّ والعلانيّة، وأنّه من حقِّه أن يُطاع أمرُه، وأنّه قد أعدّ للمطيعين الجنّة وللعاصين النار؛ حتّى يتلقّى الجمهور أحكامَهُ المُنزَلة على لسانه من الله والملائكة بالسمع والطاعة.

وإلى هذا البرهان أشار الصادق (عليه السلام) فيما رواه في الكافي بإسناده: (عن هشام بن الحكم عنه (عليه السلام): أنّه قَالَ لِلزِّنْدِيقِ الذي سَأَلَه مِنْ أَيْنَ أَثْبَتَّ الأَنْبِيَاءَ والرُّسل؟ قَالَ: **إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا وعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مُتَعَالِيًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشَاهِدَه خَلْقُه ولَا يُلَامِسُوه فَيُبَاشِرَهُمْ ويُبَاشِرُوه ويُحَاجَّهُمْ ويُحَاجُّوه ثَبَتَ أَنَّ لَه سُفَرَاءَ فِي خَلْقِه يُعَبِّرُونَ عَنْه إِلَى خَلْقِه وعِبَادِه ويَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ومَنَافِعِهِمْ ومَا بِه بَقَاؤُهُمْ وفِي تَرْكِه فَنَاؤُهُمْ، فَثَبَتَ الآمِرُونَ والنَّاهُونَ عَنِ الحَكِيمِ العَلِيمِ فِي خَلْقِه، والمُعَبِّرُونَ عَنْه (جَلَّ وعَزَّ) وهُمُ الأَنْبِيَاءُ (عليه السلام) وصَفْوَتُه مِنْ خَلْقِه، حُكَمَاءَ مُؤَدَّبِينَ بِالْحِكْمَةِ، مَبْعُوثِينَ بِهَا، غَيْرَ مُشَارِكِينَ للناس عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الخَلْقِ والتَّرْكِيبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، مُؤَيَّدِينَ مِنْ عِنْدِ الحَكِيمِ العَلِيمِ بِالْحِكْمَةِ، ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كلّ دَهْرٍ وزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِه الرُّسل والأَنْبِيَاءُ مِنَ الدلائل والْبَرَاهِينِ لِكَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُ الله مِنْ حُجَّة، يَكُونُ مَعَه عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِه، وجَوَازِ عَدَالَتِه)**[1].

هذا، وقال بعض شُرّاح الكافي في شرح قوله (عليه السلام): (**ثُمَّ ثَبَتَ**

(١) الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص ١٦٨.

ذَلِكَ فِي كلّ دَهْرٍ وزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِه الرُّسل والأَنْبِيَاءُ مِنَ الدلائل والْبَرَاهِينِ: يعني أنّه ثبت وجود النبيّ في كلّ وقتٍ من جهة ما أتوا به من المعجزات وخوارق العادات، كأنّ قائلًا يقول: إنّ الذي ذكرته من البرهان قد دلّ على حاجة الناس في كلّ زمان بوجود النبيّ، وأنّه يجب من الله بَعْثُه الرُّسل والأنبياء وإرسالُهم؛ ولكن من أيِّ سبيلٍ تعلم الناسُ النبيّ ويصدق بنبوّته ورسالته؟ فأجيب بأنّه ثبت ذلك عليهم بمشاهدة ما أتت به الرُّسل والنبيّون من الدلائل والبراهين؛ يعني المعجزات الظاهرة منهم، وهي المراد هاهنا بالدلائل والبراهين؛ إذ الناس لا يُذعنون إلّا بما يشاهدونه.

وقوله (عليه السلام): **لِكَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُ الله مِنْ حُجَّة، يَكُونُ مَعَه عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِه، وجَوَازِ عَدَالَتِه**، تعليل متعلِّق بقوله: **ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كلّ دَهْرٍ**، ووجه التعليل أنّ ما دامت الأرضُ باقيةٌ والناسُ موجودينَ فيها فلا بُدّ لهم من حُجَّة لله عليهم يقوم بأمرهم ويهديهم إلى سبيلِ الرَّشاد وحُسنُ المعاد؛ وهو الحُجَّة الظاهرة، ولا بُدّ أن يكون معه علمٌ بالله وآياتهِ يدلُّ على صِدْق مقالته ودعوَته للناس وعلى جريان حُكمه عليهم وجواز عدالته فيهم، وهو الحُجَّة الباطنة)[1] انتهى.

وبه ظهر الوجه في عدم إخلائه سبحانه خَلْقَهُ من نبيّ مُرسل على ما صرّح به الإمام (عليه السلام)، كما ظهر وجه قوله (عليه السلام): (**أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ**) أي لازمة على الخلق، (**أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**) أي طريقة عدل يقفون عليها ولا يميلون عنها يمينًا ويسارًا، والمراد بها هنا هي الشريعة، كما قال

(١) شرح أصول الكافي، صدر الدين الشيرازيّ: ج٢/ ص٤١٨-٤١٩.

سبحانه: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجًا**﴾[1]، وقال: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا**﴾[2]، ثُمّ إنّ الحُجَّة قد تُطْلق ويُراد بها الكتاب، وقد تُطلق على الإمام المعصوم الذي يكون مقتدى للخلائق يأتمّون به، ويتعلَّمون منه سبيلَ الهدى وطريق التقوى، نبيًّا كان أو وصيًّا، وهو المراد منها فيما رواه في الكافي بإسناده:

(عن أبي إسحاق عمّن يثقُ به من أصحاب أمير المؤمنين، أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: **اللهمَّ إنَّكَ لَا تُخْلِي أَرْضَكَ مِنْ حُجَّة لَكَ عَلَى خَلْقِكَ**)[3]، يعني أنّك بلُطفك وجُودك على عبادك لا تخُلي أرضَكَ من حُجَّة لك عليهم؛ ليهتدوا به سبيلك، ويسلكوا به سبيلَ قُربك ورحمتك، وينجو به عن معصيتك وعقابك.

وقد تُطْلَقُ ويُراد بها العقل؛ فإنّه حُجَّة لله على الناس في الباطن، كما أنّ النبيّ والإمام حُجَّة في الظاهر، وقد وردت به الأخبار المستفيضة عن أئمّتنا (عليهم السلام).

إذا عرفتَ ذلك فنقول: الظاهر؛ بل المتعيّن أنّ المراد بها هنا هو الإمام المعصوم؛ أعني الوصيّ بخصوصه، لعدم إمكان إرادة النبيّ والكتاب لسبق ذكرهما، وعدم إمكان إرادة العقل؛ لأنّ حُجّيته منحصرة في المستقلّات العقليّة لا مجال له في غيرها، فلا يعرف الحقّ من الباطل في الأمور الّتي عجزت عن إدراكها عقولُ البشر بأفكارها، وإنّما يعرفها الإمام بنور

(١) المائدة: ٤٨.
(٢) الشورى: ١٣.
(٣) الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص١٧٨.

الإلهام فلا يتمّ اللُّطف منه تعالى على خَلْقه بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إلّا بوجوده (عليه السلام) فيهم.

وبذلك ظهر فساد ما توهّمه الشّارحُ المعتزليّ من جعله الحُجَّة في العبارة حُجَّة العقل حيث قال: (ومنها أنْ يُقال: إلى ماذا يشير (عليه السلام) بقوله: **(أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ)**، هل هو إشارة إلى ما يقوله الإماميّة من أنّه لا بُدّ في كلّ زمان من وجود إمام معصوم؟ الجواب: إنّهم يُفَسِّرون هذه اللَّفظة بذلك، ويُمكن أنْ يكون المراد بها حُجَّة العقل)[1] انتهى.

وجه الفساد ما ذكرنا، ونزيد توضيحًا ونقول: إنّ لله سبحانه حُجّتين: داخليّة وخارجيّة، والناس: إمّا أهلُ بصيرة عقليّة أم أهل حجاب، فالحُجَّة على أهل البصيرة إنّما هي عقولهم الكُليَّة العارفين بها بالمصالح والمفاسد الكامنة الواقعيّة، فلا حاجة لهم إلى اتِّباع الحُجَّة الخارجيّة؛ بل حُجَّة الله عليهم بصيرتُهم ونورُ عقلِهم وهُداهم، وأمَّا أهلُ الحجاب وذو العقول الناقصة فالحُجَّة عليهم إنّما هي الخارجيّة، لعدم إحاطة عقولهم بالجهات المحسِّنة والمقبِّحة، فلا يكمل اللُّطف في حقّهم إلّا بقائدٍ خارجيّ يتَّبعون به؛ إذ الأعمى يحتاج في قطع السبيل إلى قائد خارجيّ يتبعه تقليدًا في كلّ قَدم، وهو واضح.

فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّ المراد بالحُجَّة في كلامه (عليه السلام) هو الإمام المعصوم كما قد ظهر ممّا بيّناه هنا وفيما سبق في شرح قوله: **(مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ)**، لزوم وجود الحُجَّة في الخلق، لمكان الحاجة، وملخَّص ما ذكرناه هنا وسابقًا:

(١) شرح نهج البلاغة، المعتزليّ: ج١/ ص ١١٥.

إنّ نظام الدنيا والدين لا يحصل إلّا بوجود إمامٍ يقتدي به الناس، ويأتمّون به، ويتعلَّمون منهُ سبيلَ هُداهم وتقواهم، والحاجة إليه في كلّ عصرٍ وزمانٍ أعظم وأهمّ من الحاجة إلى غذائهم وكساهم وما يجري مجراهما من المنافع والضرورات، فوجب في العناية الربَّانيّة أنْ لا يترك الأرض ولا يدع الخَلقَ بغير إمامٍ نبيًّا كان أو وصيًّا، وإلَّا لزم أحد الأمور الثلاثة:

إمّا الجهل وعدم العلم بتلك الحاجة، أو النَقْص وعدم القُدرة على خلقه، أو البخل والضّنة بوجوده، والكلُّ محالٌ على الله سبحانه، هذا، ويطابق كلام الإمام (عليه السلام) ما رواه في الكافي عن: (عليّ بن إبراهيم، عن محمّد ابن عيسى، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال: **والله مَا تَرَكَ الله أَرْضًا مُنْذُ قَبَضَ آدَمَ (عليه السلام) إلّا وفِيهَا إِمَامٌ يُهْتَدَى بِه إِلَى الله، وهُوَ حُجَّتُه عَلَى عِبَادِه، ولَا تَبْقَى الأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ حُجَّة لله عَلَى عِبَادِه**)[1].

(وعن أبي بصيرٍ، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: **إِنَّ اللهَ أَجَلُّ وأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ الأَرْضَ بِغَيْرِ إِمَامٍ عَادِل**)[2].

وأيضًا: (عن أبي بصيرٍ، عن أحدهما (عليه السلام)، قال: قال: **إِنَّ اللهَ لَمْ يَدَعِ الأَرْضَ بِغَيْرِ عَالِمٍ ولَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُعْرَفِ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ**)[3]؛ يعني في الأمور التي تعجزُ عن إدراكها العقولُ حسبما مرَّ سابقًا.

(١) الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص١٧٨-١٧٩.
(٢) الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص ١٧٨.
(٣) الكافي: ج١/ ص ١٧٨.

وفي الأخبار الكثيرة المستفيضة، بل القريبة من التواتر المعنويّ المرويّة في الكافي، وعلل الشرائع، وإكمال الدين، ورجال الكشيّ وغيرها، أنّ الأرض لو بَقِيَتْ بغير إمامٍ لساخت[1]، يُقال: ساختِ الأرضُ بهم: انخسفتْ، والمرادُ به في الأخبار إمّا غوصها في الماء حقيقة، أو كنايةً عن هلاك البشر وذهاب نظامها؛ كما نبّه عليه المحدّث المجلسيّ (طاب ثراه) في مرآة العقول[2]»[3].

خامسًا- مغنية:

قال: «**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**، لا تقومُ الحُجَّة لله على خلقه إلّا بعد البيان منه تعالى، والمعصية من العبد، وليس من الضروري أن يكون البيان من رسول الله مشافهةً ووجهًا لوجه، بل يكون أيضًا بكتاب الله كالقرآن، وبالسُنَّة الثابتة عن رسول الله، وهي المراد من المَحَجَّة القائمة، أمّا المقصود من قوله (عليه السلام): الحُجَّة اللّازمة فهو العقل، أو المعصوم الذي أشار إليه فيما يأتي من كلامه: (**لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّة، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، وإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا**)[4]»[5].

(١) للمزيد من التفصيل ينظر: الكافي: ج١/ ص١٧٩، علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج١/ ص١٩٦-١٩٩، كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٢٠١-٢٠٧، اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسيّ: ج٢/ ص٦٧٠-٦٧١.

(٢) ينظر: مرآة العقول، المجلسّي: ج٢/ شرح ص ٢٩٧.

(٣) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٥٤-١٦٠.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح مهدي الفرطوسّي: ج٣/ ص١٤٩.

(٥) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٦٠.

سادسًا- التستريّ:

قال: «(**وَلَمْ يُخْلِ**) من (خلي)، (**سُبْحَانَهُ**) هكذا في المصريّة [1]، والصواب: (**اللهُ سُبْحَانَهُ**) كما في ابن أبي الحديد[2]، وابن ميثم[3] والخطّيّة.

(**خَلْقَه مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ**) لا يمكنهم دفعها، (**أَوْ مَحَجَّة**) وهي جادَّةُ الطريق.

(**قَائِمَةٍ**) قال تعالى: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ للناس عَلَى الله حُجَّة بَعْدَ الرُّسل**﴾[4]، وقال الصادق (عليه السلام): (**الْحُجَّة قَبْلَ الخَلْقِ، ومَعَ الخَلْقِ، وبَعْدَ الخَلْقِ**)[5]، وقال ابن بابويه في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[6]، (فبدأ عَزَّ وَجَلَّ بالخليفة قبل الخليقة؛ فدلّ ذلك على أنّ الحكمةَ في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليقة؛ فلذلك ابتدأ به لأنّه سبحانه حكيم، والحكيم مَنْ يبدأ بالأهمّ دون الأعمّ)[7]»[8].

سابعًا- النقويّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**).

(١) ينظر: نهج البلاغة، تحقيق: محمّد عبدة: ج١/ ص٢٤.
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، المعتزليّ: ج١/ ص ١١٣.
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، البحرانيّ: ج١/ ص ١٩٩.
(٤) النساء: ١٦٥.
(٥) الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص١٧٧.
(٦) البقرة: ٣٠
(٧) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٤.
(٨) بهج الصباغة: ج٢/ ص ٤١-٤٢.

وهذا أيضًا معطوف على قوله (عليه السلام): (**فَبَعَثَ فِيهِمْ**[1] **رُسُلَهُ**)، والمقصود أنّ الله تعالى لما اقتضى لُطفه ورحمته إرسال الرُّسل لِعِلَلٍ مرَّتْ ذِكرها فلا بُدّ من كون لُطفه شاملًا لجميع الخلائق ولا يختصّ بزمانٍ دون زمان ودورةٍ دون أُخرى؛ لقبح التّرجيح بلا مرجّح، ولعموم لطفه يلزم أنّ لا يُخلِ الله خَلْقَهُ حيارى، وذلك لا يَتِمُّ إلّا بواحدٍ ممّا ذَكَرهُ (عليه السلام) من نبيّ مُرسَل أو كتابٍ مُنزَل . . إلخ على مقتضى التّرتيب الذي قد ذكره (عليه السلام).

فإنّ النبيَّ المرسَل في المرتبة الأولى، والتّقيُّد بكونِه مُرسَلًا إشارةً إلى أنّه لا بُدّ من كونه صاحب شريعةٍ وكتاب، وذلك لا يكون إلّا في المرسلين دون الأنبياء فقط؛ إذ الأنبياء في الحقيقة كانوا مُروِّجين لشرائع المرسلين كما هو ظاهر، ثُمَّ في المرتبة الثانيّة بعد موت النبيّ تصل النوبة إلى الاستضاءة من كتابه الباقي بعده، أو حُجَّة لازمة على الخَلق؛ والمقصود بها وجود الأوصياء، أو مَحَجَّة قائمة؛ والمقصود بها الشرائع كما قال سبحانه:

﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[2]، وقال الله تعالى ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا**﴾[3]؛ كلّ ذلك إتمامًا للحُجَّة وتَتْميماً للنعمة إذ له الحُجَّة البالغة على خَلقه، ونشير إلى بعض الروايات الواردة في المقام تأييدًا لما ذكره (عليه السلام) وتنبيهًا للغافلين.

فمنها ما أشار إلى قوله (عليه السلام): (**مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ**) وقد مرَّ الكلامُ فيه في بحث لُزوم النبيِّ عقلًا ونقلًا، ومنها ما أشار إلى قوله: (**أَوْ كِتَابٍ**

(١) اغلب الشراح أوردوها بلفظ: «فيهم» وفي نسخة الفرطوسّي، بلفظ: «منهم».
(٢) المائدة: ٤٨.
(٣) الشورى: ١٣.

مُنْزَلٍ) روى القميّ في تفسيره عن الباقر (عليه السلام)، أنّه قال: **(إنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَرْسَلَ رُسُلَهُ بالكِتابِ وَبِتَأْويلِهِ، فَمَنْ كَذَّبَ بالكِتابِ أَوْ كَذَّبَ بِما أُرسِلَ بِهِ رُسُلُه مِنْ تَأويلِ الكِتَابِ فَهُوَ مُشْرِكٌ)**[1].

وعن حارث الأعور، قال: دخلتُ على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقلت: (يا أمير المؤمنين إنّا إذا كُنّا عندك سَمِعْنا الَّذي تشدّ[2] به ديننا وإذا خرجنا من عندك سَمِعْنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي، قال (عليه السلام):

أَوَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قال: قلتُ نعم، قال: **سمعتُ رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: أتاني جبرئيلُ (عليه السلام) فقال: يا مُحمّد سيكونُ في أُمّتكَ فتنةٌ، قلتُ: فما المخرجُ منها؟ فقال: كتابُ الله فيهِ بيانُ ما قبلَكم من خَبرٍ وخَبرُ ما بعدكم وحُكمُ ما بينكُم، وهوَ الفصلُ ليسَ بالهزْلِ، مَنْ وَلِيَهُ مِن جبّارٍ فعَمِلَ بغيرِهِ قَصَمَهُ الله، وَمَنْ التمَسَ الهدى في غيرِهِ أَضَلَّهُ الله، وهوَ حَبلُ الله المتين، وهوَ الذّكرُ الحكيم، وهوَ الصِّراطُ المستقيمُ، لا تُزيغُهُ الأهويةُ، ولَا تلبسُهُ الألسنةُ، ولا يخلَقُ على الردّ، ولا ينقَضي عجائبُه، ولا يشبعُ منهُ العلماءُ، هو الَّذي لم تكنه الجنُّ إذا سَمِعَهُ إذ قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[3] مَن قَالَ به صَدَّقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِر، وَمَنِ اعتصمَ بِهِ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستقيمٍ، هو الكتابُ العزيزِ الذي لَا يأتيْهِ الباطلُ مِنْ بينِ يديهِ ولَا مِنْ خَلفِه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد)**[4].

(١) تفسير القميّ، عليّ بن إبراهيم القميّ: ج٢/ ص٢٦٠.
(٢) (نسد) هكذا في تفسير العياشّي.
(٣) الجن: ١-٢.
(٤) تفسير العياشّي: ج١/ ص٣-٤.

وعن داود ابن فرقد قال سمعت أبا عبد الله، يقول: **(عَلَيكُمْ بالقرآنِ فَما وَجَدتُم آيةً نَجَا بِهَا مَنْ كَانَ قَبلَكُم فَاعْمَلُوا بِهِ، وَما وَجَدْتُمُوهُ ممّا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم فَاجْتَنِبُوه)**[1].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام)، قَالَ: سَمِعْتُه (عليه السلام) يَقُولُ: **(إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَحْتَاجُ إليه الأُمَّةُ إلّا أَنْزَلَه فِي كِتَابِه وبَيَّنَه لِرَسُولِه (صلّى الله عليه وآله) وجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا وجَعَلَ عَلَيْه دَلِيلًا يَدُلُّ عَلَيْه، وجَعَلَ عَلَى مَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ الحَدَّ حَدًّا)**[2]، والروايات الواردة في فضل القرآن كثيرة، نذكر شطرًا منها في محلِّه إن شاء الله تعالى.

إنْ قلت: ما ذكرته وما لم تذكره إنّما ورد في فضل القرآن، ولزوم التّمسك به بعد النبيّ [صلى الله عليه وآله] وليس كلامه (عليه السلام) فيه، بل كلامه مطلق بالنّسبة إلى الأنبياء والكتب المنزلة عليهم، الباقية بعدهم فلا بُدّ من اثبات التّمسك بها بعدهم، وأنتم لا تقولون به، وبعبارة أخرى كلامه (عليه السلام) مشعر بحجّيته الكتاب بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) مط[3]، فعليه لا اشكال في التمسك بسائر الكتب المنزلة؟ قلنا: ليس الأمر كذلك.

أمّا أولًا: فما ثبت في حقّ القرآن وحده من الفضل ولزوم التّمسك به ثابت في سائر الكتب السّماوية أيضًا لعدم القول بالفصل وبالإجماع من الأمّة ولمّا كان مدار كلامه (عليه السلام) في النبوّة العامّة فعلا لم يقيّد البحث بالقرآن وحده لأنّ الكلام ليس في النبوّة الخاصّة مضافا إلى أنّه إشارة إلى أنّ المؤمن لا

(١) تفسير العياشّي: ج١/ ص٥.
(٢) الكافي، الكلينيّ: ج١/ ص٥٩.
(٣) هكذا في الأصل، ولعلها: مطلقًا.

بُدّ له من الإيمان بها كما آمن به كما، قال الله تعالى: ﴿**وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[1] وهذا لا كلام فيه، وإنّما لم نؤمَر باتّباعها في الحال؛ لأنّ النبوّة الخاصة قد أبطل الشرائع المتقدّمة، وكتابه ناسخ لكتبها فبَعد بعثة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن الأخذ بها، فخروجها عن مورد البحث خروجٌ تَخْصيصيٌّ لا تَخَصُّصيّ كما سيتّضح لك إن شاء الله في النبوّة الخاصّة فانتظر.

أمّا ثانيًا: فلأنّ كلامه (عليه السلام) ليس في لُزوم العمل والتمسُّك بالكتاب بعد النبيّ أو عدمه، بل الكلام في أنّه لا بُدّ من أن يكون بعد النبيّ المرسَل من كتابٍ يُقتدى به وهذا أمر عام يشمل جميع الكتب، إذ لا إشكال في كونها حُجَّة لازمة.

أمّا ثالثًا: على فرض التّسليم فالكتب المنزلة يجب الاتباع بها في زمانها لأهل زمانها ما لم يدلّ دليل على عدم جواز الأخذ بها بالنّسخ والنبوّة بعدها وحيث دلّ دليل فلا، وهو (عليه السلام) لم يقل أنّها حُجَّة علينا في هذا الزّمان وعلى كلّ تقدير فالمقصود بقوله (عليه السلام) (**أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ**)، وجود كتاب الهيّ في كلّ زمان لأهل ذلك الزّمان حتّى يُستضاء به ويُهتدى بنوره، وهذا واضح.

ومنها ما أشار إلى قوله (عليه السلام): (**أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ**): قال العبد الصّالح (عليه السلام) (**إِنَّ الْحُجَّة لَا تَقُومُ لله عَلَى خَلْقِه إلّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ**)[2].

(١) البقرة: ٤.

(٢) الكافي: ج١/ ص١٧٧، والراويّ الإمام الكاظم (عليه السلام).

وقال الصادق (عليه السلام): (**الحُجَّة قَبْلَ الخَلْقِ ومَعَ الخَلْقِ وبَعْدَ الخَلْقِ**)[1].

وأيضًا، قال الصادق (عليه السلام): (**إِنَّ الأَرْضَ لَا تَخْلُو إلّا وفِيهَا إِمَامٌ كَيْمَا إِنْ زَادَ المُؤْمِنُونَ شَيْئًا رَدَّهُمْ وإِنْ نَقَصُوا شَيْئًا أَتَمَّه لَهُمْ**)[2].

وعن الصادق (عليه السلام)، قال: (**مَا زَالَتِ الأَرْضُ إلّا ولله فِيهَا الحُجَّة يُعَرِّفُ الحَلَالَ والحَرَامَ ويَدْعُو الناس إِلَى سَبِيلِ الله**)[3].

وعن الحسين ابن العلاء عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: (قُلتُ لَهُ: تبقَى الأرضُ بِغيرِ إمامٍ؟ قال: **لَا**)[4].

وعنه (عليه السلام) قال: (**إِنَّ الله لَمْ يَدَعِ الأَرْضَ بِغَيْرِ عَالِمٍ ولَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يُعْرَفِ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ**)[5].

وعنه (عليه السلام) قال: (**إِنَّ اللهَ أَجَلُّ وأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ الأَرْضَ بِغَيْرِ إِمَامٍ عَادِلٍ**)[6].

وعنه (عليه السلام) قال: (**لَوْ بَقِيَتِ الأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَتْ**)[7].

وعن الباقر (عليه السلام) قال: (**لَوْ أَنَّ الإمام رُفِعَ مِنَ الأَرْضِ سَاعَةً**

(١) الكافي: ج١/ ص١٧٧.
(٢) الكافي: ج١/ ص١٧٨.
(٣) الكافي: ج١/ ص١٧٨.
(٤) الكافي: ج١/ ص١٧٨.
(٥) الكافي: ج١/ ص١٧٨.
(٦) الكافي: ج١/ ص١٧٨.
(٧) الكافي: ج١/ ص١٧٩.

لَمَاجَتْ بِأَهْلِهَا كَمَا يَمُوجُ البَحْرُ بِأَهْلِه)[1].

وعن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: **(لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ إِلّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الحُجَّة)**[2].

والرواياتُ فيها كثيرة؛ انظر كتاب الحُجَّة من الكافي والبحار وغيرهما، فعلى هذا المقصود من قوله (عليه السلام): **(أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ)** هو الإمام المعصوم الَّذي حُجَّة على عباده.

وقال الشارح المعتزليّ في شرح هذه الجملة، ما هذا لفظه: (ومنها أن يُقال إلى ماذا يُشير بقوله: **أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ**؛ هل هو إشارة إلى ما تقوله الإماميّة من أنّه لا بُدّ في كلّ زمانٍ من وجود إمام معصوم، الجواب: إنّهم يُفسّرون هذه اللَّفظة بذلك، ويُمكن أنْ يكون المراد بها حُجَّة العقل)[3].

أقول: لا أتعجّب من ابن أبي الحديد في هذا التفسير الذي يضحك به الثكلى؛ فإنّه وأمثاله لا يرى الحقَّ في عين ظهوره، كما لا يرى الخفّاش نورُ الشمسِ بعد طلوعها، لا لبُخلٍ من الشمس بل لنقصان فيه وهو هكذا.

وذلك لأنّ المراد بها لو كان هو العقل ما احتاج (عليه السلام) إلى ذكره؛ فإنّ العقل في أولاد آدم موجودٌ دائمًا فلا وجهَ لتخصيصه بالذّكر بعد الأنبياء والكتب المُنزلة اللَّذين هما حُجّتان بلا خلاف، فحيثُ إنّ كلامه في الحُجج الثابتة للناس من قِبل الله تعالى، فكيف يُمكن القول به؟ وثانيًا- ما ذكره

(١) الكافي: ج١/ ص١٧٩.
(٢) الكافي: ج١/ ص١٧٩.
(٣) شرح نهج البلاغة، المعتزليّ: ج١/ ص١١٥.

(عليه السلام) على التّرتيب يُشعر بكون كلّ واحدٍ منها نائبًا عن الآخر والعقل ليس كذلك إلّا على مذهبه الفاسد؛ إذ لو كان العقل بنفسه كافيًا فأيُّ احتياج إلى إرسال الرُّسل وإنزال الكُتب كما هو ظاهر على المنصِّف المتأمِّل.

وأمّا ما أشار إلى قوله: (**أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**) فقوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا**﴾[2].

وذلك لأنّ المَحَجَّة طريقةُ عدلٍ يقفون الناسُ عليها ولا يميلون الناس عنها يمينًا ويسارًا على ما قيل، والدين كذلك والشرع نَهْجُ الطَّريق الواضح، وسُمّيَت الشّريعةُ شريعةً تشبيهًا لها بشريعة الماء؛ من حيث إنّ من شَرَعَ فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتَطَهَّر؛ ولذلك قال الله تعالى في حقِّ أهل البيت: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ**﴾[4] جمع شارع، وشارعةُ الطَّريق جمعها شوارع، ومُلَخَّصُ الكلام أنّ قوله (عليه السلام): «**أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**» إشارة إلى قوانين الإلهيّة التي وُضِعَت لإرشاد الناس وهدايتهم إلى طريقٍ مستقيم كما يُقال: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾[5].

(١) المائدة: ٤٨.
(٢) الشورى: ١٣.
(٣) الأحزاب: ٣٣.
(٤) الأعراف: ١٦٣.
(٥) الفاتحة: ٦-٨.

ومن هنا فَسّر الطريق المستقيم عَليٌّ وأولادُه (عليهم السلام) المَحَجَّة القائمةَ بالحقّ تُطلق بحسب اشتراك العلمي الصناعيّ على معنيين: الأوّل: الدين والشرع كما قلنا. والثاني: الأئمّة المعصومون (عليهم السلام) الذين هم حقيقةُ الشرع ومصداقُه الأتمّ في الخارج، فمن أراد أن ينظر إلى أصل الدّين المستقيم فلينظر إلى عليٍّ وأولادِه وإن شِئتَ قُلتَ: قوله (عليه السلام): (**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ**) إلى قوله (**أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**) في الحقيقة لا يفيد إلّا أمرين:

وجود الرسول، وجود الإمام، أمّا وجود الرسول والنبيّ فهو مستفاد من صريح قوله (عليه السلام): (**مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ**)، وأمّا وجود الإمام فيُستفاد من قوله: (**أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ** . .) إلى آخره والثلاثةُ تُشير إلى وجود الإمام ولُزومه، أمّا الكتاب المنْزل وإنْ كان في الظاهر القرآن والتوراة والإنجيل وسائر ما أنزله الله على أنبيائه إلّا أنّ حقيقتها ليست إلّا وجود الإنسان الكامل الذي نُعبّر عنه بالإمام؛ والدليل على صِدق هذا المدّعى قوله (عليه السلام) مشيرًا إلى القرآن الكريم الذي رفعه الناسُ يوم الـ(صفِّين) على رؤوس السنان[1] (أَيُّهَا الناس هَذَا كِتابُ اللهِ الصَّامِتُ، وأَنَا كِتَابُ اللهِ النَّاطِقُ)[2].

وفي رواية: (**هذا كلام الله الصّامت وأنا كلام الله النّاطق**)، والمعنى واحد، فهذا أدلّ دليل على أنّ المراد بالكتاب في الواقع هو الإنسان الكامل وظاهر الكتاب إشارة إلى حقيقة وجوده كما سيظهر لك إن شاء الله تعالى. وأمّا قوله

(١) في المصدر: (الأسنان) وهو من سبق القلم.
(٢) ينظر: وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١٨/ ص٢٠.

(عليه السلام): (**أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**) فكون المراد بهما هو الحُجَّة الإلهيّة أظهر؛ لأنّ الحُجَّة اللّازمة ليست إلّا الإمام كما شرحناه، والحُجَّة وإن كانت ظاهرة في الشرع والدين إلّا أنّ حقيقة الشرع والدين أيضًا ليست إلّا المعرفة بوجود الإمام، فظهر صِحّة ما قلنا من أنّ مراده (عليه السلام) إثبات وجود الرسول والإمام وهو المطلوب»[1].

ثامنًا- الشيرازيّ:

قال: «قال (عليه السلام): (**وَلَمْ يُخْلِ اللهَ سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**)؛ فالعبارة تُشير إلى أربعة مواضيع لا يعدم الوجود بعضها طرفة عين أبدًا؛ الأمر الذي يُتِمُّ الحُجَّة على الناس:

١- وجود الأنبياء؛ سواء من كان له كتاب سماويّ أم لم يكن، الذي يتضمّن هداية البشريّة وانتشالها من غفلتها وإتمام الحُجَّة عليها.

٢- الكتب السماويّة المتداولة بين الأمم رغم وفاة الأنبياء الذين أتوا بها.

٣- الأوصياء وأئمّة العصمة والذين عبَّر عنهم الإمام (عليه السلام) بقوله: «**حُجَّة لَازِمَةٍ**»، وهناك من احتمل أنّ المراد بالحُجَّة اللّازمة دليل العقل[2]؛ لكن يبدو هذا الاحتمال مستبعدًا؛ لأنّه لا يكفي في هداية الناس، ولا مانع من الجمع بينهما في هذه العبارة.

٤- سُنّة الأنبياء والأوصياء والأئمّة والتي عَبّر عنها بـ(المَحَجَّة القائمة)؛

(١) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٧١-٣٧٩

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، المعتزليّ: ج١/ ص ١١٥.

حيث عنوا المَحَجَّة بالطريق الواضح والمستقيم، سواء الظاهريّ أو الباطنيّ، الذي يوصِلُ الإنسان إلى هدفِه المنشود[1]، وبهذا فإنَّ الحق سبحانه قد أتمَّ حجته على كافة الأُمم والمجتمعات البشريّة في جميع الأعصار والأمصار وأمدهم بأسباب الهداية»[2].

تاسعًا-السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشد قوله (عليه الصلاة والسلام): «**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**» -فضلًا عمّا أفاده الشرّاح- إلى أمرين؛ وهما:

الأول: دلالة النصّ على لزوم وجود الحُجَّة على الناس.

أي أن تكون الحجة منذ أنْ بُعث آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة، وقد حدَّدها (عليه السلام) بالأنبياء والرُّسل وأوصيائهم وهم الأئمّة المعصومون (عليهم السلام) على وجه الخُصوص، بل والتقييد بدلالة أنّهم جزء لا يتجزّأ من مشروع ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[3].

فما يذهب نبيّ إلّا ويقوم مقامه آخر، نبيًّا كان أو رسولًا أو وصيًّا؛ وذلك لقوله تعالى:

﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ للناس عَلَى الله حُجَّة بَعْدَ الرُّسل وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[4]؛ أي أنّ الغاية من دوام وجود الحُجَّة وملازمته للزمان هي

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادّة الحج: ج٢/ ص١٦٨- ١٦٩.
(٢) نفحات الولاية: ج١/ ص ١٤٢-١٤٣.
(٣) البقرة: ٣٠.
(٤) النساء: ١٦٥.

إسقاط الحُجَّة؛ فلا يكون للناس حقٌّ في الاحتجاج على الله تعالى يوم القيامة.

بمعنى: إنّ من صفات الربوبيّة أنْ لا يكون للمربوب حُجَّة على الربِّ في ترك الامتِثال لأمره والنهي عن نواهيه، فضلًا عن إظهار لُطفه بخَلقِه وعِبادِه؛ أي يكون الأصل رحمته بهم وحلمه عليهم ليعودوا إليه بعد أن «**اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه**».

الثاني: فهو الحُجَّة اللّازِمة.

وهنا: إشارة إلى العقل؛ وذلك لإسقاط الحُجَّة عن كلّ مَن يقول يوم القيامة: لم أدرِ ولم أعلم، كما مضى آنفًا في إرجاع الأنبياءِ الناسَ إلى النظر في البراهين عبر تحكيم العقل والنظر في البرهان والآيات والآثار، ومن ثَمَّ مدخليّة العقل في الرجوع إلى الله تعالى؛ وهو ما ورد في رسالة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) لهشام بن الحكم، فقال: «**يَا هِشَامُ إِنَّ لله عَلَى الناس حُجَّتَيْنِ حُجَّة ظَاهِرَةً وحُجَّة بَاطِنَةً؛ فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسل والأَنْبِيَاءُ والأئمّة (عليهم السلام) وأَمَّا البَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ**».[1]

وروى الكلينيّ(رحمه الله)، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أنّه قال:

«**مَا قَسَمَ الله لِلْعِبَادِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ العَقْلِ فَنَوْمُ العَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهَرِ الجَاهِلِ، وإِقَامَةُ العَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ شُخُوصِ الجَاهِلِ، ولَا بَعَثَ الله نَبِيًّا ولَا رَسُولًا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ العَقْلَ ويَكُونَ عَقْلُه أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ عُقُولِ أُمَّتِه ومَا يُضْمِرُ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فِي نَفْسِه أَفْضَلُ مِنِ اجْتِهَادِ المُجْتَهِدِينَ، ومَا أَدَّى العَبْدُ فَرَائِضَ الله حَتَّى عَقَلَ عَنْه، ولَا بَلَغَ جَمِيعُ العَابِدِينَ فِي فَضْلِ عِبَادَتِهِمْ**

(١) الكافي، الكلينيّ: ج١ ص١٦

مَا بَلَغَ العَاقِلُ، والْعُقَلَاءُ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ الذينَ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وما يَتَذَكَّرُ إلّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾»[1].

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المطلب التاسع: الحقول المعرفيّة في قوله (عليه السلام): «رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ المُكَذِّبِينَ لَهُمْ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جملة من الحقول المعرفيّة؛ كاللُّغة، والإعراب، والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «قوله: (**رُسُلٌ**)، تقديره: رسله، رسل»[2].

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «وُرويَ (**لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ**) بضمِّ الياء؛ أي: لا يُعييهم[3]»[4].

ثالثًا- الكيذريّ:

قال: «**رُسُلٌ**: تقديره رُسُلَه، رويّ: (**لا يُقَصِّرُ بِهِمْ**): بضم الياء؛ أي لا يعينهم»[5].

(١) الكافي، الكلينيّ: ج١ ص١٦.
(٢) معارج نهج البلاغة: ص٧٢.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص٦٧٣.
(٤) منهاج البراعة: ج١/ ص ٧٧.
(٥) حدائق الحقائق: ج١ ص١٣٩ - ١٤٠

المسألة الثانية: الإعراب:

أولًا- الخوئيّ:

قال: «(**رُسُلٌ**) مرفوع على الخبريّة؛ يعني: إنّهم رُسُلٌ، والجملة هذه لا محلّ لها من الاعراب؛ لكونها مستأنفة فكأنّه قيل: هؤلاء المرسلون الذين لم يخلُ الخَلْقُ منهم هل بلَّغوا ما أُرسلوا به أم قصّروا فيه لوجود التّقية؟ فقال (عليه السلام): إنّهم (**رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ**)، فهي من قبيل الاستئناف البيانيّ، ومتعلِّق (**لا يُقَصِّرُ**) محذوف؛ أي: لا يُقصِّر بهم عن أداء الرسالة وإبلاغ التكليف»[1].

ثانيًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**»: (**رُسُلٌ**): خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم، (**لَا**): حرف نفي، (**يُقَصِّرُ**): فعل مضارع مرفوع، (**بِهِمْ**): جارّ ومجرور متعلّق بـ (**يُقَصِّرُ**)، (**قِلَّةُ**): فاعل مرفوع، وهو مضاف، (**عَدَدِهِمْ**): مضاف إليه مجرور، وهو مضاف، وهم: ضمير متّصل في محل جرٍّ بالإضافة، (**وَلَا**): الواو: حرف عطف، لا: حرف نفي، (**كَثْرَةُ**): اسم معطوف على (**قِلّة**) مرفوع، وهو مضاف، (**الْمُكَذِّبِينَ**): مضاف إليه مجرور بالياء؛ لأنّه جمع مذكر سالم، (**لَهُمْ**): جارّ ومجرور متعلق بـ (**الْمُكَذِّبِينَ**).

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح:

أولًا- الراونديّ:

قال: «كلُّ واحدٍ من الرُّسل والأئمّة [عليهم السلام] كان يقوم بما يجب

(١) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٥٤.

عليه، لا يدفعه قِلّة عدد أوليائه، ولا كثرة أعدائه»[1].

ثانيًا- المعتزليّ:

قال: «قال [الراونديّ]: وكلُّ واحد من الرُّسل والأئمّة كان يقوم بالأمر، ولا يردعه عن ذلك قِلّة عدد أوليائه، ولا كثرةُ عدد أعدائه[2]، فيُقال له: هذا خِلافُ قولك في الأئمّة المعصومين؛ فإنَّك تُجيز عليهم التقيّة، وتَرْكُ القيام بالأمر إذا كُثْرَتْ أعداؤهم»[3].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «قوله: (**رُسُل لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**)؛ أي: هم رسل كذلك، والمراد الإشارة إلى أنّهم وإنْ كانوا قليلي العدد بالنسبة إلى كثرة الخلق، وكان عدد المكذّبين لهم كثيرًا كما هو المعلوم من أنّ كلّ نبيّ بُعِثَ إلى أُمّة فلا بُدّ فيهم فرقةٌ تُنابذُه وتُعانِدُه، وتُكذّب مقالَه؛ فإنّ ذلك لا يُولِّيهم قصورًا عن أداء ما كُلِّفوا القيام به من حَمْلِ الخَلْق على ما يكرهون ممّا هو مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم؛ بل يقوم أحدهم وحده، ويدعو إلى طاعة بارئه، ويتحمّل أعباء المشقَّة التامّة في مجاهدة أعداء الدين، وينشر دعوته في أطراف الأرض بحسب العناية الأزليّة والحكمة الإلهيّة، وتبقى آثارها محفوظة وسُنّتها قائمة إلى أنْ تقتضي الحكمة وجود شخصٍ آخَرَ منهم يقوم ذلك المقام ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ للناس عَلَى الله حُجَّة**

(١) منهاج البراعة: ج١/ ص ٨٤.
(٢) ينظر: منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص ٨٤.
(٣) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ١١٥.

بَعْدَ الرُّسل﴾[1]»[2].

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «إنّه (عليه السلام) وصف المرسلين بأنّهم (**رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ**)؛ أي عن نشر التكليف وحمل أعباء الرسالة، (**وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**)؛ أي عن تبليغ الأحكام وأداء الأمانة، وهذا الكلام صريح في عدم جواز التقيّة على الأنبياء.

ومنه يظهر فساد ما نسبه الفخر الرازيّ إلى الإماميّة من تجويزهم الكفر على الأنبياء تقيّة[3]، حسبما مرَّ في تذييلات الفصل الثّاني عشر في باب عصمة الأنبياء (عليهم السلام)[4]، ضرورة أنّ اقتداء الإماميّة (رضوان الله عليهم) إنّما هو على إمامهم (عليه السلام)، ومع تصريحه (عليه السلام) بما ذكر كيف يُمكن لهم المصير إلى خلاف قوله (عليه السلام) هذا، مضافًا إلى ما أوردناه عليه سابقًا؛ بل ومع الغضّ عن تصريحه (عليه السلام) بذلك أيضًا نقول: كيف يُمكن أنْ يَتفوّه ذو عقلٍ بصدور كلمة (الكفر) عن نبيّ مع أنّ بَعْثَ النبيّ ليس إلّا لحسم مادّة (الكفر)، نعوذ بالله من هذه الفِرية البيِّنة وذلك البهتان العظيم»[5].

خامسًا- مغنية:

قال: «(**رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ**)؛ أي إنّ عدد الرُّسل، وإنْ كان قليلًا

(١) النساء: ١٦٥.
(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٣-٢٠٤.
(٣) ينظر: تفسير الرازيّ: ج٣/ ص٧.
(٤) ينظر: منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص٩٧-١٠٢.
(٥) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٦٠.

فإنّهم قاموا بمهمّة التبليغ على وجهها، والعِبرة بالكيفيّة لا بالكميّة، وهناك بعض الروايات في عدد الأنبياء، ولكن لا نعرف مكانها من الصحة، بل لا تهمّنا معرفتها ما دام القرآن أهمل الإشارة إلى العدد: ﴿**وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾[1] وإذن فَعَلامَ الفُضول. (**وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِيَن لُهُمْ**)؛ لاقى الأنبياءُ الكثير من المترفين الطُّغاة، وما أكثرهم في كلّ عصر.. ولكن الأنبياء صبروا صَبْرَ الأحرار في سبيل التبليغ والقيام بواجبهم، ومن أقوال الإمام: (**لاَ يَزِيدُنِي كَثْرَةُ الناس حَوْلِي عِزَّةً، ولَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً**)[2]»[3].

سادسًا- التستريّ:

قال: «(**رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لُهُمْ**)؛ قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ...**﴾[4].

﴿**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ... فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ...**﴾[5]، وقال (عَزَّ وَجَلَّ) حكايةً عنه: ﴿**وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ**﴾[6].

(١) النساء: ١٦٤.
(٢) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح الفرطوسي: ج٣/ ص١١.
(٣) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٦٠.
(٤) يونس: ٧١-٧٣.
(٥) العنكبوت: ١٦-٢٤.
(٦) الأنبياء: ٥٧-٥٨.

قال ابن أبي الحديد: (قال الراوندي: وكلُّ واحدٍ من الرُّسل والأئمّة (عليهم السلام) كان يقوم بالأمر ولا يردعه عن ذلك قِلّةُ عدد أوليائه، ولا كثرةُ عدد أعدائه، فيُقال له: هذا خلاف قولك في الأئمّة المعصومين؛ فإنّك تُجيز عليهم التقيّة وتَرْكَ القيام بالأمر إذا كَثُرتْ أعداؤهم)[1].

قلتُ: الأئمّة (عليهم السلام) كالأنبياء (صلوات الله عليهم) كانوا يقومون بدعوة غير الجبابرة، وأمّا الجبابرة فكانوا قد يقومون بدعوتهم، وقد يتركونهم على حسب المصلحة والقيام الذي قال الراوندي أعمّ من الخروج بالسيف، وإلّا لخرج أكثرُ الأنبياء عن ذلك، وإلّا فليس في الأنبياء من يكون مِصداقًا لقوله (عليه السلام): (**لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**) مثل إمامنا الثالث أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، فإنّه قام بالأمر، وقال: **لَو لَمْ يَبْقَ لِي فِي الدُّنْيَا مَلْجَأٌ مَا بَايَعْتُ يَزِيْدَ**[2]، ولقد جاهد (عليه السلام) مع اثنين وسبعين نفرًا[3] ثلاثين ألفًا[4]، وقال بعد إتمام الحُجَّة عليهم: **أَلَا وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ العِصَابَةِ عَلى قِلَّةِ العِتَادِ، وخَذْلَةِ الأَصْحَابِ**[5]»[6].

سابعًا- النقويّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ**

(١) شرح نهج البلاغة، المعتزلّي: ج١/ ص ١١٥.
(٢) ينظر: الفتوح، ابن أعثم الكوفيّ: ج٥/ ص٢٠-٢١، بحار الأنوار: ج٤٤/ ص٣٢٩.
(٣) ينظر: مقتل الحسين، أبو مخنف الأزديّ: ص٢٠٢، تاريخ الطبريّ: ج٤/ ٣٤٨.
(٤) ينظر: الأمالي، الصدوق: ص٥٤٧، مثير الأحزان، ابن نما الحلّي: ص٥٤.
(٥) ينظر: الاحتجاج، الطبرسّي: ج٢/ ص٢٥، تاريخ دمشق، ابن عساكر: ج١٤/ ص ٢١٩.
(٦) بهج الصباغة: ج ٢/ ص ٤٢-٤٣.

نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُور، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ).

والمقصود أنّ الرُّسل المبعوثة في كلّ زمان لا تَضُرُّ بوظائفهم المفوَّضة إليهم من جانب الله تعالى لإرشاد الناس وهدايتهم وتبليغ أحكام الدين قِلَّتُهم وقِلَّةُ ناصريهم ولا كثرةُ المخالفين المكذّبين لهم؛ وذلك لأنّ النبيّ والرسول مأمور من جانب الله تعالى لإرشاد الخلائق وهو يعصمه من شرّ الأشرار وكيد الفُجّار كما قال الله تعالى في حقِّ النبيّ يوم الغدير: ﴿**يَا أَيُّهَا الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ الناس**﴾[1] فإنّا نرى الأنبياء (عليهم السلام) كلّ واحدٍ منهم بُعِثَ في زمانٍ كانت أعداؤه كثيرة ومعاونوه قليلة كما قال الله تعالى: ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ . .**﴾[2] ومع ذلك لم تضرّ بدعوتهم وأداء وظيفتهم والقيام بحقوقهم، وهذا أمرٌ عامّ كُلِّي لا استثناء فيه بالنسبة إلى جميع الأنبياء؛ فهذا آدم أبو البشر أوّلهم مع أنّ أفراد زمانه أولاده لا غير، وقتل قابيلُ هابيل عداوةً منه لآدم؛ حيثُ أنّه ظنّ أو تيقّن بأنّ هابيل أحبُّ إلى أبيه منه فيمكن ان يكون هو وصيّه ففعل ما فعل[3]، وهذا نوح نبيّ الله بقيَ في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه فَهَمَّ أن يدعو عليهم وكانوا يرمونه بالحجارة واستهزؤوه، وسَخِروا به إلى أنْ دعا عليهم ففعل الله بهم ما فعل؛ وإليه أشار بقوله: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ إلى أنْ قال الله تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوه فَأَنْجَيْنَاه، والذينَ مَعَه فِي**

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) سبأ: ١٣.

(٣) ينظر: تفسير الرازيّ: ج١١/ ص٢٠٥-٢٠٨.

الفُلْكِ وأَغْرَقْنَا الذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمًا عَمِينَ . .﴾[1] إلى آخر الآيات[2]، وهذا إدريس النبيّ قبله حيث قال: يا ربّ بعثتني إلى جبّارٍ فبلَّغتُ رسالتك وقد توعَّدني هذا الجبَّارُ بالقتل بل هو قاتلي إن ظفر بي، فأوحى إليه أنْ تَنَحَّ عنه واخرج من قريته وخَلِّني وإيّاه .. إلى آخره[3].

وهذا هود (عليه السلام) وقومه، وهذا صالح وقومه، وهكذا الأمر بالنّسبة إلى إبراهيم ولوط ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى، إلى أنْ وصل الأمر إلى نبيّنا (صلّى الله عليه وآله) حتّى أنّه (صلّى الله عليه وآله) قال: (**مَا أُوْذِيَ نبيّ بِمِثْلِ مَا أُوْذِيْتُ**)[4] وسيأتي في طَيِّ مباحث الكتاب إن شاء الله تعالى شَرْحُ أحوالهم مع أبناء زمانهم حسب ما يقتضيه المقام.

وفي ذلك تنبيه على أنّ المؤمن في طريق الحقّ يجب أنْ يكون ثابتًا غير متزلزل، ولا يعبأ بمن يُخالفه في الحقّ، وهذا رمز إلى سرعة العمل والنيل إلى الهدف كما قال تعالى مخاطبًا لسيّد البشر ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[5].

وأيضًا كلامه (عليه السلام) يُشعِر بأنّ الأنبياء لا تقيّةَ لهم وهو كذلك؛ فإنّ التقيّةَ تُنافي الدعوة إلى الله كما قال سبحانه: ﴿**وقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا ..**﴾[6]، وقال ﴿**والله يَعْصِمُكَ مِنَ الناس**﴾[7]، وقال الله تعالى عن نبيّه:

(١) الأعراف: ٥٩- ٦٤.
(٢) ينظر: تفسير الرازيّ: ج١٤/ ص١٤٨-١٤٩.
(٣) ينظر: كمال الدين، الشيخ الصدوق: ص١٢٩.
(٤) تفسير المحيط الأعظم، الآملّي: ج٣/ ص١٤١.
(٥) هود: ١١٢.
(٦) البقرة: ١١١.
(٧) المائدة: ٦٧.

﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ**﴾[1]، وقوله: ﴿**قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ**﴾[2] وأمثال ذلك. وبهذا يَظهر لك الفرق بين الرسول والإمام بالنّظر إلى التقيّة؛ حيث أنّها واجبة على الإمام والأمّة وليست بواجبة على الرسول والنبيّ؛ وسرُّه أنّ الرسول صاحب الدعوة، والإمام حافظها ومُرَوّجها، فتجب التقيّة عليه وعلى الأُمّة إذا لم تُوجب الكفر والخروج عن الدين كما سيأتي إن شاء الله»[3].

ثامنًا- الشيرازيّ:

قال: «تطرَّق (عليه السلام) لخصائص هؤلاء الأنبياء فقال: (**رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**)، أجل كانوا مثلًا في الرجولة والإقدام والشجاعة؛ بحيث كان أحدهم يصمد بوجه الآلاف من خصوم الدعوة فيُلقى بالنار فتشمله عنايةُ الله ورحمته ليخرج منها سالمًا مرفوع الرأس، ويُحطِّمُ الآخرُ الأصنام ثُمّ يَحتَجُّ بالأدلّة القاطعة التي تُفَنِّد عقائدهم الباطلة وتُثْبِت صِحّة دَعواه، كما كان البعض يُحاصَر مِن قِبَل جُموع الكُفر والشرك بيدٍ عَزْلاء، وقد شهر خصومهم سيوفهم، فلم يَضعَفوا ويَهِنوا، ووقَفوا بكُلِّ صُمودٍ وشُموخ، والجدير بالذكر في خصائص الأنبياء التأكيد هنا على صمودهم وشهامتهم»[4].

تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يرشد قوله (عليه الصلاة والسلام): «**رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**» -فضلًا عما أفاده الشرّاح- إلى أُمور، منها:

(١) التوبة: ٤٠.
(٢) طه: ٦٨.
(٣) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٨٠ـ ٣٨٢.
(٤) نفحات الولاية: ج١/ ص ١٤٣.

أوّلًا- دلالة قوله (عليه السلام): «لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ» متعلقة بالمكذبين وليس بمن لم يؤمن.

ممّا يُرشد إليه النصّ الشريف هو بيان سِمةً عامّةً في الأنبياء وسِمةً خاصّةً في الناس؛ فأمّا سِمةُ الأنبياء العامة فهم لا يُقصّرُ بهم عن أداء تكاليفهم الشرعيّة من كذبهم وإنْ كانوا فردًا واحدًا قد بعثَهُ الله تعالى إلى قومٍ من الناس، أي سواء آمن بهم أحدٌ أو لم يؤمن، بل وإنْ كذَّبهم الكثيرون؛ وهي حالة أسمى لهم، وأعلى رُتبةً في منزلتهم عند الله تعالى؛ وذلك أنّ الذي لم يؤمن غير المكذّب، فمن لا يُؤمن لا يضرّ إلّا نفسه، أمّا المكذّب فهو يضرُّ نفسَه والناس والنبيّ وذلك لتعلقه بإدخال الأذى عليه، وشتان بين الحالين والعاقبتين في الدنيا والأخرة، فضلًا عن أنّ الذي لا يؤمن قد يلتفت إلى الهدى فيهديه الله سبحانه، ويشرح صدره للإيمان؛ ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[1].

وأمّا سِمة الناس فالغالب عليهم أنّهم لا يؤمنون في كلّ زمانٍ ومعَ كلّ نبيّ، وهو ما بيَّنه القرآن بقوله: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[2].

فضلًا عن غلبة سِمَة تكذيب الناس للأنبياء فقد لازمت العصورَ والأزمنةَ والأمكنة، وقد نبَّه القرآنُ الكريم على عِظَم خَطَرِ المكذِّبين في المجتمعات، وآثارهم السيِّئة في الإفساد، وتضليل الناس، وصرْفهم عن الحقّ، فاستحقُّوا بذلك الخزيَ والعذاب؛ قال تعالى:

(١) القلم: ٧-٨.
(٢) سبأ: ١٣.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كلّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى الله وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وقال عزّ شأنه: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3].

وغيرها من الآيات المباركة الكاشفة عن سمة تكذيب الأنبياء والمرسلين والأئمّة، إلّا أنّ ذلك لم يكن مَدعاةً لتقصيرهم في إعلاء كلمة الله، وأداء مهامّ ما كُلِّفوا به، وإنْ قل عددهم، فسلامُ اللهِ وصلواتُه عليهم أجمعين.

ثانيًا- هل دلالة القلّة والكَثرة زمانيّة أم عدديّة؟

لقد أشار الشرّاح إلى العديد من الآيات الكاشفة عن حال الأنبياء (عليهم السلام) مع بني قومهم وما لاقوه على أيديهم؛ كلّ ذلك لم يمنعهم من تأدية ما كُلِّفوا به.

إلّا أنّ النصّ الشريف قد أشار إلى مسألة دقيقة؛ وهي: قلّة عددهم وكثرة المكذِّبينَ لهم؛ وذلك أنّه (عليه السلام) يتحدّث عنهم بالعموم وليس

(١) عمران: ١٣٧.
(٢) النحل: ٣٦.
(٣) الزخرف: ٢٣-٢٥.

بالخصوص؛ فقِلَّة عددهم ثابتة ولا تتحقق في زمانٍ واحدٍ، وإنْ تحقَّق ذلك فلا يكون في مكانٍ واحد إلّا ما نَدَر؛ كإبراهيم وولديه إسحاق وإسماعيل، وداود وسليمان، وزكريا ويحيى، ويعقوب وولده يوسف، وهارون وموسى(سلام الله عليهم أجمعين).

ومن ثَمَّ فالقِلّة لا يُراد بها الزمان والمكان الواحد وإنّما العدد الكاشف عن عموم حالهم منذ آدم وإلى النبيّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله) ممّا يُضاعف عليهم الجهد؛ وذلك بوصف النبيّ فردًا واحدًا خَصّهُ الله تعالى بالنبوّة ليقابله كثرةُ المكذّبين له في كلّ زمان ومكان، ومن ثَمَّ يكشف النصّ عن الحال العام الذي جَرَت عليه الدنيا.

ثالثًا- رَدُّ ادّعاء المعتزليّ في تَرْكِ الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) القيامَ بالأمر عملًا بالتقيّة.

مما أورده المعتزلي في شرحه ولاسيما في معارضته الدائمة والمستمرة لما يقوله الراوندي (رحمه الله) ومنه قوله في بيان قول أمير المؤمنين (عليه السلام) -مورد البحث- «وكلُّ واحدٍ من الرُّسل والأئمّة [عليهم الصلاة والسلام] كان يقوم بالأمر، ولا يردعه عن ذلك قِلّةُ عدد أوليائه، ولا كثرةُ عدد أعدائه»[1] فتجنّى عليه المعتزلّي، قائلاً: «فيُقال له: هذا خلاف قولك في الأئمّة المعصومين؛ فإنَّك تُجيز عليهم التقيّة، وتَرْكَ القيام بالأمر إذا كثرت أعداؤهم»[2].

(١) ينظر: منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص ٨٤.
(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ١١٥.

وممّا لا ريبَ فيه أن المعتزليّ قد غلب عليه التربّص بالراونديّ والتجنّي عليه، وذلك، لأمور:

الأمر الأوّل: أنّه نسب إليه القول بما لم يقل.

وذلك أنّه لم يحيل القارئ الى الموضع الذي يُصرّح فيه الرواندي بترك الأئمّة المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) القيام بالأمر إذا كثرت أعداؤهم.

الثاني: إنّ القول بجواز التقيّة لم يكن المشرّع فيه الراونديّ.

أي أن موضوع التقية وحكمها لم يكن المشرّع فيه الراوندي أوغيره من علماء الإمامية (أعلى الله شأنهم) فيُجيز هنا، ويُحرّم هناك، وإنّما القائل هو القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ**﴾[1]. فضلاً عن بيان السُنّة النبويّة لها والتي يطول الكلام في بيان نصوصها، فقد كفانا الفقهاء المؤنة في المسألة.

الثالث: أما قوله: «القيام بالأمر» فهو تدليس من المعتزليّ.

ويبدو أن الشرّاح لم يلتفتوا إليه؛ فقد خلط المعتزليّ وغالط بين القيام بالأمر، أي الحكومة، والقيام بالأمر، أي الإمامة، فأمّا الحكومة أو الخلافة فقد قُيِّدت بوجود الناصر، أما بغيابه فليس للإمام القيام بمطالبة حقّ الخلافة التي سنّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين(عليه السلام) منذ

(١) آل عمران: ٢٨.

أنْ أمره الله تعالى بأنْ يَصدع بالرسالة وإنذار عشيرته الأقربين، فخصّص (صلّى الله عليه وآله) في حديث الدار أنّه الخليفة من بعده، وقد روى الشيخ المفيد (رحمه الله) الحدث، فقال:

يا بني عبد المطّلب، إنّ الله بعثني إلى الخَلق كافّة، وبعثني إليكم خاصّة، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، وأنا أدعوكم إلى كلمتينِ خفيفتينِ على اللسان ثقيلتينِ في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأُمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجُون بهما من النار؛ شهادة أنْ لَا إلهَ إلّا الله وأنّي رسولُ الله، فمَن يُجيبُني إلى هذا الأمر ويُؤازرُني عليه وعلى القِيام به، يكن أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يُجِب أَحدٌ مِنهم .

فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: **فقمتُ بين يديه من بينهم، وأنا إذ ذاك أصغرُهم سنًّا، وأحمشهم ساقًا، وأرمضهم عينًا، فقلتُ: أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر. فقال: اجلس، ثم أعاد القَول على القَوم ثانيةً فأصمتوا، وقُمتُ فَقُلتُ مِثْلَ مقالتي الأُولى، فقال:**

اجلس. ثمّ أعاد على القوم مقالتَه ثالثةً فلم يَنطِق أَحدٌ منهم بحَرف، فقلتُ: أنا أؤازرك يا رسولَ الله على هذا الأَمر، فقال: اجلس، فأنت أَخي ووَصيِّي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»[1]؛ ثمّ تلا هذا البيان والتعيين والتخصيص في مناسبات عِدّة وحسبنا منها يوم غدير خم.

ومن ثَمَّ فالقيام بأمر الخلافة غير القيام بأمر الإمامة، ولاسيّما أن أمير

(١) الإرشاد: ج١/ ص٤٩-٥٠ .

المؤمنين (عليه السلام) قد بالغَ في البيان، وصرَّحَ بحقِّه في الخلافةِ والحكومة بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، فقال:

«أَمَا والله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وإِنَّه لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّه»(١).

وقوله: **«لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاه وإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِلِ وإِنْ طَالَ السُّرَى»**(٢).

أمّا القيام بالإمامة المجعولة من الله تعالى فلا تقية فيها فحالها حال النبوّة، إلّا أنّهم ليسوا بأنبياء؛ وذلك أنّ النبوّة خُتِمتْ به (صلّى الله عليه وآله)، وقد صرّح بها النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وغيرِهِ من الأئمّة (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ فممّا جاء في الخطبة القاصعة، أنّه قال: **«ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كلّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَمًا، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه، ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كلّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي، ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ الله (صلّى الله عليه وآله) وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النبوَّة، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشيطان حِينَ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْه (صلّى الله عليه وآله)، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا هَذِه الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشيطان قَدْ أَيِسَ مِنْ**

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح الفرطوسي: ج١/ ص١٩١.
(٢) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح الفرطوسي: ج٣/ ص١٠٨.

عِبَادَتِه، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى، إِلّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[1].

وقال (عليه السلام): «**لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله) مِنْ هَذِه الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْه أَبَدًا، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ، الآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِه ونُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِه**»[2].

فشتّان بين مقام الحكومة ومقام الإمامة المجعولة من الله تعالى لهم على الناس.

الرابع: مفهوم خلافة الأنبياء (عليهم السلام) بين الظاهر والباطن.

إنّ خلافة الأنبياء (عليهم السلام) لها مفهومان؛ مفهومٌ ظاهريّ، ومفهومٌ باطنيّ:

١- أما المفهومُ الظاهريّ: فهو أن يحلّ الخليفة محلّ النبيّ التشريعيّ، ولا نقصد به أن يحلّ مقام النبوّة -كما أسلفنا- وإنّما المراد من المحلّ التشريعيّ: أنْ تكون له صلاحيّة إصدار الحكم الشرعيّ، فمن كان جاهلًا بالحكم الشرعيّ لا يَحِقُّ له أنْ يخلف النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم).

ولأن العِلم بالحكم الشرعيّ حضوريّ لا حصوليّ؛ من حيث إن مقام النبوّة إنّما كان مِنْ قِبَلِ الله عَزَّ وَجَلَّ فلا يُتَوَّج صاحب هذا المقام إلّا بأمرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، فقد اقتضت هذه الحيثيّة واستلزمت أنْ يكون مقام الخلافة هو أيضًا منصوصًا على صاحبه من الله عَزَّ وَجَلَّ على لسان نبيِّه؛ ليكون علمه

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح الفرطوسي: ج٢/ ص٢١٢-٢١٣..
(٢) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح الفرطوسي: ج١/ ص١٩٠.

بالحكم الشرعيّ حضوريًّا لا حصوليًّا، وبذلك يكون الخليفة منصوصًا عليه من الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم).

أمّا إذا أُريد بالخلافة: هو من يخلف النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) في المُلك، فالأنبياء (عليهم السلام) ليسوا مُلوكًا، وما كانوا سلاطين يلبسونَ التيجان، ويحملونَ الصولجان. لكن يبدو أنّ الكثيرين قد اعتقدوا هذا وجعلوا نهجهم في ذلك مستوحىً من هذا المعتقد؛ وهو ما صرّح به أبو سفيان للعبّاس بن عبد المطّلب في عام الفتح عندما أخذ ينظر إلى جيش النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم)، فقال للعبّاس: (لقد أصبح مُلكَ ابن أَخيكَ عظيمًا)[1]، فقال العبّاس: فقلت له: (وَيْلَك إنهّا النبوّة).

والمبدأ نفسه يتكرّر عندما تولّى عثمان بن عفّان مقام الخلافة، فقال أبو سفيان: (يا بنيّ عبد مناف تلقَّفوها تلقّف الكُرة فما هناك جنّة ولا نار)[2].

وهو الأمر نفسه الذي دعا بعمر بن الخطاب أن يسأل صحابة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) بعد أن خلَف أبا بكر، قائلًا: (أَخليفةٌ أنا أم ملِك)[3]؟

وفي هذا المفهوم الظاهريّ وقع الحكّام الذين خلفوا الأمّة بعد النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم).

(١) تاريخ الطبريّ، ج٢، ص٣٣١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٢٣، ص٤٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥، ص١٧٥، بحار الأنوار للعلامة المجلسيّ: ج٣١/ ص١٠٤، وج٣٣، ص٢٠٨.

(٢) تاريخ الطبريّ: ج٨ ص١٨٥

(٣) شرح نهج البلاغة، المعتزليّ: ج١٢/ ص٦٦، الدرّ المنثور، السيوطيّ: ج٥/ ص٣٠٦، جواهر التاريخ، الكورانيّ: ج٢/ ص٢٣١.

٢- أمّا المفهوم الباطنيّ: فهو أنّ الله لا يُخلي الأرض من حُجَّة؛ فقد أخرج الكلينيّ (رحمه الله) بسنده، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله (صلّى الله عليه وآله): إِنِّي واثْنَيْ عَشَرَ مِنْ وُلْدِي وأَنْتَ يَا عَلِيُّ زِرُّ الأَرْضِ يَعْنِي أَوْتَادَهَا وجِبَالَهَا بِنَا أَوْتَدَ الله الأَرْضَ أَنْ تَسِيخَ بِأَهْلِهَا فَإِذَا ذَهَبَ الِاثْنَا عَشَرَ مِنْ وُلْدِي سَاخَتِ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا ولَمْ يُنْظَرُوا**»[1].

وقد نصّ عليه أيضًا ما رُوي عنهم (عليهم السلام): «**وَلَولَا الحُجَّة لَسَاخَتِ الأَرضُ بِأَهلِهَا**»[2].

ومن ثَمَّ: فإن هذا الأمر يستلزم كينونة الوصيّ وتعيينه، منذ كينونة النبيّ وبَعْثِه، بل إنّ الأمر أبعَد من ذلك، إذ إنّ تعيين النبيّ منذ الخَلق استلزم تعيين الوصيّ، وهو ما جاءَ في قوله (صلّى الله عليه وآله وسلم):

«**كنتُ أَنَا وَعَلِيٌّ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ الله عَزَّوَجَلَّ مُعَلَّقًا، يُسَبِّحُ اللهَ ذلِكَ النُّورُ وَ يُقَدِّسُهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ -الخَلْقَ- بِأَرْبَعَةِ الفِ عام، فَلَمّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ رَكَّبَ ذلِكَ النُّور في صُلْبِهِ، فَلَمْ نَزَلَ شَيْئًا واحِدًا حَتَّى افْتَرَقْنا في صُلْبِ عَبْدِ المُطَلِّبِ فَجُزْءٌ أَنَا وَجُزْءٌ عَلِيٌّ**»[3].

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله(صلّى الله عليه وآله).

---

(١) الكافي: ج١ ص٥٣٤

(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ج٥٧، ص٢١٣، مستدرك سفينة البحار، عليّ النمازيّ: ج٥/ ص٢٧٨.

(٣) ينابيع المودّة، القندوزيّ: ج٢/ ص٣٠٧، شرح إحقاق الحقّ، المرعشّي: ج٥/ ص٢٤٤.

المطلب العاشر: الحقول المعرفيّة في قوله (عليه السلام): «مِنْ سَابِقٍ سُمِّي لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جملة من الحقول المعرفيّة كاللُّغة والإعراب والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- الراونديّ:

قال: «**الغابر**: الباقي[1]، والمستقبل هنا، وإن كان من الأضداد[2]»[3].

ثانيًا- الكيذريّ:

قال: «**مِن سَابِقٍ**، أي من نبيّ، **سُمّيَ لَهُ**: أي سَمِيُّ الله، أو **غَابِرٍ**: أي باقٍ»[4].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «**والغَابِر**: الباقي، والماضي أيضًا وهو من الأضداد[5]»[6].

رابعًا- النقويّ:

قال: «(**غَابِرٍ**) اسم الفاعل من (غَبَرَ)، والغابر: الباقي، يُقال هو غَابِر بني

(١) الصحاح: ج٢/ ص٧٦٥، مادّة (غبر). وورد هذا المعنى في: شرح نهج البلاغة، المعتزلّي: ج١/ ص١١٤، في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٥٦، بهج الصباغة: ج٢/ ص٤٣.
(٢) ينظر: جمهرة اللُّغة، ابن دريد: ج١/ ص ٣٢٠، مادّة (غبر).
(٣) منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص٧٧.
(٤) حدائق الحقائق: ج١ ص١٤٠
(٥) ينظر: جمهرة اللُّغة، ابن دريد: ج١/ ص٣٢٠، مادّة (غبر)، الصحاح: ج٢/ ص٧٦٥، مادّة (غبر).
(٦) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٠، وقد ورد هذا المعنى في: منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٥٤.

فُلان، أي بقيّتهم»[1].

خامسًا- الشيرازيّ:

قال: «(**غَابِرٍ**) من مادّة (غبار) و (غبور) بمعنى: الشيء المتبقّي، ومن هنا يُطلق على الحليب المتبقّي في الثدي اسم الغبرة، كما يُطلق الغُبار على التراب المتبقّي في الهواء، ويقال الغابر للأشخاص والأزمنة الماضية[2]»[3].

المسألة الثانية: الإعراب:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «(**أَوْ غَابِرٍ**) أي باقٍ عرّفه مَنْ قبله؛ (**ما**) ها هنا فاعل، (**مِنْ سَابِقٍ**) من نبيّ سابق»[4].

ثانيًا- الخوئيّ:

قال: «وكلمة (**مِنْ**) في قوله (عليه السلام): (**مِنْ سَابِقٍ**) بيانٌ للرُّسل وتفصيلٌ لهم»[5].

ثالثًا- التستريّ:

قال: «(**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ**) (**مَنْ**) للموصول»[6].

(١) مفتاح السعادة: ج٣/ ص٢٩٧-٢٩٨..
(٢) ينظر: مقاييس اللُّغة، ابن فارس: ج٤/ ص٤٠٨، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ: ص٣٥٨، مادّة (رغب)، لسان العرب، ابن منظور: ج٥/ ص٣، مادّة (غبر).
(٣) نفحات الولاية: ج١/ هامش ص١٤٣.
(٤) معارج نهج البلاغة: ص٧٢.
(٥) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٥٤.
(٦) بهج الصباغة: ج٢/ ص٤٣.

رابعًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة:

«**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**»: (**مِنْ سَابِقٍ**): جار ومجرور في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، (**سُمِّيَ**): فعلٌ ماضٍ للمجهول مبني على الفتح، (**لَهُ**): جار ومجرور متعلِّق بـ (**سُمِّيَ**)، (**مَنْ**): اسم موصول في محلّ رفع نائب فاعل، (**بَعْدَهُ**): ظرف زمان وهو مضاف والهاء في محل جرّ مضاف إليه، وشبه الجملة صلة موصول، والجملة الفعلية صفة لـ (**سَابِقٍ**)، (**أَوْ**): حرف عطف، (**غَابِرٍ**): اسم معطوف على (**سَابِقٍ**) مجرور، (**عَرَّفَهُ**): فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر، والهاء ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به أول، (**مَن قَبْلَهُ**): (**مَنْ**): اسم موصول في محلّ نصب مفعول به ثانٍ، (**قَبْلَهُ**) ظرف مكان منصوب وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل في محلّ جرّ بالإضافة وهي صلة الوصول لا محل لها من الإعراب، والجملة معطوفةٌ على سابقتها.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح:

أولًا- الراونديّ:

قال: «كان من ألطاف الأنبياء المتقدّمين وأوصيائهم أنْ يَعرفوا الأنبياء المتأخّرين وأوصياءهم، فعرّفهم الله ذلك، وكان لُطف المتأخّرين منهم أيضًا أنْ يعرفوا أحوال المتقدّمين من الأنبياء والأوصياء، فعرّفهم الله أيضًا ذلك، فتمَّ اللُّطف لجميعهم»[1].

ثانيًا- المعتزليّ:

قال: «قال [الراونديّ] في تفسير قوله (عليه السلام): (**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ**

(١) منهاج البراعة: ج١/ ص ٨٤.

لَـهُ مَـنْ بَعْـدَهُ، أَوْ غَابِـرٍ عَرَّفَـهُ مَـن قَبْلَـهُ): كان مـن ألطـاف الأنبيـاء المتقدمـين وأوصيائهـم، أنْ يعرفـوا الأنبيـاء المتأخّريـن وأوصياءهـم، فعرّفهـم الله تعـالى ذلـك، وكان مـن اللُّطف بالمتأخِّريـن وأوصيائهـم أنْ يعرفـوا أحـوال المتقدِّمين من الأنبيـاء والأوصيـاء، فعرَّفهـم الله تعـالى ذلـك أيضًـا، فتـمَّ اللطـف لجميعهـم[1].

ولقائـل أن يقـول: لـو كان (عليـه السـلام) قـال: (**أو غَابِـرٍ عَـرَّفَ مَـنْ قَبْلَـهُ**) لـكان هـذا التفسـير مطابقًـا؛ ولكنَّـه (عليـه السـلام) لم يَقُـل ذلـك، وإنَّـما قـال: (**عَرَّفَـهُ مَـن قَبْلَـهُ**) وليـس هـذا التفسـير مطابقًـا لقولـه: (**عَرَّفَـهُ**)، والصحيـح أنَّ المـراد بـه: مـن نبـيّ سـابق عَـرَفَ مَـن يـأتي بعـده مِـنَ الأنبيـاء؛ أي عرَّفَـهُ الله تعـالى ذلـك، أو نبـيّ غابـر نَـصَّ عليـه مـن قبلـه، وبـشَّر بـه كبشـارة الأنبيـاء بمحمّـدٍ (عليـه السـلام)»[2].

ثالثًا- البحرانيّ:

قـال: «قولـه (عليـه السـلام): (**مِـنْ سَـابِقٍ سُـمِّيَ لَـهُ مَـنْ بَعْـدَهُ**) تفضيـل للأنبيـاء، و(**مِـنْ**): هاهنـا للتمييـز والتبيـين؛ والمـراد أنّ السـابق منهـم قـد أطلعـه اللهُ تعـالى عـلى العلـم بوجـود اللّاحـق لـه بعـده، فبعضهـم كالمقدّمـة لتصديـق البعـض؛ كعيسـى (عليـه السـلام) حيـث قـال: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُـولٍ يَـأْتِي مِـنْ بَعْـدِي اسْـمُهُ أَحْمَـدُ**﴾[3]، وبـين لاحـق سـمّاه مـن قبلـه كمحمّـدٍ (صلـى الله عليـه وآلـه)»[4].

(١) منهاج البراعة، الراونديّ: ج١/ ص ٨٤.
(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١١٥-١١٦.
(٣) الصف: ٦.
(٤) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٤.

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «إنّه (عليه السلام) بيَّن الرُّسل وميَّزهم بقوله: (**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ**) أي لاحِق (**عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**)؛ يعني أنّهم بين سابقٍ سَمّى لنفسه مَنْ بعده، بمعنى أنّه عَيَّن من يقوم مقامه من بعده، أو أنّ السابق سَمّى اللهُ له مَنْ يأتي بعده وأَطْلَعَهُ عليه، وبين لاحق عرّفه مَنْ قبله وبشَّر به؛ كتعريف عيسى (عليه السلام) وبشارته بالنبيّ (صلّى الله عليه وآله) كما قال سبحانه حكايةً عنه: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[1].

وقد مرّ في حديث الكافي[2] عند شرح قوله: (**وَاصْطَفَى مِنْ وُلْدِهِ أَنْبِيَاءَ**)، تفصيل بشارة الأنبياء السّلف للخَلَف سلامُ الله عليهم أجمعين فتذكَّر»[3].

خامسًا- مغنية:

قال: «(**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ**)؛ أي إنّ الله سبحانه أَخبَرَ وسَمّى للنبيِّ السابق الذي ذهب بذهاب زمانه، سَمَّى له النبيّ الذي يأتي بعده، (**أَوْ غَابِرٍ**) الباقي الموجود بالفعل، قال تعالى: ﴿**فَأَنْجَيْنَاه وأَهْلَه إلّا امْرَأَتَه كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ**﴾[4] أي من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا، (**عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**)؛ بشّر السابق به، كما بشّر عيسى (عليه السلام) بمحمّدٍ (صلّى الله عليه وآله):

(١) الصف: ٦.
(٢) للمزيد من التفصيل ينظر: الكافي، الكلينيّ: ج ٨/ ص١١٣-١٢٠، منهاج البراعة، حبيب الله الخوئيّ: ج٢/ ص١٣٧-١٤٤.
(٣) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٦٠ - ١٦١.
(٤) الأعراف: ٨٣.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1]»[2].

سادسًا- التستريّ:

قال: «(مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ)... (بَعْدَهُ) حتّى يأخذ ذلك النبيّ السابق من أُمّته العهدَ للنبيِّ اللّاحق؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النبيّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾[4]، ﴿الذينَ يَتَّبِعُونَ الرسول النبيّ الْأُمِّيَّ الذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾[5].

(أَوْ غَابِرٍ)، أي: باقٍ، (عَرَّفَهُ) أي: عرّفه الله، (مَنْ قَبْلَهُ)، أي: النبيّ الذي كان قبله، فيجب على أمّة النبيّ الباقي أنْ يؤمنوا بنُبوّة النبيّ الماضي؛ فإنّه لا فرق بين أنْ يُنكروا نبوّة نبيّ عصرهم أو نُبوّة مَن كان قبله، فالكلّ من عند واحدٍ: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنبيّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا

(١) الصف: ٦.
(٢) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٦٠.
(٣) آل عمران: ٨١.
(٤) الصف: ٦.
(٥) الأعراف: ١٥٧.

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]، **﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ...﴾**[2].

قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي في تفسير قوله (عليه السلام): (**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**): كان من ألطاف الأنبياء المتقدِّمين وأوصيائهم أنْ يعرفوا الأنبياء المتأخّرين وأوصياءهم، فعرّفهم الله تعالى ذلك، وكان لُطف المتأخّرين وأوصيائهم أنْ يعرفوا أحوالَ المتقدّمين من الأنبياءِ والأوصياء، فعرّفهم الله تعالى ذلك، فتمَّ اللُّطف لجميعهم[3].

قال ابن أبي الحديد: (ولقائلٍ أن يقول: لو كان (عليه السلام) قال: (**أو غابر عرف من قبله**) لكان هذا التفسير مطابقًا؛ ولكنَّه (عليه السلام) لم يقل ذلك، وإنَّما قال: (**عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**) وليس هذا التفسير مطابقًا لقوله: (**عَرَّفَهُ**)، والصحيح أنَّ المراد به: من نبيّ سابق عرف مَنْ يأتي بعده من الأنبياء؛ أي عرّفه الله تعالى ذلك، أو نبيّ غابر نصَّ عليه من قبله، وبشَّر به كبشارة الأنبياء بمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم))[4].

قلت: إنّ ابن أبي الحديد توهّم أنّ الفاعل في قوله (عليه السلام): (**عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**) (من) مع أنّ الفاعل فيه ضمير (الله)، كما في قوله (عليه السلام): (**سُمِّيَ**)، وأمّا المعنى الذي ذُكِرَ قبلًا مُحصَّلٌ، فأيّ معنى لما قاله من أنّ السابق إمَّا عرف من بعده، وإمّا نَصّ على مَن بعده؟ ومن الغريب أنّ مَن بعده تَبِعَهُ على وَهْمِه، وأنّه لم يَتَعرّض أحدٌ لدفع تعصباته على الراوندي، وقد عرفت ممّا

(١) آل عمران: ٨٤.
(٢) الصف: ٦.
(٣) ينظر: منهاج البراعة: ج١/ ص٨٤، شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١١٥-١١٦.
(٤) شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ج١/ ص ١١٦.

شرحنا أنّ الفقرتين إشارةٌ إلى الآيات التي قلنا، وأنّ المراد بالسابق والغابر أُممها، ﴿...وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]»[2].

سابعًا- النقويّ:

قال: «وأمّا قوله (عليه السلام): (مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ..) إلى آخره؛ يعني إنّ السّابق من الأنبياء قد أخبر لَاحِقَهُ ولَاحِقُه قد أخبر عن صِدْقِ سابقه وحقّانيّته، وقد أشار الله تعالى إليهما في كتابه الكريم.

أمّا الأوّل: فكما قال الله تعالى حكايةً عن المسيح: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي﴾[3]؛ حيث أخبر المسيحُ (عليه السلام) عن نبوّة نبيِّنا مصرِّحًا باسمه؛ وهذا يدلُّ على حقّانيّته في نُبوّته، وإلى الثاني فكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[4] حيث إنّ الله تعالى صَدَّق نبوّة أنبياء السلف وكلَّ ما جاؤوا به، ولا شكَّ أنّ تصديق الله هو تصديقُ الرسول، وغرضُه (عليه السلام) من إيراد تلك الجملة الإشعار بانّ الأنبياء وإنْ كانوا كَثيرين بالنَّظرِ إلى عدَدهم إلّا أنّهم من حيث المقصد والغاية واحدٌ لا تكثُّرَ فيهم؛ وذلك لأنّ غرضَ الكُلّ الدعوة إلى الله تعالى، ولأجل ذلك ورد أنّ من أنكر واحدًا منهم كمَن أنكرهُم جميعًا، ولولا اتّحادهم من حيث الغرض والمقصد لما كان كذلك»[5].

(١) البقرة: ٢١٣.
(٢) بهج الصباغة: ج٢/ ص ٤٣ - ٤٥.
(٣) الصف: ٦.
(٤) البقرة: ٤.
(٥) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٨٢-٢٨٣.

ثامنًا- الشيرازيّ:

قال: «يُواصل (عليه السلام) حديثَهُ عن الأنبياء وكيفيّة ارتباط بعضهم بالبعض الآخر، ووحدة رسالتهم وهدفهم فقال: (**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**).

فقد حدَّد (عليه السلام) في هذه العبارة أُسلوبًا من أساليب التعرُّف على الأنبياء في أنْ يقوم نبيّ ببشارة قومه بالنبيّ الذي يأتي مِن بعده، وبهذا يُعرف النبيّ من خلال البشارةِ به[1]»[2].

تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشد قولُه (عليه الصلاة والسلام): «**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**» - فضلًا عمّا أفادهُ الشرّاح - إلى أُمورٍ منها:

أولًا- دلالة النصّ في الاصطفاء والاختيار المسْبَق من الله تعالى.

إنّ اصطفاء الأنبياء(عليهم السلام) من وُلْدِ آدم محدّد من الله تعالى ومسبوق تعيينهم قبل أن يبعثهم الله تعالى بالنبوّة، وقد جرى التعريف بينهم عبر السابق بمَن يأتي من بعده؛ أي لم يكن الأمر آنيًا بحسب طبيعة أهل كلّ زمان ومكان، بل هم مصطَفون ومختارون من قبل، وقد كشفت العديد من النصوص الشريفة عن هذه الحقيقة وبيّنت أنَّ الله تعالى اختارهم واصطفاهم

(١) لقد ورد الفعل «سُمِّي» بصيغة المجهول في بعض نسخ نهج البلاغة وما ذكرناه سابقًا يتفق وهذه النسخة، أمّا إذا ذُكر بصيغة المعلوم تصبح العبارة بهذا الشكل: «مِن سَابِقٍ سَمَّى لَهُ مِن بَعدَه» إلّا أنّ الاحتمال الأول أنسب. نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازيّ: ج١/ ص١٤٤.

(٢) نفحات الولاية: ج١/ ص ١٤٣-١٤٤.

على الخَلق واجتباهم للنبوةّ والرسالة والإمامة، فمنها:

١- قال تعالى ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[١].

٢- وفي موسى الكليم (عليه السلام): ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾[٢].

٣- وفي مريم (عليها السلام): ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾[٣].

٤- ﴿**قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٤].

ومن الأحاديث الشريفة:

روى ابن شاذان بإسناده، والشيخ الطوسيّ، عن أبي سلمى[٥] راعي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال: «سمعتُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: **لَيْلَةَ أُسري بي إلى السَّماء قالَ ليَ الجليلُ جَلّ جَلالُه: ﴿آمَنَ الرسول بِمَا أُنْزِلَ إليه مِنْ رَبِّهِ﴾ -قلت:- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كلّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾**[٦].

قال: صَدَقتَ يَا مُحمّد، مَنْ خَلَّفتَ في أُمَّتِك؟ قُلت: خَيِّرُهَا . قَال: عَليٌّ بنُ أبي طَالبٍ (عليه السلام)؟ قُلت: نَعَم يا رَبِّ .

---

(١) آل عمران: ٣٣-٣٤.
(٢) طه: ١٣.
(٣) آل عمران: ٤٢.
(٤) النمل: ٥٩.
(٥) تُرجم له في الإصابة، ابن حجر: ٤ / ٩٤، أسد الغابة، ابن الأثير: ٥ / ٢١٩، تقريب التهذيب، ابن حجرٍ: ٢ / ٤٣٠ رقم ٦٠ .
(٦) البقرة: ٢٨٥.

قـالَ: يـا مُحمَّـد إنّي اطَّلَعـتُ إلى الأرضِ [إطّلاعَـةً] فاختَرتُـكَ مِنهـا فشَـقَقْتُ لـكَ اسمًا مِـن أَسـمائي فَـلا أُذْكَـرُ في موضـعٍ إلّا ذُكِـرتَ مَعـي، فأنـا المحمـودُ وأنـتَ مُحمَّـد، ثُـمّ اطَّلَعـتُ الثانيـةَ فاختَرتُ منهـا عَليًّـا، فشَـقَقْتُ لـهُ اسمًا مِـن أسـمائي فأنـا [العَـلِيُّ] الأعـلى، وَهُـوَ عَـلِيّ.

يـا مُحمّـد إنّي خَلقتُك وَ [خَلقـتُ] عَلِيًّـا وفاطِمَـةَ وَالحسَـنَ وَالحُسَـينَ وَالأئمّـة مِنْ وُلْـدِهِ مـن سُـنْخِ نُـورِي، وَعَرَضـتُ وِلايَتَكُـم عَـلى أَهْـلِ السَّـماواتِ وَأهـلِ الأَرَضِـينَ فَمَـنْ قَبِلهـا كَانَ عِنـدِي مِـنَ المؤمِنيـنَ، وَمَـنْ جَحَدَهـا كَانَ عِنْـدِي مِـنَ الكَافِرِيـنَ.

يَـا مُحَمَّـدُ لَـوْ أَنَّ عَبـدًا مِـنْ عَبِيـدِي عَبَـدَنِي حَتَّـى يَنْقَطِـعَ وَيصيـرُ كَالشَـنِّ البَـالي ثُـمَّ أَتَـاني جَاحِـدًا لِوِلايَتِكُـم مَـا غَفَـرتُ لـهُ حَتَّـى يُقِـرَّ بِوِلايَتِكُـم .

يَـا مُحَمَّـدُ [أ] تُحِـبُّ أَنْ تَرَاهُـم؟ قُلْـتُ: نَعَـمْ يَـا رَبِّ. فَقَـال لِي: التَفِـتْ عَـن يَمِيْنِ العَـرْشِ؛ فَالتَفَـتُّ فَـإذا أَنَـا بِعَـلِيٍّ وَفَاطِمَـةَ وَالحَسَـنِ والحُسَـيْنِ وَعَـلِيِّ بـنِ الحُسَـيْنِ وَمُحَمَّـدِ بـنِ عَـلِيٍّ وَجَعْفَـرِ بـنِ مُحَمَّـدٍ وَمُوْسَـى بـنِ جَعْفَـرٍ وَعَـلِيِّ بـنِ مُوْسَـى وَمُحَمَّـدِ بـنِ عَـلِيٍّ وَعَـلِيِّ بـنِ مُحَمّـدٍ وَالحَسَـنِ بـنِ عَـلِيٍّ وَالمَهْـدِيّ فِي ضَحْضَـاحٍ مِـن نُـورٍ، قِيَـامٍ يُصَلُّـون وَهُـوَ فِي وَسَـطِهِم -[يعنـي] المهـديّ- يُضيـئ كَأَنَّـهُ كَوكَـبٌ دُرِّيٌّ .

فقـال: يـا محمّـدُ هَـؤلاءِ الحُجَـجُ وَهُـوَ الثَّائِـرُ مـن عِتْرَتِـكَ، فَـوَ عِـزَّتي وجَـلالي أنّـه النـاصِرُ لأوليائـي، والمُنتقِـمُ مـن أَعدائـي وَلهُـمُ الحُجَّـة الواجبـةُ وبهـم يُمسِـكُ اللهُ السَّـماوَاتِ أَنْ تَقَـعَ عـلى الأرضِ إلّا بِإذْنِـه»[1].

ومـن ثـمّ فاختيـار الأنبيـاء والرُّسـل وأوصيائهـم (عليهـم السـلام) قـد جـرى قبـل بَعْثِهـم وأرسـالهم إلى النـاس، فكانـوا يعرفـون مـن يـأتي بعده وجـرى التعريف

(١) مائة منقبة، ابن شاذان: ص٣٩، الغيبة، الطوسّي: ص١٤٩

«مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ».

ثانيًا- من عجائب قوله (عليه السلام) الجمعُ بين الأضدادِ في لفظتي «السابق» و«الغابر» والمغايرة في النتيجة بين التسمية والتعريف.

أشار الشرّاح (جزاهم الله خيرًا) إلى بيان المعنى اللُّغويّ لمفردتَي «**السابق والغابر**»، وهو أنّ «الغابر: الباقي، والماضي أيضًا، وهو من الأضداد[1]»[2] إلّا أنّهم لم يُنَوِّهُوا بالمغايرة في الدلالة، وذلك لما يأتي:

١ـ دلالة إقران الغابر بالتعريف.

إنّ دلالة (الغابر) يُراد بها ما بقيَ من آثار النبيّ الدالّة على النبيّ اللَّاحق به، ومنه سُنَّته المشتملة على أقواله وأفعاله وسيرته؛ وذلك أنّ غبار الهواء يُراد به وجود آثار التراب المنتشرة والمتطايرة في الفضاء لتدلّ على مرور الريح وملامسته الأرض، فيستدلّ الناظر إلى وجود حركة هواء لاحقة ستأتي ليأخذ استعداده لها، ومن ثَمّ يكون الغبار مُعرِّفًا بما يأتي من الريح اللَّاحقة.

والدلالة عينها يستخدمها الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في تعريف كلّ نبيّ بمن يأتي من بعده عبر آثاره وسُنَّته بين الناس كما فعل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مع أمير المؤمنين (عليه السلام) منذ أن وُلِدَ في بيت الله الحرام إلى يوم التحاق سيّد الخلق (صلّى الله عليه وآله) بربّه تعالى، فكان هو المتولّي لغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه.

(١) ينظر: جمهرة اللُّغة، ابن دريد: ج١/ ص٣٢٠، مادّة (غبر)، الصحاح: ج٢/ ص٧٦٥، مادّة (غبر).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ: ج١/ ص٢٠٠، وقد ورد هذا المعنى في: منهاج البراعة، الخوئيّ: ج٢/ ص١٥٤.

والحال جرى مجراه مع الأنبياء (عليهم السلام)؛ فقد دلّت آثارهم القوليّة والعمليّة بالتعريف على مَن يكون بعدهم؛ كحال إبراهيم مع وَلَدِه إسماعيل وتقديمه قربانًا لبيت الله ففداه الله تعالى بِذَبْحٍ عظيم، وحال موسى مع أخيه هارون وتخليفه إيّاه في قومه للخروج إلى الميقات، وحال يعقوب مع وَلَده يوسف، وغيرها من الشواهد الكاشفة عن دلالة قول أمير المؤمنين(عليه السلام) في تعريف الغابر من الأنبياء باللَّاحق لهم عبر آثاره القوليّة والعمليّة.

وقد بيّن القرآن إجراءَ هذه السُنّة الإلهيّة بين الأنبياء في التعريف بدين الله وأنبيائه، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[1].

فكان قولهم: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ كاشفا عن دلالة لفظ الغابر من الأنبياء (عليهم السلام).

٢ـ دلالة إقران السابق بالتسمية.

أمّا دلالة السابق من الأنبياء وإقرانه بالتسمية؛ فهو يدلّ على التعيين والتصريح باسم النبيّ التالي للأول، كما جاء في تسمية نبيّ الله يحيى في قوله تعالى: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾[2]،

(١) البقرة: ١٣٢-١٣٣.
(٢) مريم: ٧.

فقد سبق زكريا ولده يحيى قبل ميلاده بتسميته، فكان لِزامًا عليه أن يُخبر باسم النبيّ الذي يليه، وهو وَلَدُه.

وكذا جرت التسمية بالنبي الذي يلي عيسى، فقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[1].

والحال يجري مجراه في المصطفين من غير الأنبياء؛ كامرأة عمران فجرت سُنّة التسمية لمريم:

﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[2].

وقد تلتها في التعيين ابنتُها مريم وأنّها المصطفاة بالحَمل والتسمية لنبيّ الله عيسى، لتُعرّف الناسَ بإسمه، قال تعالى:

﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾[3].

ومن ثَمّ: لا يُمكن أنْ يكون كلامه (عليه الصلاة والسلام) في «**السابق والغابر**» ضمن دلالةٍ واحدة ونتيجة واحدة؛ بمعنى: إنّ سيرة العقلاء تقتضي الجمع بين التسمية والتعريف، أي إنّنا حينما نريد أنْ نُبَيِّن للناس في حياتنا

(١) الصف: ٦.
(٢) آل عمران: ٣٦.
(٣) آل عمران: ٤٥.

الشخصيّة والعامّة موارد الإنابة أو الوصيّة أو الوكالة نُسمّي مَنْ نختاره لذلك، ولكن التسمية وحدها لا تكفي عند احتمال وجود خلاف بين الناس في الرجوع إلى النائب أو الوصيّ أو الوكيل، بل لا بُدّ من التعريف به وبيان مُشخَّصاته وسِماته للناس؛ وذلك لِقَطع العُذر وبُلوغ الحُجَّة على الناس، فكيف بأمر الشريعة والمشرع والنجاة في الدنيا والآخرة.

ثالثا- دلالة النصّ الشريف في تمسّك النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بسُنَّة الله في تسمية أوصيائه والتعريف بخُلفائه (عليهم السلام).

إنّ ممّا لاريب فيه أنْ يسير النبيّ المصطفى(صلّى الله عليه وآله) على هذا النهج الإلهي في تسمية الأوصياء من بعده وخلفائه على شريعته، كما مضى على ذلك الأنبياء (عليهم السلام) منذ آدم وصولًا إليه (صلّى الله عليه وآله)، فلم تكن مناسبةٌ أو حدث إلّا وقد عرَّف بأهل بيته (عليه السلام) بوصفهم أوصياءه وخلفاءه على شريعته، ملازمًا قوله وفعله للقرآن الكريم؛ كما في آية المباهلة في حادثة مجيء نصارى نجران وخروجه بأهل بيته عليّ وفاطمة ووَلَديهما (عليهم السلام)، فنزل فيهم قولُه تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ الله عَلَى الكَاذِبِينَ﴾[1].

إلّا أنّ ثمةَ أمرًا لا يسعنا تركه وبيانه؛ وهو تعاظُم الأمّة التي عايشها أهل البيت (عليهم السلام) وتعاقُب الحكّام وما أحاط عملية تدوين العلوم والمعارف

(١) آل عمران: ٦١.

الإسلامية في منتصف القرن الثاني للهجرة النبويّة على طَمس منهج النبيّ الأعظم في تعيين أوصيائه والتعريف بخلفائه، فما من قولٍ أو فعل له (صلّى الله عليه وآله) فيه تعريف أو تسمية لهم إلّا وجهد مخالفو أهل البيت (عليهم السلام) بطَمسه ومَحوه وتَحريفه وأقلّ ما حاولوه هو تأويلُه؛ وذلك حينما يصطدمون بتكاثر أسانيده وصِحّتها وتواترها في الأمّة، وحسبنا منها حديث غدير خُمّ.

وأمّا ما رافق الآيات المباركة في التعريف والتعيين والتنصيص عليهم ولا سيّما آية التطهير، فكانت من الأعاجيب؛ وذلك أنّ هذه المحاولات اليائسة لم تكن لتنتهي منذ أنْ نزلت هذه الآية، كما أنّها لا تنتهي! والعِلّة في هذه الظاهرة هو وجود طبقة في المجتمع المسلم قد نصبت العِداء لآل البيت (عليهم السلام)، ولاسيّما عداءها لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد تعاهدوا على عدائه ومحاربته، بل والتجاهر بسَبِّه وشتمه؛ كما يدلّ عليه حديث عمارة بن شدّاد مع واثلة بن الأسقع الذي اشترك مع مجموعة من الناس في شتم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وذلك حينما دخل على ابن الأسقع مع مجموعة من هؤلاء النواصب فشتموا عليًّا عنده ولم يَنهَهُم عن ذلك ويحفظ ذمّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) حتّى إذا خرجوا، قام فحدّث شدّاد بن عمارة عن آية التطهير، وكيف أنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قام بتجليلهم بذلك الكساء.

والرواية يُخرجها أحمد في المسند الذي لم يَسْلَم هو الآخر؛ أي هذا المسند من التحريف في الوقت الحاضر، فقد حُذِفَ شتمُهم لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من حديث واثلة بن الأسقع، لأنّهم يُريدون أنْ يطمسوا على حقيقة

وقوع البعض في ظلم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وانتهاكهم لحُرمته في أهل بيته (عليهم السلام)؛ في حين قام غيرُ واحدٍ من المصنّفين بنقل الرواية كاملة، كالحافظ الثعلبيّ، والرواية كما يلي:

فعن شداد بن عمارة[1] قال: دخلتُ على واثلة بن الأسقع وعنده قومٌ فذكروا عليًّا -عليه السلام- فشتموه فشتمتُه معهم، فلمّا قاموا، قال لي:

لِمَ شتمتَ هذا الرجل؟

قلت: رأيت القوم يشتمونه فَشتَمتُه معهم.

فقال: ألا أُخبرك بما رأيت من رسول الله (صلّى الله عليه -وآله- وسلم)؟

قلتُ: بلى.

فقال: أتيتُ فاطمةَ -عليها السلام- أسألها عن علي -عليه السلام-؛ فقالت:

«تَوَجَّهْ إلى رَسُولِ الله صلّى الله عَليهِ وَآله وَسَلَّم».

فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله فجلس ومعه عليٌّ وحَسنٌ وحُسينٌ أَخذَ كلّ واحدٍ منهما بيده حتّى دخل فأدنى عليًّا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأَجلس حَسنًا وحُسينًا كلّ واحدٍ منهما على فَخِذ ثُمّ لَفَّ عليهم ثَوبَه أو قال كساء ثُمّ تَلَا هذه الآية:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]، **ثم قال:**

(١) عدّه ابن حبّان في الثقات: ج٤ ص٣٥٨ .
(٢) الأحزاب: ٣٣.

«**هَؤلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ**»[1])[2].

وهذا العلم بحال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ونصّه وبيانه للآية وانحصارها بعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسين (عليهم السلام) هُو دالٌّ على تمسك النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بسُنّة الله تعالى في التعريف بمن يَخلُفُه وتسميتهم، وكذا فعلوا هم أنفسهم في التعيين والتعريف والنصّ على من يأتي من بعدهم ويَخلُفُهم على شرع الله تعالى منذ أمير المؤمنين (عليه السلام) أوّل الأوصياء والأئمّة المعصومين من بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإلى الإمام المهديّ (عجّل الله فرجه الشريف)، وما صَدر عنه (عليه السلام) في تعيين وتسمية النوّاب الأربعة في زمن الغَيبة الصغرى والتعريف بهم، ثُمّ التعيين والتعريف بالفقيه الأعلم العادل من فقهاء الإماميّة يكون مرجع أُمور الناس؛ كما أَسَّس له الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ (عليه السلام)، فقال:

«**مَنْ كَانَ مِنَ الفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالِفًا عَلَى هَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ**»[3].

ومِنَ ثمّ فقد كشف النّصُ الشريف المتعاضد والمتسق مع القرآن والسُنّة النبوية عن سُنّة الجعل الإلهي للخلفاء منذ آدم وإلى الإمام المهدي المنتظر

(١) مسند أحمد: ج٤، ص١٠٧، ونلاحظ أنّ هذه الطبعة قد حُذف منها (فشتموه فشتمته معهم فلما قاموا قال لي: لِمَ شتمت هذا الرجل قلت رأيتُ القوم يشتمونه معهم)، طبع دار صادر، بيروت.

(٢) انظر: أصل الحديث في: تفسير الثعلبي: ج٨ ص٤٣، شواهد التنزيل للحاكم النيسابوريّ: ج٢ ص٦٧، تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٢، تاريخ دمشق لابن عساكر: ج١٢ ص١٤٧، إمتاع الأسماع للمقريزي: ج٥ ص٣٨٤، العمدة لابن البطريق: ص٣٢.

(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العاملّي: ج٢٧ ص١٣١

(صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه المعصومين)؛ وإن تعددت سماتهم ووصفاتهم بين النبوة والرسالة والإمامة والوصاية.

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

المطلب الحادي عشر: الحقول المعرفيّة في قوله (عليه السلام): «عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ».

اشتمل اللَّفظ الشريف على جملة من الحقول المعرفيّة؛ كاللُّغة والإعراب والشرح، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:

أولًا- الراونديّ:

قال: «قوله (**نَسَلَتِ القُرُونُ**) أي مضت مسرعة، من نسلان الذئب، قال تعالى ﴿**إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**﴾[١]، وقيل: هو من نسلت الأنثى بولد كثير[٢].

والقرن: أهل كلّ مدة فيها نبيّ أو وصيّ، وفيها طبقة من العلماء[٣]، وسلف أي تقدّم[٤].

---

(١) يس: ٥١.

(٢) ينظر: العين، الفراهيديّ: ج٧/ ص٢٥٦-٢٥٧، مادّة (نسل)، تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج١٢/ ص٢٩٧، مادّة (نسل).

(٣) ينظر: العشرات في غريب اللُّغة، غلام ثعلب: ص١٤٣، باب (القرن)، تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج٩/ ص٨٤، مادّة (قرن).

(٤) ينظر: العين: ج٧/ ص٢٥٨، مادّة (سلف)، تهذيب اللُّغة: ج١٢/ ص٢٩٩، مادّة (سلف).

وخلف فلان أباه: أي صار خليفةً عنه وخلفًا وبدلًا عن أبيه[1]»[2].

ثانيًا- المعتزليّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**نَسَلَتِ القُرُونُ**) ولدت[3]»[4].

ثالثًا- البحرانيّ:

قال: «القرن: (الأمّة)[5]، و(**نَسَلَتِ**) أي درجت ومضت مأخوذ من نسل ريش الطائر ونسل الوبر إذا وقع[6]»[7].

رابعًا- الخوئيّ:

قال: «نسل نسلًا من باب ضرب كَثُرَ نَسلُه، ويتعدّى إلى مفعول، يُقال: نَسلتُه أي وَلدتُه، ونسل الماشي ينسل بالضمّ وبالكسر نَسْلًا ونَسَلًا ونسلانًا أسرع[8]، و(**نَسَلَتِ القُرُونُ**) أي ولدت أو أسرعت، وسلف: سلوفًا من باب قعد مضى

(١) ينظر: العين: ج٤/ ص٢٦٦، مادّة (خلف)، وورد قريب من هذا المعنى في: بهج الصباغة، التستريّ: ج٢/ ص١٢٧.
(٢) منهاج البراعة: ج١/ ص٨٧-٨٨.
(٣) ينظر: الصحاح: ج٥/ ص١٨٢٩، مادّة (نسل)، مقاييس اللُّغة: ج٥/ ص٤٢٠، مادّة (نسل).
(٤) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١١٧. وورد هذا المعنى في: في ظلال نهج البلاغة، مغنية: ج١/ ص٥٦.
(٥) العشرات في غريب اللُّغة، غلام ثعلب: ص١٤٣ باب (القرن)، أساس البلاغة: ج٢/ ص٧٣، مادّة (قرن).
(٦) ينظر: تهذيب اللُّغة: ج١٢/ ص ٢٩٧، مادّة (نسل)، الصحاح: ج٥/ ص ١٨٣٠، مادّة (نسل).
(٧) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص٢٠٠.
(٨) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة: ج٨/ ص٤٩٩، مادّة (نسل)، المصباح المنير: ج٢/ ص٦٠٤، مادّة (نسل).

وانقضى[١]، وخلفته: جئت بعده[٢]، والخَلَفُ بالتّحريك الولدُ الصالح، فإذا كان فاسدًا أُسكنت اللَّام وربّما استُعمل كلّ منهما مكان الآخر[٣]»[٤].

خامسًا- التستري:

قال: «(**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ**) من باب نصر، أي: أتت بولد كثير[٥]، (**الْقُرُونُ**) جمع القرن، وفي الصحاح: (القرن ثمانون سنة، ويُقال: ثلاثون سنة، والقرن من الناس أهل زمان واحد، قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم وخلّفت في قرن فأنت غريب)[٦].

(**وَمَضَتِ الدُّهُورُ**) أي: الأزمنة[٧]، (**وَسَلَفَتِ الآبَاءُ**) أي: مضوا[٨]»[٩].

سادسًا- الشيرازيّ:

قال: «(**نسلت**) القرون من مادّة (نسل) بمعنى تكاثر الأولاد[١٠]، والعبارة

(١) المصباح المنير: ج١/ ص٢٨٥، مادّة (سلف).
(٢) ينظر: جمهرة اللّغة، ابن دريد: ج١/ ص٦١٥، مادّة (خلف).
(٣) القاموس المحيط، الفيروز آباديّ: ج١/ ص ٨٠٧، مادّة (خلف).
(٤) منهاج البراعة: ج٢/ ص١٦٢.
(٥) ينظر: العين: ج٧/ ص٢٥٦-٢٥٧، مادّة (نسل)، تهذيب اللُّغة: ج١٢/ ص٢٩٧، مادّة (نسل).
(٦) الصحاح: ج ٦/ ص٢١٨٠، مادّة (قرن)، وورد قريب من هذا المعنى في: نفحات الولاية، الشيرازيّ: ج١/ هامش ص١٤٤.
(٧) ينظر: الصحاح: ج٢/ ص٦٦١، مادّة (دهر).
(٨) ينظر: المصباح المنير: ج ١/ ص٢٨٥، مادّة (سلف).
(٩) بهج الصباغة: ج٢/ ص١٢٦- ١٢٧.
(١٠) ينظر: العين: ج٧/ ص٢٥٦-٢٥٧، مادّة (نسل)، تهذيب اللُّغة، الأزهريّ: ج١٢/ ص٢٩٧، مادّة (نسل).

كناية رائعة عن توالي القرون؛ وكأنَّ كلّ قرنٍ قد وُلِد من القرن السابق»[1].

المسألة الثانية: الإعراب:

أولًا- البيهقيّ:

قال: «(**خَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**)، خَلَفَت: لازمٌ ومتعدٍّ، وهاهنا لازم»[2].

ثانيًا- الراونديّ:

قال: «قوله: (**عَلَى ذَلِكَ**) يتعلّق (على) بقوله: (**نَسَلَتِ القُرُونُ**)»[3].

ثالثًا- الخوئيّ:

قال: «قوله (عليه السلام): (**عَلَى ذَلِكَ**) متعلِّق بالفعل الذي يليه»[4].

رابعًا- مؤسّسة علوم نهج البلاغة:

«**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ**»: (**عَلَى ذَلِكَ**): جار ومجرور متعلق بـ (**نَسَلَتِ**)، (**نَسَلَتِ**): فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح، والتاء للتأنيث، (**الْقُرُونُ**): فاعل مرفوع، (**وَمَضَتِ**): الواو: حرف عطف، (**مَضَتِ**): فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح، والتاء للتأنيث، (**الدُّهُورُ**): فاعل مرفوع، «**وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**»: (**وَسَلَفَتِ**): الواو: حرف عطف، (**سَلَفَتِ**): فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح، والتاء للتأنيث، (**الآبَاءُ**): فاعل مرفوع، (**وَخَلَفَتِ**): الواو: حرف عطف، (**خَلَفَتِ**): فعلٌ ماضٍ مبني على

(١) نفحات الولاية: ج١/ هامش ص١٤٤.
(٢) معارج نهج البلاغة: ص٧٢.
(٣) منهاج البراعة: ج١/ ص٨٧.
(٤) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٦٢.

الفتح، والتاء للتأنيث، (**الأَبْنَاءُ**): فاعل مرفوع، والجمل متعاطفة.

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح:

أولًا- الراونديّ:

قال: «أشار (عليه السلام) بقوله: (**ذَلِكَ**) لَمَّا قال: (**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ**) إلى قوله: من قبل (**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ مِنْ نبيّ أَوْ حُجَّة**)[1].

يقول: ما مضى دهر ولا انقضى قرنٌ إلّا كان فيهم معصومٌ منصوب للرئاسة من قِبل الله منذ عهد آدم إلى عهد محمّد (عليهما السلام)، وكُلَّما غاب نجمٌ طلع نجم»[2].

ثانيًا- البحرانيّ:

قال: «وعلى ذلك أي على هذه الوتيرة والأسلوب والنظام الإلهي[3] قوله: (**مَضَتِ الأمم**[4]، **وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**)»[5].

ثالثًا- الخوئيّ:

قال: «اعلم أنّه (عليه السلام) ساق هذه الخطبة بما اقتضاه الترتيب الطبيعيّ؛ أي من لدن آدم (عليه السلام) إلى بَعْثِ محمّد (صلّى الله عليه وآله) وهداية الخلق به واقتباسهم من أنوار وجوده الذي هو المقصود العمدة في باب البعثة، فقال (عليه السلام): (**عَلَى ذَلِكَ**)؛ يعني على هذا الأسلوب

(١) هكذا عند الراونديّ وهي مختصره عن اصل الخطبة.
(٢) منهاج البراعة: ج١/ ص ٨٥-٨٦.
(٣) أي عدم إخلاء الأرض من حُجَّة.
(٤) «الدُّهُورُ» وليس الامم.
(٥) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص ٢٠٤.

الذي ذكرناه من عدم إخلاء الأرض والخَلْقِ من الأنبياء والحُجَج (**نَسَلَتِ القُرُونُ**) وولدت أو أسرعت؛ وهو كناية عن انقضائها، (**وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الآبَاءُ**)، أي تقدَّمُوا وانقضُوا، (**وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**)، أي جاؤوا بعد آبائهم وصاروا خليفةً لهم»[1].

رابعًا- مغنية:

قال: «(**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**)؛ ذلك إشارة إلى ما تقدّم من قوله: (**لَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ . . .**) إلخ. وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا ولا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا**﴾[2]»[3].

خامسًا- النقويّ:

قال: «قولُه (عليه السلام): (**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**)؛ أي على هذه القاعدة والنَّمط الذي شرحناه وفصّلناه من اصطفاء الله سبحانه من وُلْدِ آدم أنبياءه وتواترهم إلى آخر ما قال (عليه السلام) إلى هذا المقام قد انفصل قرن عن قرن؛ أي أمّة عن أمّة فإنّ القرن القوم؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾[4] أي الأقوام والأمم والغرض أنّ انفصال أمّةٍ عن أمّة إنّما هو بنبيِّها؛ وهو كناية عن مُضِيِّها ومُضِيِّ الزمان وعلى ذلك مضت الآباء

(١) منهاج البراعة: ج٢/ ص ١٦٣.
(٢) الإسراء: ٧٧.
(٣) في ظلال نهج البلاغة: ج١/ ص٦١.
(٤) يونس: ١٣.

وخَلَفت الأبناء، وفي الكُلِّ إشعار بأنّ مُضِيَّ الزمان كان على هذه الوتيرة والأسلوب والنظام»[1].

سادسًا- الشيرازيّ:

قال: «يُشير (عليه السلام) إلى ثُبوت هذه السُنّة قائلًا: (**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**)»[2].

سابعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:

يُرشد قوله (عليه الصلاة والسلام): «**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**» -فضلًا عمّا أفاده الشرّاح - إلى أنّ النصّ الشريف هو قطعة مُتَّسِقة ومتناسقة في المعنى والدلالة، فكان مفهوم كلامه كاشفًا عن مصداقه، ومصداقه مُرشدًا إلى مفهومه في بيان سُنّة الله تعالى التي أجراها في وُلْدِ آدم مُنذ أنْ أهبطه إلى الأرض، فاصطفى منهم أنبيائه ورُسله (عليهم السلام)، «**أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**» ليُخرجوهم من الظُلمات إلى النور، «**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه**»، فكان همُّهم في ليلهم ونهارهم أنْ يُرجِعوا الناس إلى الله «**يَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ**» فعلى ذلك توالدت القرون وتجدّدت الأزمنة، «**ولَمْ يُخْلِ الله سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ**

(١) مفتاح السعادة: ج١/ ص٣٨٣.
(٢) نفحات الولاية: ج١/ ص١٤٤.

نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ»، لتكون الحُجَّة البالغة لله على خلقه، «**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**»، لا يحيدون عن سُنّة الله تعالى في أنبيائه ورُسله، فهم يسيرون على آثار آبائهم ويتوارثون معتقداتهم «**إِلَى أَنْ بَعَثَ الله سُبْحَانَه مُحَمَّدًا، رَسُولَ الله (صلّى الله عليه وآله) لِإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه**».

والحَمْدُ لله على فَضْلِه وَفَضْلِ رسوله (صلّى الله عليه وآله).

القسم الثالث:

« خاتمة البحث ونتائجه »

لم يُردِف الشرّاح البحثَ بخاتمةٍ سوى الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، وقد صدّرها بعنوان: (تأمّلات).

أمّا ما تعلق بالنتائج فأنّنا سنُوردها بحسب مواقعها في المطالب بِنَحْوٍ مختصر؛ ليتسنى للقارئ والباحث الرجوع إليها دون الحاجة إلى المزيد من المراجعة، ففيها المختصر لمن تعذّر عليه الوقت أو التأمّل في النصّ الشريف.

المسألة الأولى: خاتمة الشرّاح للنّص الشريف.

- الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ:

قال في تأملاته:

«١- الأنبياء بمثابة المزارعين.

ما تُفيده عبارة أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّ القُدرة الإلهيّة المطلقة قد أودعت الذات الإنسانيّة قابليّة كافّة أسباب الخير والصلاح والفلاح، وقد نشرت كافّة البذور والرياحين العطرة ساحة قلب الإنسانيّة الخصبة، والأنبياء من جانبهم يَقومون بِرَيِّ هذه البذور لتُنبت أشجارًا محمّلةً بالثمار والفاكهة؛ فيستثيروا هذه الكنوز الكامنة في النفس البشريّة (**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ... وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ**)، واستنادًا لهذا فإن الأنبياء لا يمنحون الإنسان شيئًا خارجًا عن وجوده، بل يُنَمُّون ما لديه ويُظهِروا له مكنونه، حتّى ذهب البعض إلى أنّ التعاليم والمفاهيم التي تُلقى

على الإنسان إنّما تُمثّل تذكيرًا له، فالعلوم والمعارف قد أُودعت النفس البشريّة وما وظيفة المعلمين -سواء الأنبياء أو امتداداتهم- سوى إثارة هذه المعارف من خلال تعاليمهم، وكأنّ هذه المعارف مصادرُ مياهٍ جوفيّة تشقُّ طريقها إلى سطح الأرض بعد الحفر والتنقيب، ولعلّ التعبير بالتذكير الذي ورد على لسان الآيات القرآنيّة ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[1] و﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2] شاهدٌ على صِحّة المعنى الذي أوردناه، والواقع أنّ هذا البحث مُتشعّبٌ وشامل لا يسعنا استيعابه في هذه العجالة.

٢- حوادث الاعتبار واليقظة.

لقد تضمّنت العبارة المذكورة إشارةً إلى حقيقة؛ وهي إنّ الأنبياء وإلى جانب تعليمهم الناس المعارف الإلهيّة الحقّة وبيان آيات القُدرة وعظمة خالق الوجود، فإنّهم يَلفتون انتباه الناس إلى الحوادث ذات الدروس والعِبَر؛ من قبيل حُلول الأجل وانتهاء العمر وآجال النعم الماديِّة واستعراض المحن والخطوب والوقائع الشديدة، فالعبارات الواردة في الخطبة إشارة أُخرى لفلسفة الأحداث الخطيرة التي تنطوي عليها الحياة البشريّة، بحيث لولا هذه الأحداث لغَطَّت البشريّة في سُبات عميق وحجابٍ من الغفلة يتعذّر معه صَحوتُها وإفاقتُها من سيادتها.

٣- دور الدين في الحياة.

الدّرس الآخر الذي تعرّضت له الخطبة هو دور الدين في حياة الإنسان،

(١) البقرة: ٢٢١.
(٢) الذاريات: ٥٥.

ولـولا الأنبيـاء لتاهـت البشريّـة في غياهـب الـشرك والوثنيـة وعبـادة الأصنـام؛ ولَاستحوذت عليها الشياطين وحالت دون عُبوديّتها ومعرفتها بالله؛ وذلك لأنّ العقل بمفرده لا يَسَعه الأخذ بيد الإنسان إلى السعادة بعد تجاوز موانع الطريق ومعوقاته.

صحيح أنّ العقل نورٌ خالد إلّا أنّ شُعاعه باهتٌ خافت ما لم يستند إلى ضياء الوحي الذي يخترق المكان ولا يقف عند حدود فيهديه في اجتياز ظلمات الطريق، ومن هنا تتّضح جسامةُ الخطأ الذي أصاب البراهمة الذين تنكَّروا لبعثة الأنبياء وإرسال الرُّسل، ولو كان العقل يُدرك كافّة أسرار الإنسان الباطنية والظاهرية ويحيط بالعلاقة التي تحكم الماضي والحاضر والمستقبل ولا يُخطئ في تشخيصه للأحداث لأمكن القول بالاكتفاء بإدراكه وفهمه لكافّة وقائع الحياة في هذا العالم والعالم الآخر، غير أنّ محدوديّة هذا الفهم والإدراك وضآلة المعاليم مقارنة بالمجاهيل (وهي المعاليم التي تتّسم بالسعة والشموليّة) لا تجعل من الصواب الاستناد إليها بمفردها.

طبعًا لا نُنكِر أنّ العقل هو حُجَّة الله؛ الأمر الذي أكَّده الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة، بل تواترت الروايات التي صرّحت بأنّه (الرسول الباطني)؛ حيث ورد في الحديث المرويّ عن الإمام الكاظم (عليه السلام) أنّه قال: (**إِنَّ لله عَلَى الناس حُجَّتَيْنِ حُجَّة ظَاهِرَةً وحُجَّة بَاطِنَةً؛ فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسل والأَنْبِيَاءُ والأئمّة (عليهم السلام)، وأَمَّا البَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ**)[1].

(١) الكافي: ج١/ ص ١٦.

مع ذلك فرسالة هذا الرسول الباطن محدودة، بينما ليست كذلك رسالة الرسول الظاهر الذي يستند إلى الوحي والعلم الإلهيّ المطلق، وبناءً على ما تقدم فقد اتضح الردّ على البراهمة السوفسطائيّين الذين يقولون: ما يأتي به الأنبياء لا يخرج عن حالتين: أمّا أنّ يُدرك العقول ما يقوله أو لا يُدرك، فإن أدركه العقل فلا حاجة للأنبياء، وإنْ لم يُدركه فهو ليس بمعقول ولا يمكن قبوله؛ لأنّ الإنسان لا يقبل قطّ ما لا يعقل، والإشكال الذي يرد على هذا الاستدلال هو أنّ هؤلاء لم يُفرِّقوا بين اللامعقول والمجهول، وكأنّهم تصوّروا أنّ العقل يُدرك جميعَ الأشياء، والحال لدينا تصنيفٌ ثلاثيٌ بشأن المواضيع المطروحة، فالمواضيع التي تعرض علينا إمّا أنْ تكون موافقة لحكم العقل أو مخالفةً له أو مجهولة، ولا يسعنا هنا إلّا أن نقول بكلّ تأكيد إنّ أغلب الموضوعات من قبيل القسم الثالث؛ أي هي من قبيل المجاهيل التي كرّست رسالةُ الأنبياء وظيفتها في هذا المجال.

أَضِف إلى ذلك فغالبنا ما يعترينا هاجس الخطأ والزَّلَل في إدراكاتنا العقليّة؛ ومن هنا برزت حاجتنا الـمُلِحّة للأنبياء، وبعبارةٍ أُخرى إلى تأييد العقل بالنقل الذي يسعه مَنْحَنا السكينة والاطمئنان في إدراكاتنا العقليّة ويزيل الوساوس والهواجس ويأخذ بأيدينا إلى السبيل القويم.

٤- لا تخلو الأرض من حُجَّة.

لقد أكّد الإمام علي (عليه السلام) على حقيقةٍ أُخرى وهي عدم خُلُوِّ الأرض من الحُجَّة الإلهيّة الظاهريّة أو الباطنيّة: **(وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ)**،

والطريف في كلام الإمام (عليه السلام) أنّه قرن الكُتب السماويّة بالأنبياء والحُجج الإلهيّة والسيرة المعتَبرة، نعم وراء كلّ كتابٍ سماويّ نبيّ من أنبياء الله يكشف أسرارَه ويوضّح معالمه ويُبَيِّن أحكامه إلى جانب إجرائه وتنفيذ مفاهيمه، كما يُواصل نهجه بواسطة سُنّته واستخلافه للوصيّ والإمام من بعده ليحفظ رسالته ويُواصل نهجه، وهذه من أهمّ عقائدنا في هذا المجال؛ حيث ورد عن إمامنا الصادق (عليه السلام) أنّه قال: (**لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّة**)[1]، وهو الأمر الذي أكدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) في قصار كلماته: (**اللهمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لله بِحُجَّة**[2] **إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، وإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ الله وبَيِّنَاتُه**)»[3].

٥- **مميّزات الأنبياء.**

إنّ الأنبياء الذين يبعثهم الله من أجل هداية الخَلق ليسوا من قَبيل الأفراد العاديّين، بل يتّصفون بجميع الخصال والمميّزات اللّازمة لقيامهم بوظيفتهم الرسالية الخطيرة؛ ومنها البسالة والشجاعة الفائقة في إبلاغ الرسالة، والصمود بوجه خُصوم الدعوة من الأقوام الجاهلة والمعاندة، والذَّوْد عن هذه الرسالة إلى حَدّ الاستماتة، والشهادة في سبيل تحقيق أهداف الرسالة.

وهذا ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) في تصدي الأنبياء لخصومهم والمكذّبين والمستهزئين من أعدائهم؛ الأمر الذي يُشاهَد بوضوح في تاريخ

(١) الكافي: ج ١/ ص ١٧٩.
(٢) «بِحُجَجِهِ» هكذا في نسخة د. صلاح مهدي الفرطوسّي.
(٣) نهج البلاغة، تحقيق: د. صلاح مهدي الفرطوسّي: ج٣/ ص١٤٩، باب الحكم والمواعظ.

الأنبياء ولاسيّما خاتمهم المصطفى (صلّى الله عليه وآله): (**رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**)، كما أكّد القرآن الكريم على تحلّي الأنبياء بصفتهم مُبلِّغي الرسالات بهذه الصفة: ﴿**الذينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلّا اللهَ**﴾[1].

والذي يفهم من عبارة الإمام (عليه السلام) -كما صرّح بذلك صاحب منهاج البراعة- أنّ التقيّة لا تجوز على الأنبياء، ومن هُنا يتّضح بُطلانِ ما نسبَه الفخر الرازيّ للشيعة الإمامية من أنّها لا تُجوِّز على الأنبياء حتى إظهار الكفر تقيّة[2]، بل الأمر أبعد من ذلك؛ لأنّ التقيَّة حرام على الأئمّة بل وحتى الأفراد العاديّين في الحالات التي يتعرّض فيها الدين للخطر، بعبارة أُخرى قد تكون التقيّة واجبًا وقد تكون حرامًا، فإذا كان تركها يؤدّي إلى سَفك الدماء دون حِلّها فهي واجبة؛ كأنْ تقع جماعة من المسلمين في يد الأعداء بحيث يُراق دمهم إذا أظهروا إسلامهم، فهنا يجب عليهم إخفاء دينهم كي لا يُمكِّنوا العدوَّ من قَتلِهم، في حين قد يؤدّي إخفاء الدين والإفصاح عن العقيدة أحيانًا إلى ضعف المسلمين وذِلّتهم، ففي هذه الحالة يُحرم على الأفراد كَتْمُ دينِهم وعليهم أن يكشفوا عنها بكلِّ شجاعةٍ مهما كلّف الأمر (وما واقعة كربلاء عنك ببعيد التي جسد فيها الإمام الحسين وصحبه الكرام حُرمة التقيّة حفظًا للدِّين).

ولـمّا كان كتم الأنبياء لمعتقداتهم يُهدّد أصل رسالتهم كانت وظيفتهم ترك التقيّة، جدير ذكره أنّ التقيّة ليست من المفاهيم التي تقتصر على

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) ينظر: تفسير الرازيّ: ج٣/ ص٧، منهاج البراعة، الخوئيّ: ج ٢/ ص ١٦٠.

الشيعة أو المسلمين فحسب، بل مفهوم من المفاهيم العقلائيّة الذي يدعو الإنسان إلى حِفظ نفسه وعدم هدر دمه إذا لم يكن هناك من جدوى لإبداء عقيدته[1]»[2].

المسألة الثانية: نتائج البحث.

اشتمل البحثُ على عدد من النتائج -بحمّد الله تعالى- ضمن أحد عشر مطلبًا معرفيًا حول اصطفاء الأنبياء (عليهم السلام) وبَعثِهم، فكانت على النَّحْوِ الآتي:

المطلب الأول: قوله (عليه السلام): «**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**»، وتناولنا فيه أمرين:

الأوّل: الأصل في الاصطفاء والبَعْث هو تحقيق الخلافة على الأرض.

بيانه (عليه السلام) لمرحلة جديدة من مراحل تحقيق عنوان الخلافة على الأرض والتي خُلق لأجلها آدم (عليه السلام)، ومن ثَمّ لا بُدّ من البيان حول آليّة تحقيق هذه الغاية الإلهيّة، فكان عبر اصطفاء الرُّسل والأنبياء من وُلْدِ آدم (عليه السلام).

والثاني: ما المراد بالميثاق والأمانة التي أخذها الله على الرُّسل خاصة؟

وفيه أمران:

١- ما هو الميثاق وكيف أُخذ؟ وجوابه من عدّة أوجه.

(١) للمزيد من التفاصيل عن التقية ينظر: القواعد الفقهية، ناصر مكارم الشيرازيّ: ج ١/ ص٣٨٣-٥٠٦.

(٢) نفحات الولاية: ج١/ ص١٤٤ ـ ١٤٨.

٢- الأمانة، وفيها دلالات ثلاثة: عامّة، وخاصّة، وأخصّ.

المطلب الثاني: قوله (عليه السلام): «**لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ**» وتناولنا فيه بيان أن التبديل في عهد الله متعلِّق بالفترة الزمنيّة من بَعْث نبيّ الله آدم (عليه السلام) إلى النبيّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله) الذي ختم الله به النبوّة والرسالة، وذلك أن النصّ الشريف يسير مع المتلقّي في بيان أحوال الخَلق ومراحله، ليصل إلى بدء مرحلة بَعْث الأنبياء واصطفاء الرُّسل من وُلْدِ آدم وما تعلّق بها من معارضةٍ للجَعْل الإلهيّ في الخلافة على الأرض.

المطلب الثالث، قوله (عليه السلام): «**وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ**»، وقد تناولنا فيه بيان الأسباب التي اقتضت بَعْث الأنبياء واصطفائهم من وُلْدِ آدم (عليه وعليهم السلام)؛ ومنها: اجتيال الشيطان لبني آدم، وصَرْفُهم عن معرفة الله تعالى، ويظهر من النصّ الشريف أن هذا السبب وغيره ممّا سبق أو سيأتي هو بيانٌ للأصل الذي استوجب بَعْث الأنبياء واصطفاء الرُّسل (عليهم السلام)؛ وذلك كي تكون الحُجَّة البالغة لله تعالى على خَلقِه يوم الحساب.

المطلب الرابع: قوله (عليه السلام): «**فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ**»، وتناولنا فيه ثلاثة أمور:

١- إنّ الله تعالى اصطفى من وُلْدِ آدم (عليه السلام) وذُريّته رُسلًا وأنبياءً (عليهم السلام) فبعثهم إليهم.

٢- إنّ الغاية من البَعْث هي تحقيق الخلافة لله تعالى على الأرض عبر مهام

يُؤدّيها الأنبياء والرُّسل.

٣- إنّ آليّة البعث للأنبياء (عليهم السلام) لم تكن دفعةً واحدةً؛ ممّا يُرشِد إلى أنّ قصديّة النصّ الشريف هي بيان مدخليّة الزمن وليس شخص النبيّ أو الرسول، كما ذهب إليه الشرّاح في دلالة الوتر، ومن ثمّ فدلالة الوتر في قوله(عليه السلام): «**وَوَاتَرَ**»، يُراد به الأَجَل الذي تنتهي به نبوّة كلّ نبيّ من الأنبياء والرُّسل، وما يلازمها من وقائع الزمن والأحداث التي تستلزم نجاة بني آدم وإرجاعهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى.

المطلب الخامس، قوله (عليه السلام): «**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**». وتناولنا فيه أمرين، وهما:

١- إنّ كلمة (الميثاق) قد وردت في النصّ الشريف في موضعين:

الأول: قوله (عليه السلام): «**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ**»، وقد بيَّنَّا أنّ دلالة (الميثاق) هنا مقيَّدةٌ بتبليغ الوحي، وهو خاص بالأنبياء.

والآخر: قوله (عليه السلام): «**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**»؛ ودلالة (الميثاق) هنا مقيَّدةٌ بوُلْدِ آدم، فقد أخذ الله عليهم الميثاقَ بما فَطرهم عليه.

٢- إنّ الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي في ثلاثة أمور يجمعها الإسلام كما نصّت الروايات الشريفة.

المطلب السادس، قوله (عليه السلام): «**وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ**»، وتناولنا فيه بيان أمورٍ خمسة؛ وهي:

أولًا- فيما يتعلق بالغاية من بَعْث الأنبياء (عليهم السلام).

فقد أراد (عليه السلام) بيان الغاية التي من أجلها بَعَث الله الأنبياء، فذكر منها في هذا الموضع أمرين؛ الأول: وهو الاحتجاج، وقد حدّده (عليه السلام) بالتبليغ، والثاني: إثارة دفائن العقول.

ثانيًا- فيما يتعلّق بالاحتجاج.

فقد ذهب السيّد حبيب الله الخوئيّ إلى القول بأنّه مقيَّد بيوم القيامة، وهو وإن كان من خصائص يوم القيامة إلّا أنّه غير مقيَّد به مطلقًا؛ وذلك أنّ القرآن عرض لنا في مواضع عِدّة من احتجاج الأنبياء في الحياة الدنيا؛ كما في حال نبيّ الله إبراهيم مع قومه في تكسير الأصنام، وعبادة الشمس والقمر والكواكب، وغيرها من أحوال الأنبياء.

ثالثًا- فيما يتعلّق بالتبليغ.

وهو الوسيلة التي حدّدها القرآن للاحتجاج؛ أي يصبح التبليغ هو الوسيلة في إيصال الناس إلى الله تعالى والأخذ بأوامره والانتهاء عن نواهيه، ومن ثَمَّ يَسِمُ القرآن الكريم الرسالة ومُهمّة الرسول بـ(البلاغ).

رابعًا- فيما يتعلّق بالإثارة.

وفيه أمران؛ **الأول**: إثارة العقول على العموم؛ كالعلوم التي تُنَظِّم للناس شؤونهم الحياتية وآلية تطويرها.

والآخر: إثارة العقول على الخصوص في توحيد الله تعالى وبما جاء من عنده؛ فتكون الأنبياء هي التي تُثير عقولَ الناس وتستخرج دفائنَ عقولهم في إنماء المعارف التوحيدية.

خامسًا- فيما يتعلّق بدفائن العقول.

إنّ النصّ الشريف قد جاء بلفظ (**الدفائن**) وذلك لاستتار العقل عن أعين الإنسان ولاسيّما أهل الاختصاص في العلوم والمعارف الإنسانية، أو العلوم والمعارف التطبيقية، أو العلوم والمعارف الصِّرفة، أو العلوم والمعارف الطبية، ليُظهِر النصّ الشريف بذلك ثلاثة أمور:

الأول: بيان مكانة الأنبياء (عليهم السلام) وتفضليهم على الناس؛ فقد خصَّهم الله بما لم يخصّ به غيرهم من وُلْدِ آدم (عليه السلام)؛ أي المعرفة «**بدفائن العقول**» ليخرجوها إلى الناس.

الثاني: بيان مكانة رسول (صلّى الله عليه وآله)؛ فقد نبّه الوحي وبيَّنَ ما أودعه الله تعالى في القرآن الكريم من المعارف والعلوم، وقد خصَّ الله بها حبيبه المصطفى (صلّى الله عليه وآله).

الثالث: بيان منزلة العقل ومكانته في الخلافة على الأرض وأنّه المعنيُّ بالتوحيد والسبيل لتحصيل المعرفة والنجاة.

المطلب السابع: قولُه (عليه الصلاة والسلام): «**وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**»، وتناولنا فيه بيان أمورٍ ثلاثة؛ وهي:

أولًا- نسقيّة النصّ الشريف في بيان العِلّة في بَعثِ الأنبياء (عليهم السلام).

فقد كشف النصّ الشريف عن وحدة الموضوع في بيانه العلّة في بَعث

الأنبياء (عليهم السلام) وبيان مهامّهم وتكليفهم الشرعيّ في تحقيق الخلافةِ على الأرض والتي لأجلها سَجد الملائكة كلُّهم أجمعون إلى آدم (عليه السلام) كما مرّ مفصَّلًا.

ومن ثَمَّ يُحدّد لنا النصّ مهمّةً جديدة وآليّةً أُخرى في أدائهم (عليهم السلام) مع الناس، وهي أنّهم: «**يُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ**».

ثانيًا- دلالة قوله (عليه السلام): «وَيُرُوهُمْ» وبيان أثره في عقيدة توحيد الأفعال.

إنّ مهمة الأنبياء(عليهم السلام) في هذه المرحلة من التبليغ تنحصر بخطاب العقول عبر حاسّة البصر والتفكّر بالآثار التي يُبصرونها ويتعايشون معها والتي حدَّدها النصّ الشريف بستِّ آيات، أي إنّ هذه الآيات الستّ متعلّقة بحاسّة البصر.

ولذا أسبقها (عليه السلام) بـ «من» التبعيضيّة، وليست البيانيّة كما ذهب إليه بعض الشرّاح، فمن الآيات الإلهيّة ما لا يُدرك بالبصر ويُرى بالعين؛ أي أراد (عليه السلام) أن يأخذ العقل إلى الإقرار بتوحيد الله تعالى عبر الأثر الذي يراه في حياته، وهو ما يُعرف في عِلم الكلام بـ «التوحيد في الأفعال».

ثالثًا- تسلسل النصّ الشريف في عَرضِ مراتب التوحيد.

إنّ النسق العام لخطبة التوحيد هو عَرضُها لمراتب التوحيد من الأعلى إلى الأدنى، فقد بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمرتبة الأولى، وهي:

توحيد الذات، ثمّ توحيد الصفات، ثمّ توحيد العبادة، ثمّ توحيد الأفعال أو الآثار.

المطلب الثامن، قوله (عليه الصلاة والسلام): «**وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ**» وقد تناولنا فيه أمرين؛ وهما:

١- دلالة النصّ على لُزوم وجود الحُجَّة على الناس منذ أنْ بُعِثَ آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة.

٢- الحُجَّة اللّازمة، وهنا إشارة إلى العقل؛ وذلك لإسقاط الحُجَّة عن كلّ مَن يقول يوم القيامة: لم أدرِ ولم أعلمْ، كما مضى آنفًا في إرجاع الأنبياءِ الناسَ إلى النظر في البراهين عبر تحكيم العقل والنظر في البرهان والآيات والآثار، ومن ثَمَّ مدخليّة العقل في الرجوع إلى الله تعالى.

المطلب التاسع، قولُه (عليه الصلاة والسلام): «**رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ**» وتناولنا فيه أمورًا أربعة؛ وهي:

أولًا- هل دلالة القِلّة والكَثرة زمانيّة أم عدديّة؟

إنّ النصّ الشريف قد أشار إلى مسألة دقيقة؛ أي قِلّة عدد الرُّسل وكثرة المكذِّبين لهم؛ وذلك أنّه (عليه السلام) يتحدّث عنهم بالعموم وليس بالخصوص، فقِلّة عددهم ثابتة ولا يتحقّق في زمانٍ واحد بَعْثُ مجموعةٍ من الأنبياء، ومن ثَمّ فالقِلّة لا يُراد بها الزمان والمكان، وإنما على العموم منذ آدم وإلى النبيّ المصطفى(صلّى الله عليه وآله).

ثانيًا- دلالة قوله (عليه السلام): «لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ».

ممّا يُرشد إليه النصّ الشريف هو بيان سِمةٍ عامّة في الأنبياء وسِمةٍ خاصّةٍ في الناس؛ فأما سِمةُ الأنبياء فهم لا يُقصِّرون عن أداء تكاليفهم الشرعيّة وإنْ

كان كلّ شخصيّة منهم فردًا واحدًا قد بعثه الله تعالى إلى قومٍ من الناس سواء آمن به أحد أو لم يؤمن.

وأمّا سِمة الناس فالغالب عليهم أنّهم لا يؤمنون في كلّ زمانٍ ومع كلّ نبيّ (سلام الله عليهم أجمعين)، وهو ما بيّنه القرآن بقوله: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[1] فضلاً عن غلبة سِمة تكذيب الناس للأنبياء فقد لازمت العصور والأزمنة والأمكنة.

ثالثًا- ردّ إدّعاء المعتزليّ في تجنّيه على الشارح الراوندي في ترك الأئمّة المعصومين (عليه السلام) القيام بالأمر عملًا بالتقيّة.

إنّ المعتزليّ قد غلب عليه التربُّص بالراوندي (عليه رحمة الله ورضوانه) والتجنّي عليه، وذلك لأمور:

١- أنّه نُسب إليه القول بما لم يَقُل؛ وذلك أنّه لم يُحيل القارئ إلى الموضع الذي يُصرّح فيه الراوندي بترك الأئمّة المعصومين القيامَ بالأمر إذا كثُرت أعداؤهم.

٢- إنّ القول بجواز التقيّة لم يكن المشرِّع فيه الراوندي فيُجيزُ هنا، ويُحرِّم هناك، وإنّما القائل هو القرآن الكريم، فضلًا عن بيان السُنّة النبويّة لها والتي يطول الكلام في بيان نصوصها فقد كفانا الفقهاء المؤونة في المسألة.

٣- أمّا قوله: «القيام بالأمر» فهو تدليس من المعتزليّ، ويبدو أنّ الشرّاح لم يلتفتوا إليه؛ فقد خلط المعتزليّ وغالَطَ بين القيام بالأمر، أي الحكومة، والقيام

(١) سبأ: ١٣.

بالأمر، أي الإمامة، فأمّا الحكومة أو الخلافة فقد قُيِّدتْ بوجود الناصر؛ أمّا بغيابه فليس للإمام القيام بمطالبة حقّ الخلافة التي سَنّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين(عليه السلام) منذ أن أَمَرَهُ الله تعالى بأن يصدع بالرسالة وإنذار عشيرته الأقربين، أمّا الإمامة المجعولة من الله تعالى فهي قائمةٌ ولو عارضَهُ وخالفَهُ أهلُ الأرضِ جميعًا.

رابعًا- مفهوم خلافة الأنبياء (عليهم السلام) بين الظاهر والباطن.

إنّ خلافة الأنبياء (عليهم السلام) لها مفهومان؛ مفهوم ظاهريّ، ومفهوم باطنيّ:

١- **أمّا المفهوم الظاهريّ**: فهو أن يحلّ الخليفة محلَّ النبيّ التشريعيّ، ولا نقصد به أنْ يحلّ مقام النبوّة، وإنّما المراد من المحلّ التشريعيّ: أنْ تكون له صلاحية إصدار الحُكم الشرعيّ، فمَن كان جاهلًا بالحُكم الشرعيّ لا يحقُّ له أنْ يخلف النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم).

٢- **أمّا المفهوم الباطنيّ**: فهو أنّ الله لا يُخلي الأرض من حُجَّة، ومن ثمّ: فإنّ هذا الأمر يستلزم كينونة الوصيّ وتعيينه، منذ كينونة النبيّ وبَعثِه، بل إنّ الأمر أبعد من ذلك؛ إذ إنّ تعيين النبيّ منذ الخَلق استلزم تعيينَ الوصيّ.

المطلب العاشر: قوله (عليه الصلاة والسلام): «**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ**»، وقد تناولنا فيه ثلاثة أمور؛ وهي:

أولًا- دلالة النصّ في الاصطفاء والاختيار المُسبق من الله تعالى.

إنّ اصطفاء الأنبياء (عليهم السلام) من وُلدِ آدم محدَّدٌ من الله تعالى ومسبوق تعيينهم قبل أنْ يبعثهم الله تعالى بالنبوّة، وقد جرى التعريف بهم عبر السابق بمنْ يأتي من بعده، أي لم يكن الأمر آنيًّا بحسب طبيعة أهل كلّ زمانٍ ومكان، بل هم مصطفُون ومختارون مِن قَبل.

ثانيًا- من عجائب قوله (عليه السلام) الجمعُ بين الأضداد في لفظتي «السابق» و«الغابر» والمغايرة في النتيجة بين التسمية والتعريف.

أشار الشرّاح (جزاهم الله خيرًا) إلى بيان المعنى اللُّغويّ لمفردتي «**السابق والغابر**»؛ وهو أنّ «الغابر: الباقي، والماضي أيضًا، وهو من الأضداد» إلّا أنهم لم ينوهوا إلى المغايرة في الدلالة.

ثالثا- دلالة النصّ الشريف على تمسّك النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بسُنّة الله في تسمية أوصايائه والتعريف بخُلفائه (عليهم السلام).

إنّ ممّا لاريب فيه أن يسير النبيّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله) على هذا النهج الإلهيّ في تسمية الأوصياء من بعده وخُلفائه على شريعته، كما مضى على ذلك الأنبياء (عليهم السلام) منذ آدم وصولًا إليه (صلّى الله عليه وآله)، فلم تكن مناسبةٌ أو حَدَثٌ إلّا وقد عرّف بأهل بيته(عليه السلام) بوصفهم أوصياءه وخلفاءه على شريعته، ملازمًا قوله وفعله للقرآن الكريم كما في آية المباهلة في حادثة مجيء نصارى نجران وخروجه بأهل بيته علي وفاطمة وولديهما (عليهم السلام).

المطلب الحادي عشر، قوله (عليه الصلاة والسلام): «**عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُور، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ**»، وقد تناولنا فيه

بيانَ أنَّ النصّ الشريف هو قطعة مُتَّسقةٌ ومتناسقةٌ في المعنى والدلالة، فكان مفهومُ كلامه كاشفًا عن مصداقه، ومصداقُه مُرشدًا إلى مفهومه في بيان سنّة الله تعالى التي أجراها في وُلدِ آدم (عليه السلام).

تمّ بحمد الله تعالى وسابق لُطفه وفَضله وفَضل رسوله (صلّى الله عليه وآله).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[1].

في يوم ولادة أوّل شهيد من آل محمد (صلّى الله عليه وآله) في يوم عاشوراء شبيه جدَّه النبيّ «خَلْقًا وخُلُقًا ومَنْطِقًا» عليّ الأكبر ابن الإمام الحسين السبط الشهيد (عليهما السلام)

الموافق: ١١ شعبان المعظّم ١٤٤٦هـ - ١٠/ ٢/ ٢٠٢٥

نبيل الحسنيّ الكربلائيّ

(١) البقرة: ١٢٧.

المحتويات

المقدمة: ٧

المبحث السابع: اصطفاءُ الأنبياءِ (عليهم السلام) وبَعْثُهم. ١١

القسم الأول: المدخل إلى المبحث ١٣

المسألة الأولى: موارد النَصّ ومصادِره: ١٣

المسألة الثانية: مقدّمة الشُرّاح للنصِّ: ١٦

أولًا- الراونديّ: ١٦

ثانيًا- النقويّ: ١٧

ثالثًا- الشيرازيّ: ١٨

المسألة الثالثة: رؤوس الموضوعات في النصّ الشريف: ١٨

القسم الثاني: مطالب النَصِّ وحقوله المعرفيّة ١٩

المطلب الأول: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ» ١٩

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ. ١٩

أولًا- البيهقيّ: ١٩

ثانيًا- الراونديّ: ٢٠

ثالثًا- المعتزليّ: ٢٠
رابعًا- البحرانيّ: ٢٠
خامسًا- مغنية: ٢١
سادسًا- التستري: ٢١
سابعًا- الشيرازيّ: ٢١
المسألة الثانية: الإعراب: ٢١
أولًا- الخوئيّ: ٢١
ثانيًا- مؤسّسة علوم نهج البلاغة: ٢٢
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح ٢٢
أولًا- البيهقيّ: ٢٢
ثانيًا- الراونديّ: ٢٣
ثالثًا- الكيذريّ: ٢٤
رابعًا- المعتزليّ: ٢٤
خامسًا- البحرانيّ: ٢٤
سادسًا- الخوئيّ: ٢٥
سابعًا- مغنية: ٣٥
ثامنًا- التستريّ: ٣٦

تاسعًا- النقويّ: ٣٨
عاشرًا- الشيرازيّ: ٧٦
أحد عشر- السيّد نبيل الحسنيّ: ٧٧
الأوّل: الأصل في الاصطفاء والبَعْث هو تحقيقُ الخِلافة في الأرض ٧٧
الثاني: ما المراد بالميثاق والأمانة التي أخذها الله على الرُّسل خاصة؟ ٧٧
المطلب الثاني: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ». ٨١
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ. ٨١
أولًا- الراونديّ ٨١
ثانيًا- مغنية ٨١
ثالثًا- الشيرازيّ ٨١
المسألة الثانية: الإعراب. ٨٢
أولًا- الخوئيّ ٨٢
ثانيًا- مغنية ٨٢
ثالثًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة ٨٢
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح. ٨٣
أولًا- الراونديّ ٨٣

ثانيًا- البحرانيّ: ٨٣
ثالثًا- الخوئيّ: ٨٥
رابعًا- مغنية: ٩٢
خامسًا- التستريّ: ٩٢
سادسًا- النقويّ: ٩٣
سابعًا- الشيرازيّ: ٩٧
ثامنًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ٩٨
المطلب الثالث: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ». ٩٩
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ٩٩
أولًا- البيهقيّ: ٩٩
ثانيًا- الراونديّ: ٩٩
ثالثًا- الكيذريّ: ٩٩
رابعًا- المعتزليّ: ١٠٠
خامسًا- الخوئيّ: ١٠٠
سادسًا- مغنية: ١٠٠
سابعًا- التستريّ: ١٠١

ثامنًا- النقويّ: ١٠٢
تاسعًا-الشيرازيّ: ١٠٢
المسألة الثانية: الإعراب ١٠٢
- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ١٠٢
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح ١٠٢
أولًا- البحرانيّ: ١٠٢
ثانيًا- الخوئيّ: ١٠٣
ثالثًا- مغنية: ١٠٣
رابعًا- التستريّ: ١٠٣
خامسًا- النقويّ: ١٠٣
سادسًا- الشيرازيّ: ١٠٤
سابعًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ١٠٥
أوّلًا- دلالة الاجتيال والاقتطاع ١٠٥
ثانيًا- الملازمة بين الدين والمعرفة ١٠٥
المطلب الرابع: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «فَبَعَثَ مِنْهُم رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ» ١٠٧
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ١٠٧

أولًا- الكيذريّ: ١٠٧
ثانيًا- المعتزليّ: ١٠٧
ثالثًا- البحرانيّ: ١٠٧
رابعًا- الخوئيّ: ١٠٨
خامسًا- مغنية: ١٠٨
سادسًا- التستريّ: ١٠٨
سابعًا- الشيرازيّ: ١٠٩
المسألة الثانية: الإعراب: ١١٠
- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ١١٠
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح ١١٠
أولًا- الراونديّ: ١١٠
ثانيًا- المعتزليّ: ١١٠
ثالثًا- البحرانيّ: ١١١
رابعًا- الخوئيّ: ١١١
خامسًا- مغنية: ١١٢
سادسًا- التستريّ: ١١٢
سابعًا- النقويّ: ١١٤

ثامنًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ١٣١

المطلب الخامس: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ» ١٣٢

المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ١٣٢

أولًا- البيهقيّ: ١٣٢

ثانيًا- الراونديّ: ١٣٢

ثالثًا- البحرانيّ: ١٣٣

رابعًا- مغنية: ١٣٣

خامسًا- التستريّ: ١٣٣

سادسًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ١٣٣

المسألة الثانية: الإعراب: ١٣٤

أولًا- مغنية: ١٣٤

ثانيًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ١٣٤

المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح: ١٣٤

أولًا- الراونديّ: ١٣٤

ثانيًا- المعتزليّ: ١٣٤

ثالثًا- البحرانيّ: ١٣٥

رابعًا- الخوئيّ: ١٣٦
خامسًا- مغنية: ١٣٧
سادسًا- التستريّ: ١٤٠
سابعًا- النقويّ: ١٤٥
ثامنًا- الشيرازيّ: ١٤٦
تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ١٤٧
المطلب السادس: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ». ١٥٠
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ١٥٠
- الخوئيّ: ١٥٠
المسألة الثانية: الإعراب: ١٥٠
- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ١٥٠
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح: ١٥١
أولًا- البحرانيّ: ١٥١
ثانيًا- الخوئيّ: ١٥١
ثالثًا- مغنية: ١٥٢
رابعًا- التستريّ: ١٥٢

خامسًا- النقويّ:..... ١٥٣
سادسًا- الشيرازيّ:..... ١٥٥
سابعًا- السيّد نبيل الحسنيّ:..... ١٥٦
أولًا- فيما يتعلّق بالغاية من بَعْث الأنبياء (عليهم السلام).....١٥٦
ثانيًا- فيما يتعلّق بالاحتجاج..... ١٥٦
ثالثًا- فيما يتعلق بالتبليغ..... ١٥٧
رابعًا- فيما يتعلّق بالإثارة..... ١٥٨
خامسًا- فيما يتعلّق بدفائن العقول..... ١٥٨
المطلب السابع: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ»..... ١٦٢
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ:..... ١٦٢
أولًا- البيهقيّ:..... ١٦٢
ثانيًا- الكيذريّ:..... ١٦٢
ثالثًا- الراونديّ:..... ١٦٢
رابعًا- البحرانيّ:..... ١٦٣
خامسًا- الخوئيّ:..... ١٦٣
سادسًا- مغنية:..... ١٦٣

سابعًا- التستريّ: ١٦٤
ثامنًا- الشيرازيّ: ١٦٤
المسألة الثانية: الإعراب: ١٦٤
أولًا- الخوئيّ: ١٦٤
ثانيًا- مغنية: ١٦٥
ثالثًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ١٦٥
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح: ١٦٦
أولًا- البيهقيّ: ١٦٦
ثانيًا- الراونديّ: ١٦٧
ثالثًا- البحرانيّ: ١٦٧
رابعًا- الخوئيّ: ١٦٨
خامسًا- مغنية: ١٦٩
سادسًا- التستريّ: ١٧٠
سابعًا- النقويّ: ١٧٢
ثامنًا- الشيرازيّ: ١٧٨
تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ١٧٩
أولًا- نَسَقِيّةُ النصّ الشريف في بيان العِلّة في بَعْثِ الأنبياء (عليهم السلام) ١٧٩

ثانيًا- دلالة قوله (عليه السلام): «وَيُرُوهُمْ» وبيان أثره في عقيدة توحيد الأفعال ١٧٩
ثالثًا- تسلسلُ النصِّ الشريف في عَرضِ مراتب التوحيد ١٨٣
المطلب الثامن: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نبيّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّة لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَةٍ» ١٨٤
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ١٨٤
أولًا- الراونديّ: ١٨٤
ثانيًا- الكيذريّ: ١٨٤
ثالثًا- البحرانيّ: ١٨٤
رابعًا- الخوئيّ: ١٨٥
المسألة الثانية: الإعراب: ١٨٦
أولًا- الخوئيّ: ١٨٦
ثانيًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ١٨٦
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح: ١٨٧
أولًا- الراونديّ: ١٨٧
ثانيًا- المعتزليّ: ١٨٧
ثالثًا- البحرانيّ: ١٨٧
رابعًا- الخوئيّ: ١٨٨

خامسًا- مغنية: ١٩٦
سادسًا- التستريّ: ١٩٧
سابعًا- النقويّ: ١٩٧
ثامنًا- الشيرازيّ: ٢٠٦
تاسعًا-السيّد نبيل الحسنيّ: ٢٠٧
الأول: دلالة النصّ على لزوم وجود الحُجَّة على الناس ٢٠٧
الثاني: فهو الحُجَّة اللّازِمة ٢٠٨
المطلب التاسع: الحقول المعرفيّة في قوله (عليه السلام): «رُسُلٌ لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ» ٢٠٩
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ٢٠٩
أولًا- البيهقيّ: ٢٠٩
ثانيًا- الراونديّ: ٢٠٩
ثالثًا- الكيذريّ: ٢٠٩
المسألة الثانية: الإعراب: ٢١٠
أولًا- الخوئيّ: ٢١٠
ثانيًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ٢١٠
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح: ٢١٠

أولًا- الراونديّ: ٢١٠
ثانيًا- المعتزليّ: ٢١١
ثالثًا- البحرانيّ: ٢١١
رابعًا- الخوئيّ: ٢١٢
خامسًا- مغنية: ٢١٢
سادسًا- التستريّ: ٢١٣
سابعًا- النقويّ: ٢١٤
ثامنًا- الشيرازيّ: ٢١٧
تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ٢١٧
أوّلًا- دلالة قوله (عليه السلام): «لَا يُقَصِّرُ بِهِمْ» متعلقة بالمكذبين وليس بمن لم يؤمن ٢١٨
ثانيًا- هل دلالة القلّة والكَثرة زمانيّة أم عدديّة؟ ٢١٩
ثالثًا- رَدُّ ادّعاء المعتزليّ في تَرْكِ الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) القيامَ بالأمر عملًا بالتقيّة ٢٢٠
المطلب العاشر: الحقول المعرفيّة في قوله (عليه السلام): «مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ». ٢٢٧
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ٢٢٧
أولًا- الراونديّ: ٢٢٧
ثانيًا- الكيذريّ: ٢٢٧

ثالثًا- البحرانيّ: ٢٢٧
رابعًا- النقويّ: ٢٢٧
خامسًا- الشيرازيّ: ٢٢٨
المسألة الثانية: الإعراب: ٢٢٨
أولًا- البيهقيّ: ٢٢٨
ثانيًا- الخوئيّ: ٢٢٨
ثالثًا- التستريّ: ٢٢٨
رابعًا- مؤسسة علوم نهج البلاغة: ٢٢٩
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح: ٢٢٩
أولًا- الراونديّ: ٢٢٩
ثانيًا- المعتزليّ: ٢٢٩
ثالثًا- البحرانيّ: ٢٣٠
رابعًا- الخوئيّ: ٢٣١
خامسًا- مغنية: ٢٣١
سادسًا- التستريّ: ٢٣٢
سابعًا- النقويّ: ٢٣٤
ثامنًا- الشيرازيّ: ٢٣٥

تاسعًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ٢٣٥
أولًا- دلالة النصّ في الاصطفاء والاختيار المسْبَق من الله تعالى ٢٣٥
ثانيًا- من عجائب قوله (عليه السلام) الجمعُ بين الأضدادِ في لفظتي «السابق» و«الغابر» والمغايرة في النتيجة بين التسمية والتعريف ٢٣٨
ثالثا- دلالة النصّ الشريف في تمسّك النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بسُنَّة الله في تسمية أوصيائه والتعريف بخُلفائه (عليهم السلام) ٢٤١
المطلب الحادي عشر: الحقول المعرفيّة في قوله (عليه السلام): «عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُور، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ». **٢٤٥**
المسألة الأولى: المعنى اللُّغويّ: ٢٤٥
أولًا- الراونديّ: ٢٤٥
ثانيًا- المعتزليّ: ٢٤٦
ثالثًا- البحرانيّ: ٢٤٦
رابعًا- الخوئيّ: ٢٤٦
خامسًا- التستري: ٢٤٧
سادسًا- الشيرازيّ: ٢٤٧
المسألة الثانية: الإعراب: ٢٤٨
أولًا- البيهقيّ: ٢٤٨
ثانيًا- الراونديّ: ٢٤٨

ثالثًا- الخوئيّ: ٢٤٨
رابعًا- مؤسّسة علوم نهج البلاغة: ٢٤٨
المسألة الثالثة: أقوال الشرّاح: ٢٤٩
أولًا- الراونديّ: ٢٤٩
ثانيًا- البحرانيّ: ٢٤٩
ثالثًا- الخوئيّ: ٢٤٩
رابعًا- مغنية: ٢٥٠
خامسًا- النقويّ: ٢٥٠
سادسًا- الشيرازيّ: ٢٥١
سابعًا- السيّد نبيل الحسنيّ: ٢٥١
القسم الثالث: خاتمة البحث ونتائجه ٢٥٣
المسألة الأولى: خاتمة الشرّاح للنّص الشريف ٢٥٣
- الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ: ٢٥٣
المسألة الثانية: نتائج البحث ٢٥٩